سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٥٣٥)

الرضا عن اللّه

نعيم العابدين

نصوص من كتب التراث

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٣هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

"بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ فَذَكَرَ سُبْحَانَهُ التواصي بِالصَّبْرِ وَالْمَرْحَمَةِ . وَالنَّاسُ " أَرْبَعَةُ أَقْسَامٍ " : مِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ فِيهِ صَبْرٌ بِقَسْوَةِ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ فِيهِ رَحْمَةٌ بِجَزَعٍ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ فِيهِ الْقَسْوَةُ وَالْجَزَعُ . وَالْمُؤْمِنُ الْمَحْمُودُ الَّذِي يَصْبِرُ عَلَى مَا يُصِيبُهُ وَيَرْحَمُ النَّاسَ . وَقَدْ ظَنَّ طَائِفَةٌ مِنْ الْمُصَنِّفِينَ فِي هَذَا الْبَابِ أَنَّ **الرِّضَا عَنْ اللَّهِ** مِنْ تَوَابِعِ الْمَحَبَّةِ لَهُ وَهَذَا إنَّمَا يَتَوَجَّهُ عَلَى " الْمَأْخَذِ الْأَوَّلِ " وَهُوَ الرِّضَا عَنْهُ لِاسْتِحْقَاقِهِ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ مَعَ قَطْعِ الْعَبْدِ النَّظَرَ عَنْ حَظِّهِ بِخِلَافِ " الْمَأْخَذِ الثَّانِي " وَهُوَ الرِّضَا لِعِلْمِهِ بِأَنَّ الْمَقْضِيَّ خَيْرٌ لَهُ ثُمَّ إنَّ الْمَحَبَّةَ مُتَعَلِّقَةٌ بِهِ وَالرِّضَا مُتَعَلِّقٌ بِقَضَائِهِ لَكِنْ قَدْ يُقَالُ فِي تَقْرِيرِ مَا قَالَ هَذَا الْمُصَنِّفُ وَنَحْوُهُ . إنَّ الْمَحَبَّةَ لِلَّهِ نَوْعَانِ : مَحَبَّةٌ لَهُ نَفْسِهِ وَمَحَبَّةٌ لَهُ لِمَا فِيهِ مِنْ الْإِحْسَانِ وَكَذَلِكَ الْحَمْدُ لَهُ نَوْعَانِ : حَمْدٌ لَهُ عَلَى مَا يَسْتَحِقُّهُ نَفْسُهُ وَحَمْدٌ عَلَى إحْسَانِهِ إلَى عَبْدِهِ فَالنَّوْعَانِ لِلرِّضَا كَالنَّوْعَيْنِ لِلْمَحَبَّةِ . وَأَمَّا الرِّضَا بِهِ وَبِدِينِهِ وَبِرَسُولِهِ فَذَلِكَ مِنْ حَظِّ الْمَحَبَّةِ ؛ وَلِهَذَا ذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَوْقَ طَعْمِ الْإِيمَانِ كَمَا ذَكَرَ فِي الْمَحَبَّةِ وُجُودَ حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ . وَهَذَانِ الْحَدِيثَانِ الصَّحِيحَانِ هُمَا أَصْلٌ فِيمَا يُذْكَرُ مِنْ الْوَجْدِ وَالذَّوْقِ الْإِيمَانِيِّ الشَّرْعِيِّ ؛ دُونَ الضلالي الْبِدْعِيِّ . فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : ﴿ ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاَللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدِ نَبِيًّا ﴾ وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : ﴿ ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَمَنْ كَانَ يُحِبُّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إلَّا لِلَّهِ وَمَنْ كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَرْجِعَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ ﴾ وَهَذَا مِمَّا يَبِينُ مِنْ الْكَلَامِ عَلَى الْمَحَبَّةِ فَنَقُولُ .." (١)

"وكان قد استخار الله وعلم أن من سعادة ابن آدم استخارته لله ورضاه بما قسم له كان قد رضى بما هو خير له وفي الحديث الصحيح عن علي قال إن الله يقضي بالقضاء فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط ففي هذا الحديث الرضا والاستخارة فالرضا بعد القضاء والاستخارة قبل القضاء وهذا اكمل من الرضا والصبر فلهذا ذكر في ذاك الرضا وفي هذا الصبر ثم إذا كان القضاء مع الصبر خيرا له فكيف مع الرضا ولهذا جاء في الحديث المصاب من حرم الثواب فالأثر الذي رواه الشافعي في مسنده أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لما مات سمعوا قائلا يقول يا آل بيت رسول الله إن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا وإياه فارجوا فإن المصاب من حرم الثواب ولهذا لم نؤمر بالحزن المنافي للرضا قط مع أنه لا فائدة فيه فقد يكون مضرة لكنه يعفى عنه إذا لم يقترن به ما يكرهه الله لكن البكاء على الميت على وجه الرحمة حسن مستحب وذلك لا ينافي الرضا بخلاف البكاء عليه لفوات حظه منه وبهذا تعرف معنى قول النبي (صلى الله عليه وسلم) لما بكى على الميت وقال إن هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء وأن هذا ليس كبكاء من يبكي لحظه لا لرحمة الميت وأن الفضيل بن عياض لما مات ابنه على فضحك وقال رأيت أن الله قضى فأحببت أن أرضى بما قضى الله به حاله حال حسن بالنسبة إلى أهل الجزع وأما رحمة الميت مع الرضا بالقضاء وحمد الله كحال النبي (صلى الله عليه وسلم) فهذا أكمل قال تعالى البلد ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر

---

(١) التحفة العراقية في الأعمال القلبية، ص/٢١

وتواصوا بالمرحمة فذكر سبحانه التواصي بالصبر والرحمة والناس أربعة اقسام منهم من يكون فيه صبر بقسوة ومنهم من يكون فيه رحمة بجزع ومنهم من يكون فيه القسوة والجزع والمؤمن المحمود الذي يصبر على ما يصيبه ويرحم الناس وقد فطن طائفة من المصنفين في هذا الباب أن **الرضا عن الله** من توابع المحبة له وهذا إنما." (١)

"/لكن البكاء على الميت على وجه الرحمة حسن مستحب، وذلك لا ينافي الرضا، بخلاف البكاء عليه لفوات حظه منه، وبهذا يعرف معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لما بكى على الميت وقال : (إن هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء) ، فإن هذا ليس كبكاء من يبكي لحظه لا لرحمة الميت، فإن الفضيل بن عياض لما مات ابنه على فضحك وقال : رأيت أن الله قد قضى فأحببت أن أرضى بما قضى الله به، حاله حال حسن بالنسبة إلى أهل الجزع . وأما رحمة الميت مع الرضا بالقضاء وحمد الله ـ تعالى ـ كحال النبي صلى الله عليه وسلم فهذا أكمل . كما قال تعالى : ﴿ ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ﴾ [البلد : ١٧] ، فذكر ـ سبحانه ـ التواصي بالصبر والمرحمة .

والناس أربعة أقسام : منهم من يكون فيه صبر بقسوة . ومنهم من يكون فيه رحمة بجزع . ومنهم من يكون فيه القسوة والجزع . والمؤمن المحمود الذي يصبر على ما يصيبه ويرحم الناس .

وقد ظن طائفة من المصنفين في هذا الباب أن **الرضا عن الله** من توابع المحبة له، وهذا إنما يتوجه على المأخذ الأول وهو الرضا عنه لاستحقاقه ذلك بنفسه، مع قطع العبد النظر عن حظه، بخلاف المأخذ الثاني وهو : الرضا لعلمه بأن المقضي خير له، ثم إن المحبة متعلقة به والرضا متعلق بقضائه، لكن قد يقال في تقرير ما قال هذا المصنف ونحوه . إن المحبة لله نوعان : / محبة له نفسه، ومحبة له لما فيه من الإحسان، وكذلك الحمد له نوعان : حمد له على ما يستحقه نفسه، وحمد على إحسانه إلى عبده، فالنوعان للرضا كالنوعين للمحبة .." (٢)

" | وكان هديه في الجنائز أكمل هدي مخالفاً لهدي سائر الأمم مشتملاً على الإحسان إلى الميت وإلى أهله وأقاربه ، وعلى إقامة عبودية الحي فيما يعامل به الميت ، فكان من هديه إقامة عبودية الرب تعالى على أكمل الأحوال ، وتجهيز الميت إلى الله تعالى على أحسن الأحوال ، ووقوفه وأصحابه صفوفاً يحمدون الله ، ويستغفرون له ، ثم يمشي بين يديه إلى أن يودِعوه حفرته ، ثم يقوم هو وأصحابه على قبره سائلين له الثبات ، ثم يتعاهده بالزيارة إلى قبره ، والسلام عليه ، والدعاء له . | فأول ذلك تعاهده في مرضه ، وتذكيره الآخرة ، وأمره بالوصية والتوبة ، وأمر من حضره بتلقينه شهادة أن لا إله إلا الله ، لتكون آخر كلامه ، ثم نهى عن عادة الأمم التي لا تؤمن بالبعث من لطم الخدود ، ورفع الصوت بالندب والنياحة ، وتوابع ذلك . | وسن الخشوع للموت ، والبكاء الذي لا صوت معه ، وحزن القلب ، وكان يفعله ويقول : ' تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول إلا ما يرضي الربّ ' وسن لأمته الحمد والاسترجاع **والرضا عن الله** . | وكان من هديه الإسراع بتجهيز الميت إلى الله ، وتطهيره وتنظيفه وتطييبه ، وتكفينه في ثياب البياض ، ثم يؤتى به إليه ، فيصلي عليه بعد

---

(١) أمراض القلب وشفاؤها، ص/٨١

(٢) مفهوم الصبر عند ابن تيمية رحمه الله، ٢/٢١

أن كان يدعى له عند احتضاره ، فيقيم عنده حتى يقضي ، ثم يحضر تجهيزه ، ويصلي عليه ، ويشيّعهُ إلى قبره ، ثم رأى أصحابه أن ذلك يشق عليه ، فكانوا يجهزون ميتهم ، ثم يحملونه إليه ، فيصلي عليه خارج المسجد ، وربما كان يصلي أحياناً عليه في المسجد ، كما صلى على سهيل بن بيضاء وأخيه فيه .

---

(١) ".

" لهذا الرضى به فمن رضي بالله ربا رضيه الله له عبدا ومن رضي عنه في عطائه ومنعه وبلائه وعافيته : لم ينل بذلك درجة رضى الرب عنه إن لم يرض به ربا وبنبيه رسولا وبالإسلام دينا فإن العبد قد يرضى عن الله ربه فيما أعطاه وفيما منعه ولكن لا يرضى به وحده معبودا وإلها ولهذا إنما ضمن رضي العبد يوم القيامة لمن رضى به ربا كما قال النبي : من قال كل يوم : رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا إلا كان حقا على الله أن يرضيه يوم القيامة

فصل إذا عرف هذا فلنرجع إلى شرح كلامه قال : وبهذا الرضى نطق التنزيل

يشير إلى قوله عز و جل : قال الله : هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدارضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم المائدة : ١١٩ وقال تعالى فى آخر سورة المجادلة ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون وقال في آخر سورة لم يكن خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه

فتضمنت هذه الآيات : جزاءهم على صدقهم وإيمانهم وأعمالهم الصالحة ومجاهدة أعدائه وعدم ولا يتهم بأن رضي الله عنهم فأرضاهم فرضوا عنه وإنما حصل لهم هذا بعد الرضى به ربا وبمحمد نبيا وبالإسلام دينا قوله : وهو الرضى عنه في كل ما قضى ههنا ثلاثة أمور : الرضاء بالله **والرضا عن الله** والرضا بقضاء الله

فالرضى به فرض والرضى عنه وإن كان من أجل الأمور وأشرف أنواع العبودية فلم يطالب به العموم لعجزهم عنه ومشتقه عليهم وأوجبته طائفة كما أوجبوا الرضى به واحتجوا بحجج ." (٢)

"فإذا نويت خيرا فأبشر بالخير وإذا نويت غير ذلك فأنت وما ترتضي لنفسك .

لهذا من الخير أن تجعل أمانيك عظاما أن تجعل أمنياتك من الخيرات عظيمة وأن لا تقنع في أمرك مثلا في العلم والتعلم بشيء يسير بل كن كما قال الله جل وعلا في وصف المؤمنين الصالحين والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما (٧٢) والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا (٧٣) والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما (٧٤) أولئك يجزون الغرفة بما صبروا دعوا بدعوة قد يكونوا صاروا أئمة وقد لا يكونون لكن فضل الله جل وعلا يؤتيه من يشاء .

وثم فرق عظيم بين حب الإمامة في الدين وبين الترفع وحب الجاه والرغبة في أن ينظر الخلق إلى ذلك الرجل وقد ذكر هذا

---

(١) مختصر زاد المعاد، ص/٦٣

(٢) مدارج السالكين، ٢/١٨٧

الفرق ابن القيم وغيره .

فمصدر محبة الإمامة في الدين الرضا عن الله جل وعلا وعن شرعه ودينه والرغبة في الآخرة وقلب الرجل معلق بالآخرة ولا ينظر إلى الدنيا فهو يريد أن يكون إماما للمتقين لكي يهديهم إلى دين الله ولكي يبصرهم في أمر الله ونهيه وبما جاء في كتابه فيحب ذلك لا لنفسه ولكن محبة لدلالة الخلق على خالقهم وإرشاد الخلق إلى ما يرضي ربه جل وعلا .

وأما الآخر فمراده وقصده أن يكون له في الناس جاه وسمعه ورفعه إذا حصل له ذلك حصل له مبتغاه .

فهذا من الشيطان وأما الآخر فهو من الإخلاص .." (١)

"لكن البكاء على الميت على وجه الرحمة حسن مستحب وذلك لا ينافي الرضا ؛ بخلاف البكاء عليه لفوات حظه منه وبهذا يعرف معنى ﴿ قول النبي صلى الله عليه وسلم لما بكى الميت وقال : إن هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء ﴾ فإن هذا ليس كبكاء من يبكي لحظه لا لرحمة الميت ؛ فإن الفضيل بن عياض لما مات ابنه علي فضحك وقال : رأيت أن الله قد قضى فأحببت أن أرضى بما قضى الله به : حاله حال حسن بالنسبة إلى أهل الجزع . وأما رحمة الميت مع الرضا بالقضاء وحمد الله تعالى كحال النبي صلى الله عليه وسلم فهذا أكمل . كما قال تعالى : ﴿ ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ﴾ فذكر سبحانه التواصي بالصبر والمرحمة . والناس " أربعة أقسام " : منهم من يكون فيه صبر بقسوة . ومنهم من يكون فيه رحمة بجزع . ومنهم من يكون فيه القسوة والجزع . والمؤمن المحمود الذي يصبر على ما يصيبه ويرحم الناس . وقد ظن طائفة من المصنفين في هذا الباب أن الرضا عن الله من توابع المحبة له وهذا إنما يتوجه على " المأخذ الأول " وهو الرضا عنه لاستحقاقه ذلك بنفسه مع قطع العبد النظر عن حظه بخلاف " المأخذ الثاني " وهو الرضا لعلمه بأن المقضي خير له ثم إن المحبة متعلقة به والرضا متعلق بقضائه لكن قد يقال في تقرير ما قال هذا المصنف ونحوه . إن المحبة لله نوعان :." (٢)

"ص -٤٧- لكن البكاء على الميت على وجه الرحمة حسن مستحب، وذلك لا ينافي الرضا، بخلاف البكاء عليه لفوات حظه منه، وبهذا يعرف معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لما بكى على الميت وقال : "إن هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء " ، فإن هذا ليس كبكاء من يبكي لحظه لا لرحمة الميت، فإن الفضيل بن عياض لما مات ابنه علي فضحك وقال : رأيت أن الله قد قضى فأحببت أن أرضى بما قضى الله به، حاله حال حسن بالنسبة إلى أهل الجزع . وأما رحمة الميت مع الرضا بالقضاء وحمد الله تعالى كحال النبي صلى الله عليه وسلم فهذا أكمل . كما قال تعالى : ﴿ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ﴾ [البلد : ١٧] ، فذكر سبحانه التواصي بالصبر والمرحمة .

والناس أربعة أقسام : منهم من يكون فيه صبر بقسوة . ومنهم من يكون فيه رحمة بجزع . ومنهم من يكون فيه القسوة والجزع . والمؤمن المحمود الذي يصبر على ما يصيبه ويرحم الناس .

---

(١) شرح العقيدة الواسطية /صالح آل الشيخ، ٥٨/٢

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ٤٧/١٠

وقد ظن طائفة من المصنفين في هذا الباب أن **الرضا عن الله** من توابع المحبة له، وهذا إنما يتوجه على المأخذ الأول وهو الرضا عنه لاستحقاقه ذلك بنفسه، مع قطع العبد النظر عن حظه، بخلاف المأخذ الثاني وهو : الرضا لعلمه بأن المقضي خير له، ثم إن المحبة متعلقة به والرضا متعلق بقضائه، لكن قد يقال في تقرير ما قال هذا المصنف ونحوه . إن المحبة لله نوعان :." (١)

"وأما رحمة الميت مع الرضا بالقضاء وحمد الله تعالى كحال النبي صلى الله عليه وسلم فهذا أكمل . كما قال تعالى : ﴿ ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ﴾ فذكر سبحانه التواصي بالصبر والمرحمة . والناس " أربعة أقسام " : منهم من يكون فيه صبر بقسوة . ومنهم من يكون فيه رحمة بجزع . ومنهم من يكون فيه القسوة والجزع . والمؤمن المحمود الذي يصبر على ما يصيبه ويرحم الناس . وقد ظن طائفة من المصنفين في هذا الباب أن **الرضا عن الله** من توابع المحبة له وهذا إنما يتوجه على " المأخذ الأول " وهو الرضا عنه لاستحقاقه ذلك بنفسه مع قطع العبد النظر عن حظه بخلاف " المأخذ الثاني " وهو الرضا لعلمه بأن المقضي خير له ثم إن المحبة متعلقة به والرضا متعلق بقضائه لكن قد يقال في تقرير ما قال هذا المصنف ونحوه . إن المحبة لله نوعان : محبة له نفسه ومحبة له لما فيه من الإحسان وكذلك الحمد له نوعان : حمد له على ما يستحقه نفسه وحمد على إحسانه إلى عبده فالنوعان للرضا كالنوعين للمحبة .." (٢)

"وأما رحمة الميت مع الرضا بالقضاء وحمد الله تعالى كحال النبي صلى الله عليه وسلم فهذا أكمل . كما قال تعالى : ﴿ ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ﴾ فذكر سبحانه التواصي بالصبر والمرحمة . والناس " أربعة أقسام " : منهم من يكون فيه صبر بقسوة . ومنهم من يكون فيه رحمة بجزع . ومنهم من يكون فيه القسوة والجزع . والمؤمن المحمود الذي يصبر على ما يصيبه ويرحم الناس . وقد ظن طائفة من المصنفين في هذا الباب أن **الرضا عن الله** من توابع المحبة له وهذا إنما يتوجه على " المأخذ الأول " وهو الرضا عنه لاستحقاقه ذلك بنفسه مع قطع العبد النظر عن حظه بخلاف " المأخذ الثاني " وهو الرضا لعلمه بأن المقضي خير له ثم إن المحبة متعلقة به والرضا متعلق بقضائه لكن قد يقال في تقرير ما قال هذا المصنف ونحوه . إن المحبة لله نوعان : محبة له نفسه ومحبة له لما فيه من الإحسان وكذلك الحمد له نوعان : حمد له على ما يستحقه نفسه وحمد على إحسانه إلى عبده فالنوعان للرضا كالنوعين للمحبة .." (٣)

"لكن البكاء على الميت على وجه الرحمة حسن مستحب وذلك لا ينافي الرضا؛ بخلاف البكاء عليه لفوات حظه منه وبهذا يعرف معنى ﴿قول النبي صلى الله عليه وسلم لما بكى الميت وقال: إن هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء﴾ فإن هذا ليس كبكاء من يبكي لحظه لا لرحمة الميت؛ فإن الفضيل بن عياض لما مات ابنه علي فضحك وقال: رأيت أن الله قد قضى فأحببت أن أرضى بما قضى الله به: حاله حال حسن بالنسبة إلى أهل الجزع. وأما رحمة الميت مع الرضا بالقضاء وحمد الله تعالى كحال النبي صلى الله عليه وسلم فهذا أكمل. كما قال تعالى: ﴿ثم كان

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٥٠/١٥٥

(٢) فلسفة السعادة عند ابن تيمية، ١٩٦/٢

(٣) فلسفة السعادة عند ابن تيمية، ٢٠٦/٢

من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة﴾ فذكر سبحانه التواصي بالصبر والمرحمة. والناس " أربعة أقسام ": منهم من يكون فيه صبر بقسوة. ومنهم من يكون فيه رحمة بجزع. ومنهم من يكون فيه القسوة والجزع. والمؤمن المحمود الذي يصبر على ما يصيبه ويرحم الناس. وقد ظن طائفة من المصنفين في هذا الباب أن **الرضا عن الله** من توابع المحبة له وهذا إنما يتوجه على " المأخذ الأول " وهو الرضا عنه لاستحقاقه ذلك بنفسه مع قطع العبد النظر عن حظه بخلاف " المأخذ الثاني " وهو الرضا لعلمه بأن المقضي خير له ثم إن المحبة متعلقة به والرضا متعلق بقضائه لكن قد يقال في تقرير ما قال هذا المصنف ونحوه. إن المحبة لله نوعان:." (١)

"وكان قد استخار الله وعلم أن من سعادة ابن آدم استخارته لله ورضاه بما قسم له كان قد رضى بما هو خير له وفي الحديث الصحيح عن علي قال إن الله يقضي بالقضاء فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط ففي هذا الحديث الرضا والاستخارة فالرضا بعد القضاء والاستخارة قبل القضاء وهذا اكمل من الرضا والصبر فلهذا ذكر في ذاك الرضا وفي هذا الصبر ثم إذا كان القضاء مع الصبر خيرا له فكيف مع الرضا ولهذا جاء في الحديث المصاب من حرم الثواب فالأثر الذي رواه الشافعي في مسنده أن النبي صلى الله عليه وسلم لما مات سمعوا قائلا يقول يا آل بيت رسول الله إن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا وإياه فارجوا فإن المصاب من حرم الثواب ولهذا لم نؤمر بالحزن المنافي للرضا قط مع أنه لا فائدة فيه فقد يكون مضرة لكنه يعفى عنه إذا لم يقترن به ما يكرهه الله لكن البكاء على الميت على وجه الرحمة حسن مستحب وذلك لا ينافي الرضا بخلاف البكاء عليه لفوات حظه منه وبهذا تعرف معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لما بكى على الميت وقال إن هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء وأن هذا ليس كبكاء من يبكي لحظه لا لرحمة الميت وأن الفضيل بن عياض لما مات ابنه على فضحك وقال رأيت أن الله قضى فأحببت أن أرضى بما قضى الله به حاله حال حسن بالنسبة إلى أهل الجزع وأما رحمة الميت مع الرضا بالقضاء وحمد الله كحال النبي صلى الله عليه وسلم فهذا أكمل قال تعالى البلد ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة فذكر سبحانه التواصي بالصبر والرحمة والناس أربعة اقسام منهم من يكون فيه صبر بقسوة ومنهم من يكون فيه رحمة بجزع ومنهم من يكون فيه القسوة والجزع والمؤمن المحمود الذي يصبر على ما يصيبه ويرحم الناس وقد فطن طائفة من المصنفين في هذا الباب أن **الرضا عن الله** من توابع المحبة له وهذا إنما يتوجه على المأخذ الأول وهو الرضا عنه لاستحقاقه ذلك بنفسه مع قطع العبد النظر عن حظه بخلاف المأخذ الثاني وهو الرضا لعلمه بأن المقضي خير له ثم إن المحبة متعلقة به والرضا متعلق بقضائه لكن قد يقال في تقرير ما قال هذا المصنف ونحوه إن المحبة لله نوعان محبة له نفسه ومحبة لما منهم من الاحسان وكذلك الحمد له نوعان حمد لله على ما يستحقه بنفسه وحمد على إحسانه لعبده فالنوعان للرضا كالنوعين للمحبة وأما الرضا به وبدينه وبرسوله فذلك من." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٤٧/١٠

(٢) التحفة العراقية ابن تيمية ص/٥٨

"وكان قد استخار الله وعلم أن من سعادة ابن آدم استخارته لله ورضاه بما قسم له كان قد رضى بما هو خير له وفي الحديث الصحيح عن علي قال إن الله يقضي بالقضاء فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط ففي هذا الحديث الرضا والاستخارة فالرضا بعد القضاء والاستخارة قبل القضاء وهذا اكمل من الرضا والصبر فلهذا ذكر في ذاك الرضا وفي هذا الصبر ثم إذا كان القضاء مع الصبر خيرا له فكيف مع الرضا ولهذا جاء في الحديث المصاب من حرم الثواب فالأثر الذي رواه الشافعي في مسنده أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لما مات سمعوا قائلا يقول يا آل بيت رسول الله إن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا وإياه فارجوا فإن المصاب من حرم الثواب ولهذا لم نؤمر بالحزن المنافي للرضا قط مع أنه لا فائدة فيه فقد يكون مضرة لكنه يعفى عنه إذا لم يقترن به ما يكرهه الله لكن البكاء على الميت على وجه الرحمة حسن مستحب وذلك لا ينافي الرضا بخلاف البكاء عليه لفوات حظه منه وبهذا تعرف معنى قول النبي (صلى الله عليه وسلم) لما بكى على الميت وقال إن هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء وأن هذا ليس كبكاء من يبكي لحظه لا لرحمة الميت وأن الفضيل بن عياض لما مات ابنه على فضحك وقال رأيت أن الله قضى فأحببت أن أرضى بما قضى الله به حاله حال حسن بالنسبة إلى أهل الجزع وأما رحمة الميت مع الرضا بالقضاء وحمد الله كحال النبي (صلى الله عليه وسلم) فهذا أكمل قال تعالى البلد ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة فذكر سبحانه التواصي بالصبر والرحمة والناس أربعة اقسام منهم من يكون فيه صبر بقسوة ومنهم من يكون فيه رحمة بجزع ومنهم من يكون فيه القسوة والجزع والمؤمن المحمود الذي يصبر على ما يصيبه ويرحم الناس وقد فطن طائفة من المصنفين في هذا الباب أن الرضا عن الله من توابع المحبة له وهذا إنما يتوجه على المأخذ الأول وهو الرضا عنه لاستحقاقه ذلك بنفسه مع قطع العبد النظر عن حظه بخلاف المأخذ الثاني وهو الرضا لعلمه بأن المقضي خير له ثم إن المحبة متعلقة به والرضا متعلق بقضائه لكن قد يقال في تقرير ما قال هذا المصنف ونحوه إن المحبة لله نوعان محبة له نفسه ومحبة لما منهم من الاحسان وكذلك الحمد له نوعان حمد لله على ما يستحقه بنفسه وحمد على إحسانه لعبده فالنوعان للرضا كالنوعين للمحبة وأما الرضا به وبدينه وبرسوله فذلك من." (١)

"الأرض. والمغتر العاجز قد فرط فيما أمر به، وزعم أنه واثق بالله. والثقة إنما تصح بعد بذل المجهود.

ومنه: اشتباه الطمأنينة إلى الله والسكون إليه، بالطمأنينة إلى المعلوم، وسكون القلب إليه. ولا يميز بينهما إلا صاحب البصيرة. كما يذكر عن أبي سليمان الداراني: أنه رأى رجلا بمكة لا يتناول شيئا إلا شربة من ماء زمزم. فمضى عليه أيام. فقال له أبو سليمان يوما: أرأيت لو غارت زمزم، أي شيء كنت تشرب؟ فقام وقبل رأسه، وقال: جزاك الله خيرا، حيث أرشدتني. فإني كنت أعبد زمزم منذ أيام. ثم تركه ومضى.

وأكثر المتوكلين سكونهم وطمأنينتهم إلى المعلوم. وهم يظنون أنه إلى الله، وعلامة ذلك أنه متى انقطع معلوم أحدهم حضره همه وبثه وخوفه. فعلم أن طمأنينته وسكونه لم يكن إلى الله.

ومنه: اشتباه الرضا عن الله بكل ما يفعل بعبده - مما يحبه ويكرهه - بالعزم على ذلك، وحديث النفس به. وذلك شيء

---

(١) أمراض القلوب وشفاؤها ابن تيمية ص/٥٨

والحقيقة شيء آخر. كما يحكى عن أبي سليمان أنه قال: أرجو أن أكون أعطيت طرفا من الرضا، لو أدخلني النار لكنت بذلك راضيا.

فسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: هذا عزم منه على الرضا وحديث نفس به. ولو أدخله النار لم يكن من ذلك شيء. وفرق بين العزم على الشيء وبين حقيقته.

ومنه اشتباه علم التوكل بحال التوكل. فكثير من الناس يعرف التوكل وحقيقته وتفاصيله. فيظن أنه متوكل. وليس من أهل التوكل. فحال التوكل أمر آخر من وراء العلم به. وهذا كمعرفة المحبة والعلم بها وأسبابها ودواعيها. وحال المحب العاشق وراء ذلك. وكمعرفة علم الخوف، وحال الخائف وراء ذلك. وهو شبيه بمعرفة المريض ماهية الصحة وحقيقتها وحاله بخلافها.

فهذا الباب يكثر اشتباه الدعاوي فيه بالحقائق، والعوارض بالمطالب، والآفات القاطعة بالأسباب الموصلة. والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

[فصل تعلق التوكل بالأسماء الحسنى]

فصل

التوكل من أعم المقامات تعلقا بالأسماء الحسنى.

فإن له تعلقا خاصا بعامة أسماء الأفعال، وأسماء الصفات.

فله تعلق باسم الغفار، والتواب، والعفو، والرءوف، والرحيم وتعلق باسم." (١)

"أحدها: أن يكون الله عز وجل أحب شيء إلى العبد. وهذه تعرف بثلاثة أشياء أيضا.

أحدها: أن تسبق محبته إلى القلب كل محبة. فتتقدم محبته المحاب كلها.

الثاني: أن تقهر محبته كل محبة. فتكون محبته إلى القلب سابقة قاهرة، ومحبة غيره متخلفة مقهورة مغلوبة منطوية في محبته.

الثالث: أن تكون محبة غيره تابعة لمحبته. فيكون هو المحبوب بالذات والقصد الأول. وغيره محبوبا تبعا لحبه. كما يطاع تبعا لطاعته. فهو في الحقيقة المطاع المحبوب.

وهذه الثلاثة في كونه أولى الأشياء بالتعظيم والطاعة أيضا.

فالحاصل: أن يكون الله وحده المحبوب المعظم المطاع. فمن لم يحبه ولم يطعه. ولم يعظمه: فهو متكبر عليه. ومتى أحب معه سواه، وعظم معه سواه، وأطاع معه سواه: فهو مشرك. ومتى أفرده وحده بالحب والتعظيم والطاعة فهو عبد موحد. والله سبحانه وتعالى أعلم.

[فصل الدرجة الثانية **الرضا عن الله**]

فصل

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١٢٤/٢

قال: الدرجة الثانية: **الرضا عن الله**. وبهذا نطقت آيات التنزيل. وهو الرضا عنه في كل ما قضى وقدر. وهذا من أوائل مسالك أهل الخصوص.

الشيخ جعل هذه الدرجة أعلى من الدرجة التي قبلها.

ووجه قوله: أنه لا يدخل في الإسلام إلا بالدرجة الأولى. فإذا استقر قدمه عليها دخل في مقام الإسلام.

وأما هذه الدرجة: فمن معاملات القلوب. وهي لأهل الخصوص. وهي الرضا عنه في أحكامه وأقضيته.

وإنما كان من أول مسالك أهل الخصوص لأنه مقدمة للخروج عن النفس، والذي هو طريق أهل الخصوص، فمقدمته بداية سلوكهم. لأنه يتضمن خروج العبد عن حظوظه، ووقوفه مع مراد الله عز وجل. لا مع مراد نفسه.

هذا تقرير كلامه. وفي جعله هذه الدرجة أعلى من التي قبلها نظر لا يخفى، وهو نظير جعله الصبر بالله أعلى من الصبر لله.

والذي ينبغي: أن تكون الدرجة الأولى أعلى شأنا وأرفع قدرا. فإنها مختصة وهذه." (١)

"إذا عرف هذا فلنرجع إلى شرح كلامه. قال: وبهذا الرضا نطق التنزيل.

يشير إلى قوله: عز وجل ﴿قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم﴾ [المائدة: ١١٩] . وقال تعالى في آخر سورة المجادلة ﴿ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾ [المجادلة: ٢٢] وفي آخر سورة لم يكن ﴿خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه﴾ [البينة: ٨] .

فتضمنت هذه الآيات: جزاءهم على صدقهم وإيمانهم، وأعمالهم الصالحة، ومجاهدة أعدائه، وعدم ولايتهم، بأن رضي الله عنهم. فأرضاهم. فرضوا عنه. وإنما حصل لهم هذا بعد الرضا به ربا، وبمحمد نبيا، وبالإسلام دينا.

قوله: وهو الرضا عنه في كل ما قضى.

هاهنا ثلاثة أمور: الرضاء بالله، **والرضا عن الله**، والرضا بقضاء الله.

فالرضا به فرض. والرضا عنه – وإن كان من أجل الأمور وأشرف أنواع العبودية – فلم يطالب به العموم. لعجزهم ومشقته عليهم. وأوجبته طائفة كما أوجبوا الرضا به، واحتجوا بحجج.

منها: أنه إذا لم يكن راضيا عن ربه فهو ساخط عليه. إذ لا واسطة بين الرضا والسخط. وسخط العبد على ربه مناف لرضاه به ربا.

قالوا: وأيضا فعدم رضاه عنه يستلزم سوء ظنه به، ومنازعته له في اختياره لعبده، وأن الرب تبارك وتعالى يختار شيئا ويرضاه فلا يختاره العبد ولا يرضاه، وهذا مناف للعبودية.

قالوا: وفي بعض الآثار الإلهية من لم يرض بقضائي، ولم يصبر على بلائي.." (٢)

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١٨٠/٢

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١٨٤/٢

"قلت: العبد إذا شهد عجز نفسه، ونفوذ الأقدار فيه، وكمال فقره إلى ربه، وعدم استغنائه عن عصمته وحفظه طرفة عين – كان بالله في هذه الحال، لا بنفسه فوقوع الذنب منه لا يتأتى في هذه الحال ألبتة. فإن عليه حصنا حصينا من: فبي يسمع وبي يبصر. وبي يبطش، وبي يمشي. فلا يتصور منه الذنب في هذه الحال. فإذا حجب عن هذا المشهد، وسقط إلى وجوده الطبيعي، وبقي بنفسه: استولى عليه حكم النفس والطبع والهوى. وهذا الوجود الطبيعي قد نصبت فيه الشباك والأشراك، وأرسلت عليه الصيادون. فلا بد أن يقع في شبكة من تلك الشباك، وشرك من تلك الأشراك. وهذا الوجود هو حجاب بينه وبين ربه، فعند ذلك يقع الحجاب. ويقوى المقتضى، ويضعف المانع. وتشتد الظلمة، وتضعف القوى، فأنى له بالخلاص من تلك الأشراك والشباك؟ فإذا انقشع ضباب ذلك الوجود الطبيعي، وانجاب ظلامه، وزال قتامه، وصرت بربك ذاهبا عن نفسك وطبعك.

بدا لك سر طال عنك اكتتامه ... ولاح صباح كنت أنت ظلامه

فإن غبت عنه حل فيه، وطنبت ... على منكب الكشف المصون خيامه

فأنت حجاب القلب عن سر غيبه ... ولولاك لم يطبع عليه ختامه

وجاء حديث لا يمل سماعه ... شهي إلينا نثره ونظامه

إذا ذكرته النفس زال عناؤها ... وزال عن القلب المعنى قتامه

فهنالك يحضره الندم والتوبة والإنابة. فإنه كان في المعصية بنفسه، محجوبا فيها عن ربه، وعن طاعته. فلما فارق ذلك الوجود، وصار في وجود آخر: بقي بربه لا بنفسه.

وإذا عرف هذا، فالتوبة والندم يكونان في هذا الوجود الذي هو فيه بربه. وذلك لا ينافي مشهد الحكمة والقيومية، بل يجامعه ويستمد منه. وبالله التوفيق.

قوله: ويصح بثلاثة شرائط: باستواء الحالات عند العبد. وسقوط الخصومة مع الخلق، والخلاص من المسألة والإلحاح.

يعني: أن الرضا عن الله إنما يتحقق بهذه الأمور الثلاثة. فإن الرضا الموافق." (١)

"فقيل له: أتضحك وقد مات ابنك؟ فقال: إن الله قضى بقضاء فأحببت أن أرضى بقضائه.

فأنكرت طائفة هذه المقالة على الفضيل. وقالوا: رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى يوم مات ابنه. وأخبر أن «القلب يحزن، والعين تدمع» . وهو في أعلى مقامات الرضا. فكيف يعد هذا من مناقب الفضيل؟

والتحقيق: أن قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم اتسع لتكميل جميع المراتب، من الرضا عن الله، والبكاء رحمة للصبي. فكان له مقام الرضا، ومقام الرحمة ورقة القلب. والفضيل لم يتسع قلبه لمقام الرضا ومقام الرحمة. فلم يجتمع له الأمران والناس في ذلك على أربع مراتب.

أحدها: من اجتمع له الرضا بالقضاء ورحمة الطفل. فدمعت عيناه رحمة والقلب راض.

الثاني: من غيبه الرضا عن الرحمة. فلم يتسع للأمرين. بل غيبه أحدهما عن الآخر.

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢/١٩٨

الثالث: من غيبته الرحمة والرقة عن الرضا فلم يشهده، بل فني عن الرضا.

الرابع: من لا رضا عنده ولا رحمة. وإنما يكون حزنه لفوات حظه من الميت. وهذا حال أكثر الخلق. فلا إحسان. ولا رضا عن الرحمن. والله المستعان.

فالأول في أعلى مراتب الرضا. والثاني دونه. والثالث دون الثاني. والرابع هو الساخط.

السادس والعشرون: أن الرضا هو اختيار ما اختاره الله لعبده. والسخط كراهة ما اختاره الله له، وهذا نوع محادة. فلا يتخلص منه إلا بالرضا عن الله في جميع الحالات.

السابع والعشرون: أن الرضا يخرج الهوى من القلب. فالراضي هواه تبع لمراد ربه منه. أعني المراد الذي يحبه ربه ويرضاه. فلا يجتمع الرضا واتباع الهوى في القلب أبدا، وإن كان معه شعبة من هذا وشعبة من هذا، فهو للغالب عليه منهما.

الثامن والعشرون: أن الرضا عن الله في جميع الحالات يثمر للعبد رضا الله عنه –كما تقدم بيانه في الرضا به – فإن الجزاء من جنس العمل. وفي أثر إسرائيلي «أن موسى صلى الله عليه وسلم سأل ربه عز وجل: ما يدني من رضاه؟ فقال: إن رضاي في رضاك بقضائي» .." (١)

"تريد أنها راضية بمواقع القدر. لا يسوؤها منه شيء إلا صرفها عن الإسلام. ولا سبيل له إليه.

وقال الثوري يوما عند رابعة: اللهم ارض عنا. فقالت: أما تستحي أن تسأله الرضا عنك، وأنت غير راض عنه؟ فقال: أستغفر الله، ثم قال لها جعفر بن سليمان: متى يكون العبد راضيا عن الله؟ فقالت: إذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة.

وفي أثر إلهي: ما لأوليائي والهم بالدنيا؟ إن الهم بالدنيا يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم.

وقيل: أكثر الناس هما بالدنيا أكثرهم هما في الآخرة. وأقلهم هما بالدنيا أقلهم هما في الآخرة.

فالإيمان بالقدر، والرضا به: يذهب عن العبد الهم والغم والحزن.

وذكر عند رابعة ولي لله قوته من المزابل. فقال رجل عندها: ما ضر هذا أن يسأل الله أن يجعل رزقه في غير هذا؟ فقالت: اسكت يا بطال. أما علمت أن أولياء الله هم أرضى عنه من أن يسألوه أن ينقلهم إلى معيشة حتى يكون هو الذي يختار لهم؟

وفي أثر إسرائيلي أن موسى صلى الله عليه وسلم: سأل ربه عما فيه رضاه؟ فأوحى الله إليه: إن رضاه في كرهك، وأنت لا تصبر على ما تكره. فقال: يا رب، دلني عليه. فقال: إن رضاه في رضاك بقضائي.

وفي أثر آخر: أن موسى عليه السلام قال: يا رب، أي خلقك أحب إليك؟ فقال: من إذا أخذت منه محبوبه سالمني. قال: فأي خلقك أنت عليه ساخط؟ قال: من استخارني في أمر فإذا قضيته له سخط قضائي.

وفي أثر آخر: أنا الله. لا إله إلا أنا، قدرت التقادير، ودبرت التدابير، وأحكمت الصنع. فمن رضي فله الرضا مني حتى يلقاني. ومن سخط فله السخط حتى يلقاني.

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢٠٢/٢

الثاني والخمسون: أن أفضل الأحوال: الرغبة في الله ولوازمها. وذلك لا يتم إلا باليقين، **والرضا عن الله**. ولهذا قال سهل: حظ الخلق من اليقين على قدر حظهم من الرضا. وحظهم من الرضا على قدر رغبتهم في الله.

الثالث والخمسون: أن الرضا يخلصه من عيب ما لم يعبه الله. ومن ذم ما لم يذمه الله. فإن العبد إذا لم يرض بالشيء عابه بأنواع المعايب. وذمه بأنواع المذام. وذلك منه قلة حياء من الله. وذم لما ليس له ذنب، وعيب لخلقه. وذلك يسقط العبد من عين ربه. ولو أن رجلا صنع لك طعاما وقدمه إليك فعبته وذممته، لكنت متعرضا لمقته وإهانته، ومستدعيا منه: أن يقطع ذلك عنك. وقد قال بعض العارفين: إن ذم المصنوع وعيبه -." [1]

"واليقين، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط" (١).

وقد تقدم الأثر (٢) الذي ذكره أحمد في كتاب الزهد: "أنا الله، إذا رضيت باركت، وليس لبركتي منتهى. وإذا غضبت لعنت، ولعنتي

= والطريق المثبت أصحها. انظر: علل الدارقطني (٥/ ٢٧٣) وشعب الإيمان (٩٨٩١). وعليه فالحديث ضعيف الإسناد للإبهام في قوله (عمن أخبره).

وقد جاء من حديث حذيفة بنحوه من طريق قدامة عن أبيه زائدة بن قدامة عن عاصم عن زر بن حبيش عن حذيفة. أخرجه البزار في مسنده (٢٩١٤) قال الهيثمي في المجمع (٤/ ٧١): "وفيه قدامة بن زائدة بن قدامة ولم أجد من ترجمه".

قلت: روى عن أبيه، وروى عنه ابنه وجماعة. انظر الثقات لابن حبان (٨/ ٢٥٨) ونوادر الأصول (٩٠ ق/أ).

وورد معناه من حديث جابر، رواه الوليد بن مسلم وحجاج بن محمد وعبد المجيد بن أبي رواد ومحمد بن بكر، كلهم عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر رفعه: "يا أيها الناس إن أحدكم لن يموت حتى يستكمل رزقه، ولا تستبطئوا الرزق، واتقوا الله، وأجملوا في الطلب، وخذوا ما حل، وذروا ما حرم". أخرجه ابن ماجه (٢١٤٤) والقضاعي في مسنده (١١٥٢) وابن الجارود (٥٥٦) والحاكم ٢/ ٥ (٢١٣٥) وغيرهم.

ورواه عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن محمد بن المنكدر عن جابر فذكره. أخرجه ابن حبان (٣٢٣٩) والحاكم ٢/ ٤ - ٥ (٢١٣٤).

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في **الرضا عن الله** بقضائه (٩٤). ومن طريقه البيهقي في الشعب (٢٠٥) وابن عساكر في تاريخه (٣٣/ ٦٧٥)، من طريق أبي هارون المديني عن ابن مسعود، فذكره موقوفا. ورجاله ثقات، لكن فيه انقطاع، أبو هارون لم يدرك ابن مسعود.

وقد روي هذا مرفوعا من حديث ابن مسعود وأبي سعيد الخدري، ولا يصح. راجع شعب الإيمان للبيهقي (٢٠٣، ٢٠٤).

(٢) في ص (٣٠).." [2]

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢/٢١٣

(٢) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٢٠٠

"وهذا يدل أن ما يعملون من خير أو شر إنما يعملون لأنفسهم، ولمنفعة ترجع إليهم، أو مضرة تندفع عنهم.

والثاني: (رضي الله عنهم) بما أكرمهم من الثواب لأعمالهم التي عملوا لأنفسهم، ورضوا عنه بكرامته التي أكرمهم.

وقوله - عز وجل -: (رضي الله عنهم) هذا منه إفضال وإنعام؛ حيث ذكر رضاه عنهم، وإن ذكر العفو والتجاوز كان حقا، ولكن هذا كما ذكر من لطيف معاملته عباده؛ حيث سمى ما ادخروا في وقت حاجتهم إليه: قرضا؛ حيث قال: (. . . وأقرضوا الله قرضا حسنا. . .)، وسمى بذلهم أنفسهم وأموالهم سرا، وما يعملون لأنفسهم - جزاء وشكرا، وأموالهم وأنفسهم في الحقيقة له، ولكن سمى بالذي ذكرنا؛ لطفا منه وفضلا؛ فعلى ذلك ما ذكر من رضاه عنهم به، وكذلك قوله: (ورضوا عنه) وذكر رضاهم عنه بفضله ولطفه، وإلا من هم حتى يذكر منهم **الرضا عن الله** تعالى؟!.

ثم هو يخرج على وجهين سوى ما ذكرنا:

أحدهما: رضوا عنه بما امتحنهم في الدنيا بالمحن الشديدة العظيمة، وإن اشتدت تلك، وثقلت على أنفسهم إذا رأوا إحسان الله - تعالى - وفضله في الآخرة.

والثاني: رضوا عنه بالنعم التي أكرمهم في الجنة، (. . . لا يبغون عنها حولا)، ولا يريدون غيرها، ولا يملون على ما يملون في الدنيا.

قال أبو عوسجة: (منفكين)، أي: لا يزالون على هذه الحال، يقول الرجل: ما انفككت أفعل كذا وكذا، أي: ما زلت أفعل كذا وكذا.

وقال القتبي وأبو عبيد وغيرهما: المنفكين: زائلين.

وقوله - عز وجل -: (ذلك لمن خشي ربه):

أي: الذي ذكر من الجزاء لمن خشي نقمته، أو خشي سوء صحبة نعمه، وأصله أن من اجتنب المعاصي وعمل بالطاعات، فإنما يفعل ذلك؛ لخشية ربه - تعالى - وكل من كان أعلم بربه فهو أخشى لربه تعالى، ومن كان أجهل به فهو أجرأ؛ قال الله - تعالى -: (. . . إنما يخشى الله من عباده العلماء. . .).

وقال الحسن: الخشية: هي الخوف اللازم في القلب الدائم فيه، أو خشي خلافه وكفران نعمه، والله أعلم، والحمد لله رب العالمين.

* * *." (١)

"وقد كلفت الأخ الفاضل الدكتور سليمان بن عبد الله الميمان بالحصول على نسخ خطية للكتاب تعود إلى عصر المؤلف، وقد تأخر الأمر عليَّ أكثر من عامٍ ونصف فاجتهدت في ضبط النص على النسخ المطبوعة مع الرجوع إلى موارد

---

(١) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، أبو منصور المَاتُرِيدي ١٠/٥٩٥

المصنف من كتب السنة المشرفة. أما التخريج فجعلته مختصرًا على ما يذكره المصنف خشية تضخم حواشي الكتاب. وفيما يتعلق بالصحيحين فقد أحلت إلى صحيح البخاري بالجزء والصفحة على الطبعة الأميرية ثم أردفته برقم الحديث من فتح الباري ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، وأحلت إلى صحيح مسلم بالجزء والصفحة للطبعة الإستانبولية ثم أردفته برقم الحديث في طبعة محمد فؤاد عبد الباقي؛ وذلك لانتشار هذه الطبعات وتداولها. وأما التعليق على الأحاديث فقد شرحت بعض الغريب الذي لم يذكره المصنف وعلّقت على بعض الأشياء مما يحتاجه المسلم في حياته وعبادته، وكان جُلُّ ذلك بالاعتماد على كتب أهل العلم لا سيما كتاب شرح النووي على صحيح مسلم، وفتح الباري، وشرح رياض الصالحين للعلامة ابن عثيمين رحم الله الجميع.

وأنا أنصح كل مسلم بالاهتمام بهذا الكتاب العظيم كتاب " رياض

الصالحين "، وأنصح بمداومة قراءته مرة بعد مرة، والاهتمام بحفظ أحاديثه، وعلى صاحب العائلة أَنْ يفقّه عائلته بهذا الكتاب. وكذا أنصح كل مسلم بالاهتمام بتوحيد الله «فَإِنَّ التَّوحيدَ حقيقتُهُ: أَنْ تَرى الأُمورَ كُلَّها مِنَ اللهِ تَعالى رؤيةً تقطعُ الالتفاتَ عن الأسبابِ والوسائطِ، فلا ترى الخيرَ والشَّرَّ إلاَّ منه تعالى. وهذا المقامُ يُثمرُ التوكُّلَ، وتركَ شِكايةِ الخلقِ، وتركَ لومِهِم، والرِّضا عن اللهِ تعالى، والتّسليمَ لحكمِه.

وإذا عرفتَ ذلكَ؛ فاعلمْ أَنَّ الرُّبوبيَّةَ منه تعالى لعبادِهِ، والتَّأَلُّه من عبادِهِ له سبحانه، كما أَنَّ الرحمةَ هي الوصلةُ بينهم وبينَهُ - عز وجل.

واعلَم أَنَّ أَنْفسَ الأَعمالِ، وأَجلَّها قدرًا: توحيدُ اللهِ تعالى غَير أَنَّ التوحيدَ له قِشران:

الأوَّل: أَنْ تقولَ بِلِسَانِك: «لا إله إلاَّ الله» ويُسمَّى هذا القولُ: توحيدًا، وهو مناقضُ التَّثْليثِ الذي تعتقدُه النَّصارى.

وهذا التوحيدُ يصدُرُ - أَيضًا - من المنافقِ الَّذي يُخالفُ سرُّه جهرَه.

والقِشْرُ الثَّاني: أَنْ لا تكونَ في القلبِ مخالفةٌ، ولا إنكارٌ لمفهومِ هذا القولِ، بل يشتملُ القلبُ على اعتقادِ ذلك، والتصديق به، وهذا هو توحيدُ عامةِ النَّاسِ.." (١)

" ٣٨٠ - القاسم بن عثمان الجوعي، أبو عبد الملك العبدي الدمشقي الزاهد [الوفاة: ٢٤١ - ٢٥٠ هـ]

شيخ الصوفية ورفيق أحمد بن أبي الحواري في صحبة أبي سليمان الداراني.

سمع: سفيان بن عيينة، والوليد بن مسلم، والزاهد أبا معاوية الأسود، وجعفر بن عون، وجماعة.

وعنه: أبو حاتم الرازي، وإبراهيم بن دحيم، وسعيد بن عبد العزيز الحلبي، وجعفر بن أحمد بن عاصم، وأحمد بن أنس بن مالك، وأبو بكر بن أبي داود، ومحمد بن الحسن بن قتيبة العسقلاني، وطائفة.

قال أبو حاتم: صدوق.

وقال العقيلي: تفرد عن عبد الله بن نافع، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ". وقال سعيد بن أوس قال: حدثنا قاسم الجوعي: وكان صوفيا نسب إلى الجوع.

---

(١) رياض الصالحين ت الفحل، النووي ص/

وقال أبو بكر بن أبي داود: رأيت أحمد بن أبي الحواري يقرأ عند القاسم بن عثمان القرآن، فيصيح ويصعق. وكان فاضلا من محدثي دمشق. وكان يقدم في الفضل على أحمد بن أبي الحواري.

وقال الزاهد أبو الرضا الصياد فيما حكى عنه أبو علي الحصائري: قال قاسم الجوعي: وكان عابد أهل الشام، فذكر حكاية.

وقال محمد بن الفيض الغساني: قدم علينا يحيى بن أكثم دمشق مع المأمون، فبعث إلى أحمد بن أبي الحواري، فجاء إليه وجالسه، وخلع عليه يحيى طويلة وشيئا من ملابسه، ودفع إليه خمسة آلاف درهم وقال: يا أبا الحسن، فرقها حيث ترى. فدخل بها المسجد، وصلى صلوات بالقلنسوة، فقال -[١٢٠٨]- قاسم الجوعي: أخذ دراهم اللصوص ولبس ثيابهم، ثم أتى الجامع، فمر بابن أبي الحواري وهو في التحيات، فلما حاذى به لطم القلنسوة، فسلم أحمد وأعطى القلنسوة ابنه إبراهيم، فذهب بها. فقال له من رآه: يا أبا الحسن، ما رأيت ما فعل بك هذا الرجل؟ فقال: رحمه الله.

ومن كلام القاسم: رأس الأعمال **الرضا عن الله**، والورع عماد الدين، والجزع مخ العبادة، والحصن الحصين ضبط اللسان.

وقال قاسم الجوعي: سمعت مسلم بن زياد يقول: مكتوب في التوراة: من سالم سلم، ومن شاتم شتم، ومن طلب الفضل من غير أهله ندم.

وقال سعيد بن عبد العزيز: سمعت القاسم الجوعي يقول: الشهوات نفس الدنيا؛ فمن ترك الشهوات فقد ترك الدنيا.

وسمعته يقول: إذا رأيت الرجل يخاصم فهو يحب الرئاسة.

قال عمرو بن دحيم: توفي في رمضان سنة ثمان وأربعين.." (١)

"وصبرا على البلاء وصبرا على المصائب، إلا وقد أوتي أفضل ما أوتيه أحد بعد الإيمان بالله -عز وجل.

وهذا منتزع من قوله تعالى: ﴿ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر﴾ إلى قوله: ﴿والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾ [البقرة: ١٧٧].

والمراد بالبأساء: الفقر ونحوه، وبالضراء: المرض ونحوه، وحين البأس: حال الجهاد.

وقال عمر بن عبد العزيز: ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه، فعاضه مكان ما انتزع منه الصبر إلا كان ما عوضه خيرا مما انتزع منه، ثم تلا: ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ [الزمر: ١٠].

وكان بعض الصالحين في جيبه ورقة يفتحها كل ساعة فينظر فيها، وفيها مكتوب: ﴿واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا﴾ [الطور: ٤٨].

والصبر الجميل هو أن يكتم العبد المصيبة ولا يخبر بها.

قال طائفة من السلف في قوله تعالى: ﴿فصبر جميل﴾ [يوسف: ٨٣] قالوا: لا شكوى معه.

كان الأحنف بن قيس قد ذهبت عينه من أربعين سنة ولم يذكرها لأحد.

وذهبت عين عبد العزيز بن أبي رواد من عشرين سنة، فتأمله ابنه يوما فقال له: يا أبت، قد ذهبت عينك! فقال: نعم يا بني، **الرضا عن الله** أذهب عين أبيك من عشرين سنة.

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ١٢٠٧/٥

وكان الإمام أحمد لا يشتكي ما به من المرض إلى أحد، وذكر له أن مجاهدا كان يكره الأنين في المرض، فتركه فلم يئن حتى مات، وكان يقول لنفسه: يا نفسي، اصبري ولا تندمي.

ودخل بعض العارفين على مريض يقول: آه، فقال له ذلك العارف: ممن؟!." (١)

"ورسوله] (١) من جرية السيل على وجهه، ومن أحب الله ورسوله فليعد للبلاء تجفافا. وإنما يعني الصبر.

وقد روى [معنى] (١) هذا الحديث من وجوه متعددة ولكن ليس في أكثرها سوى [ذكر] (١) حب الرسول - صلى الله عليه وسلم -.

قال موسى بن وردان: "لما احتضر معاذ بن جبل وتغشاه الموت جعل يقول: اخنق خنقك؛ فوعزتك إني أحبك".

قال شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم (عن) (٢) الحارث بن عميرة: "أن معاذا نزع نزعا لم ينزعه أحد، فكان كلما أفاق من (غمرة) (٣) فتح طرفه ثم قال: اخنقني خنقك؛ فوعزتك إنك تعلم أن قلبي يحبك" (٤).

وقال صالح بن حسان: "إن حذيفة لما نزل به الموت. قال: هذه آخر ساعة من الدنيا، اللهم إنك تعلم أني أحبك؛ فبارك لي في لقائك".

وقال أبو علي الرازي: "صحبت الفضيل بن عياش ثلاثين سنة (ما) (٥) رأيته ضاحكا ولا متبسما إلا يوم مات ابنه علي، فقلت له في ذلك فقال: إن الله أحب أمرا فأحببت ما أحب الله".

وقال مردويه سمعت الفضيل يقول: "درجة **الرضا عن الله** درجة المقربين ليس بينهم وبين الله إلا روح وريحان" قال: وسمعته يقول: "أحق الناس **بالرضا عن الله** أهل المعرفة بالله".

وقال أبو عبد الله النباحي: "سأل رجل الفضيل بن عياش فقال: متى يبلغ الرجل غايته من حب الله (تعالى) (١)؟ فقال له الفضيل: إذا كان عطاؤه ومنعه

---

(١) سقطت من "الأصل" والمثبت من المطبوع.

(٢) في المطبوع: "من حديث".

(٣) في المطبوع: "غمرته".

(٤) أخرجه أبو نعيم في "الحلية" (١/ ٢٤٠) من حديث الحارث بن عميرة، وفي إسناده: شهر بن حوشب، وهو ضعيف.

(٥) في المطبوع: "فما".." (٢)

"الحلم:

تحقيق وتعليق مجدي السيد إبراهيم طبعته له مكتبة القرآن - القاهرة سنة١٤٠٦هـ

ذم البغي:

---

(١) مجموع رسائل ابن رجب، ابن رجب الحنبلي ٣/١٥٣

(٢) مجموع رسائل ابن رجب، ابن رجب الحنبلي ٣/٣٦٣

تقديم وتحقيق وتعليق نجم عبد الرحمن خلف طبعته له دار الراية – الرياض ... سنة ١٤٠٩ هـ.

ذم الدنيا:

تحقيق وتعليق مجدي السيد إبراهيم طبعته له مكتبة الساعي– الرياض ... سنة ١٤٠٨ هـ.

ذم الغيبة والنميمة:

تحقيق وتعليق نجم عبد الرحمن خلف طبعته له دار الاعتصام – القاهرة ... سنة ١٣٩٠هـ.

ذم المسكر:

تقديم وتحقيق وتعليق نجم عبد الرحمن خلف طبعته له دار الراية – الرياض ... سنة ١٤٠٩ هـ.

ذم الملاهي:

دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا – القاهرة طبعته له دار الاعتصام ... سنة ١٤٠١٧ هـ.

الرضا عن الله بقضائه:

تحقيق ضياء الحسن السلفي طبعته له الدار السلفية بومباي سنة ١٤١٠ هـ.." (١)

"الحديث المسئول عنه؛ لأن البخل بمتاع الحياة الدنيا لا تكون إلا من محب لها، متهالك عليها، وهكذا الأدلة الدالة على ذم التكاثر والجمع والكنز والمنع لما يجب [٢ ب] في المال، فإنها تفيد صحة معنى الحديث المسئول عنه؛ لأن كل ذلك لا يصدر إلا من محب للدنيا، وهكذا الأدلة الواردة في الترغيب في الزهد (١)، والترهيب من مقابله هي تفيد هذا

---

(١) منها ما أخرجه مسلم في صحيحه رقم (١٢٥/ ١٠٥٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه ".

(منها) ما أخرجه البخاري رقم (٦٤٦٠)، ومسلم رقم (١٢٦/ ١٠٥٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اللهم ارزق آل محمد قوتا ".

قوتا: ما يقوت الأبدان ويكف عن الحاجة والفاقة، وهذا الحديث حجة لمن قال: إن الكفاف –كما جاء في رواية أخرى – أفضل من الغنى والفقر، ووجه التمسك بهذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما يدعو لنفسه بأفضل الأحوال، وأيضا فإن الكفاف حالة متوسطة بين الغنى والفقر، فإن حالة صاحب الكفاف حالة الفقير؛ إذ لا يترفه في طيبات الدنيا، ولا في زهرتها، فكانت حاله إلى الفقر أقرب، فقد حصل له ما حصل للفقير من الثواب على الصبر، وكفي مرارته وآفاته. انظر: " المفهم " (٧/ ١٣٠ – ١٣٢).

ومنها ما أخرجه مسلم رقم (٥٥/ ٢٨٥٨) عن المستورد أخي بني فهر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه – وأشار يحيى بالسبابة – في اليم، فلينظر بم يرجع؟ ".
قال القرطبي في " المفهم " (٧/ ١٢٥ – ١٢٦): وهذا مثل لحقارة الدنيا وقلتها، وهو نحو قوله تعالى: (قل متاع الدنيا قليل)

---

(١) حسن السمت في الصمت، السيوطي ص/٤٠

[النساء: ٧٧]، أي: كل شيء يتمتع به في الدنيا من أولها إلى آخرها قليل؛ إذ لا بقاء ولا صفو فيه، وهذا بالنسبة إلى نفسها، وأما بالنسبة إلى الآخرة فلا خطر ولا قدر للدنيا، وهذا هو المقصود بتمثيل هذا الحديث حيث قال: " فلينظر بماذا يرجع؟ "، ووجه هذا التمثيل أن القدر الذي يتعلق بالإصبع من ماء البحر لا قدر له ولا خطر، وكذلك الدنيا بالنسبة إلى الآخرة.

ومنها ما أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢/ ٢٩٥٧) عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بالسوق داخلا من بعض العالية، والناس كنفته، فمر بجدي، أسك ميت، فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال: " أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟ " فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال: " أتحبون أنه لكم؟ " قالوا: والله لو كان حيا كان عيبا فيه؛ لأنه أسك، فكيف وهو ميت؟ فقال: فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم ".

جدي أسك: أصل السك: ضيق الصماخ، وقال الهروي في غريب الحديث (٤/ ١٦٠): الاستكاك: الصم، استكت أسماعهم: صموا، وقال ثابت: السك: صغر الأذن مع لصوقها وقلة إشرافها.

قال القرطبي في " المفهم " (٧/ ١٠٨): وقوله: " والله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم " الدنيا: وزنها (فعلى) وألفها للتأنيث، وهي الدنو بمعنى القرب، وهي صفة لموصوف محذوف، كما قال تعالى: (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) [آل عمران: ١٨٥]، غير أنه قد كثر استعمالها استعمال الأسماء، فاستغني عن موصوفها كما جاء في هذا الحديث.

والمراد: الدار الدنيا أو الحياة الدنيا التي تقابلها الدار الأخرى أو الحياة الأخرى، ومعنى هوان الدنيا على الله: أن الله تعالى لم يجعلها مقصودة لنفسها، بل جعلها طريقا موصلة إلى ما هو المقصود لنفسه، وأنه لم يجعلها دار إقامة ولا جزاء، وإنما جعلها دار رحلة وبلاء، وأنه ملكها في الغالب الكفرة والجهال، وحماها الأنبياء والأولياء. . .

وقد أوضح النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعنى فقال: " لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء " - أخرجه ابن ماجه رقم ٤١١٠ - ، وحسبك بها هوانا أن الله قد صغرها وحقرها وذمها وأبغضها وأبغض أهلها ومحبيها، ولم يرض لعاقل فيها إلا بالتزود منها والتأهب للارتحال عنها.

ومنها ما أخرجه البخاري في صحيحه رقم (١٤٦٥)، ومسلم في صحيحه رقم (١٢٣/ ١٠٥٢) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وجلسنا حوله، فقال: " إن مما أخاف عليكم بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها ".

من دلائل الزهد ومعناه:

١ - أن يكون العبد بما في يد الله أوثق منه بما في يد نفسه، وهذا ينشأ من صحة اليقين وقوته، وقال الفضيل بن عياض: " أصل الزهد الرضا عن الله عز وجل "، أخرجه البيهقي في " الزهد " رقم (٧٨).

٢ - أن يكون العبد إذا أصيب في دنياه من ذهاب مال أو ولد أو غير ذلك أرغب في ثواب ذلك مما ذهب منه من الدنيا أن يبقى له.

وقد روي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في دعائه: " اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به

بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ".

أخرجه الترمذي رقم (٣٥٠٢)، وابن السني في " عمل اليوم والليلة " رقم (٤٤٦)، والنسائي في " عمل اليوم والليلة " رقم (٤٠١)، والحاكم في " المستدرك " (١/ ٥٢٨)، وقال: حديث صحيح على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، وهو حديث حسن.

٣ - أن يستوي عند العبد حامده وذامه في الحق، وهذه من علامات الزهد في الدنيا واحتقارها، وقلة الرغبة فيها، قال إبراهيم بن أدهم: " الزهد ثلاثة أصناف: زهد فرض، وزهد فضل، وزهد سلامة، فأما الزهد الفرض فالزهد في الحرام، والزهد الفضل الزهد في الحلال، والزهد السلامة الزهد في الشبهات "..." (١)

"٥٥ - باب فضل الزهد في الدنيا والحث عَلَى التقلل منها، وفضل الفقر

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ والأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيهَا أتَاهَا أمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤].

أصل الزهد **الرضا عن الله** عزَّ وجلّ، قال النبي - صلى الله عليه وسلم: «قد أفلح من أسلم، ورزق كفافًا، وقنَّعه الله بم أتاه».

وسُئل الزهري عن الزاهد، فقال: من لم يغلب الحرام صبره، ومن لم يشغل الحلال شكره.

وهذه الآية مثلٌ ضَرَبَهُ الله تعالى لزينة الدنيا، وسرعة زوالها، وفنائها.

وقال تَعَالَى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ -[٣١٠]- فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا المَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الحَياةِ الْدُّنْيَا وَالبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٥، ٤٦].." (٢)

"(اللهم بعلمك الغيب) الباء للاستعطاف والتذلل أي أنشدك بحق علمك ما خفي على خلقك مما استأثرت به (وقدرتك على الخلق) أي جميع المخلوقات من إنس وجن وملك وغيرها (أحيني ما علمت الحياة خيرا لي وتوفني إذا علمت الوفاة خيرا لي) عبر بما في الحياة لاتصافه بالحياة حالا وبإذا الشرطية في الوفاة لانعدامها حال التمني أي إذا آل الحال أن تكون الوفاة بهذا الوصف فتوفني (اللهم وأسألك خشيتك) عطف على محذوف واللهم معترضة (في الغيب والشهادة) أي في السر والعلانية أو المشهد والمغيب فإن خشية الله رأس كل خير والشأن في الخشية في الغيب لمدحه تعالى من يخافه بالغيب (وأسألك كلمة الإخلاص) أي النطق بالحق (في الرضا والغضب) أي في حالتي رضا الخلق مني وغضبهم علي فيما أقوله فلا أداهن ولا أنافق أو في حالتي رضاي وغضبي بحيث لا تلجئني شدة الغضب إلا النطق بخلاف الحق ككثير من الناس إذا اشتد غضبه أخرجه من الحق إلى الباطل (وأسألك القصد) أي التوسط (في الغنى والفقر) وهو الذي ليس معه إسراف

---

(١) الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني، الشوكاني ١٨٠٢/٤

(٢) تطريز رياض الصالحين، فيصل المبارك ص/٣٠٩

ولا تقصير فإن الغنى يبسط اليد ويطفيء النفس والفقر يكاد أن يكون كفرا فالتوسط هو المحبوب المطلوب (وأسألك نعيما لا ينفد) أي لا ينقضي وذلك ليس إلا نعيم الآخرة (وأسألك قرة عين) بكثرة النسل المستمر بعدي أو بالمحافظة على الصلاة لقوله وجعلت قرة عيني في الصلاة (لا تنقطع) بل تستمر ما بقيت الدنيا وقيل أراد قرة عينه أي بدوام ذكره وكمال محبته والأنس به. قال بعضهم: من قرت عينه بالله قرت به كل عين (وأسألك الرضا بالقضاء) أي بما قدرته لي في الأزل لأتلقاه بوجه منبسط وخاطر منشرح وأعلم أن كل قضاء قضيته خير فلي فيه خير. قال العارف الشاذلي: البلاء كله مجموع في ثلاث خوف الخلق وهم الرزق والرضا عن النفس والعافية والخير مجموع في ثلاث الثقة بالله في كل شيء **والرضا عن الله** في كل شيء واتقاء شرور الناس ما أمكن (وأسألك برد العيش بعد الموت) برفع الروح إلى منازل." (١)

" بقاء الكلام على نسقه فقوله رحمه الله تنبيه على موضع الرجاء لهذين المفترقين حسن وإنما الذي فيه قلق ما بعده من توجيهه وقوله تعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم الآية لفظ عام لكل من أوتي كتابا فإن وصيته سبحانه لعباده لم تزل منذ أوجدهم ت قال الأستاذ أبو بكر الطرطوشي في سراج الملوك ولما ضرب ابن ملجم عليا رضي الله عنه أدخل منزله فاعترته غشية ثم أفاق فدعا أولاده الحسن والحسين ومحمدا فقال أوصيكم بتقوى الله في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر والعدل على الصديق والعدو والعمل في النشاط والكسل **والرضا عن الله** في الشدة والرخاء يا بني ما شر بعده الجنة بشر ولا خير بعده النار بخير وكل نعيم دون الجنة حقير وكل بلاء دون النار عافية من أبصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره ومن رضي بقسم الله لم يحزن على ما فاته ومن سل سيف بغي قتل به ومن حفر لأخيه بيرا وقع فيها ومن هتك حجاب أخيه كشف عورات بنيه ومن نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره ومن استغنى بعقله زل ومن تكبر على الناس ذل ومن أعجب برأيه ضل ومن جالس العلماء وقر ومن خالط الأنذال احتقر ومن دخل مداخل السوء اتهم ومن مزح استخف به ومن أكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر خطأه ومن كثر خطأه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار يا بني الأدب خير ميراث وحسن الخلق خير قرين يا بني العافية عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت إلا عن ذكر الله وواحد في ترك مجالسة السفهاء يا بني زينة الفقر الصبر وزينة الغنى الشكر يا بني لا شرف أعز من الإسلام ولا كرم أعز من التقوى يا بني الحرص مفتاح البغي ومطية النصب طوبى ." (٢)

"المسألة الرابعة : الأخبار في هذا الباب كثيرة. أحدها : عن النبي صلى الله عليه وسلّم : "من استرجع عند المصيبة : جبر الله مصيبته ، وأحسن عقباه ، وجعل له خلفاً صالحاً يرضاه". وثانيها : روي أنه طفيء سراج رسول الله صلى الله عليه وسلّم فقال : "إنا لله وإنا إليه راجعون" فقيل أمصيبة هي ؟

قال : نعم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة. وثالثها : قالت أم سلمة : حدثني أبو سلمة أنه عليه الصلاة والسلام قال : "ما من مسلم يصاب بمصيبة فيفزع إلى ما أمر الله به من قوله : ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ اللهم عندك احتسبت

---

(١) مصابيح التنوير على صحيح الجامع الصغير للألباني، ٢/١٢٤

(٢) تفسير الثعالبي، ١/٤٢١

مصيبتي فأجرني فيها وعوضني خيراً منها إلا آجره الله عليها وعوضه خيراً منها" قالت : فلما توفى أبو سلمة ذكرت هذا الحديث وقلت هذا القول : فعوضني الله تعالى محمداً عليه الصلاة والسلام. ورابعها : قال ابن عباس : أخبر الله أن المؤمن إذا سلم لأمر الله تعالى ورجع واسترجع عند مصيبته كتب الله تعالى له ثلاث خصال : الصلاة من الله ، والرحمة وتحقيق سبيل الهدى. وخامسها : عن عمر رضي الله عنه قال : نعم العدلان وهما : ﴿أُولَـٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ ونعمت العلاوة وهي قوله : ﴿وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ وقال ابن مسعود : لأن أخر من السماء أحب إلى من أن أقول لشيء قضاه الله تعالى : ليته لم يكن.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ١٣٢

أما قوله : ﴿أُولَـٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ فاعلم أن الصلاة من الله هي : الثناء والمدح والتعظيم ، وأما رحمته فهي : النعم التي أنزلها به عاجلاً ثم آجلاً.

وأما قوله : ﴿وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ ففيه وجوه. أحدها : أنهم المهتدون لهذه الطريقة الموصلة بصاحبها إلى كل خير. وثانيها : المهتدون إلى الجنة ، الفائزون بالثواب. وثالثها : المهتدون لسائر ما لزمهم ، والأقرب فيه ما يصير داخلاً في الوعد حتى يكون عطفه على ما ذكره من الصلوات والرحمة صحيحاً ، ولا يكون كذلك إلا والمراد به أنهم الفائزون بالثواب والجنة ، والطريق إليها لأن كل ذلك داخل في الاهتداء ، وإن كان لا يمتنع أن يراد بذلك أنهم المتأدبون بآدابه المتمسكون بما ألزم وأمر ، قال أبو بكر الرازي : اشتملت الآية على حكمين : فرض ونفل ، أما الفرض فهو التسليم لأمر الله تعالى ، والرضا بقضائه ، والصبر على أداء فرائضه ، لا يصرف عنها مصائب الدنيا وأما النفل فإظهاراً لقوله : ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ فإن في إظهاره فوائد جزيلة منها أن غيره يقتدى / به إذا سمعه ، ومنها غيظ الكفار وعلمهم بجده واجتهاده في دين الله والثبات عليه وعلى طاعته ، وحكي عن داود الطائي قال : الزهد في الدنيا أن لا يحب البقاء فيها ، وأفضل الأعمال **الرضا عن الله** ولا ينبغي للمسلم أن يحزن لأنه يعلم أن لكل مصيبه ثواباً.

ولنختم تفسير هذه الآية ببيان الرضا بالقضاء فنقول : العبد إنما يصير راضياً بقضاء الله تعالى بطريقن : إما بطريق التصرف ، أو بطريق الجذب ، أما طريق التصرف فمن وجوه. أحدها : أنه متى مال قلبه إلى شيء والتفت خاطره إلى شيء جعل ذلك الشيء منشأ للآفات فحينئذ ينصرف وجه القلب عن عالم الحدوث إلى جانب القدس فإن آدم عليه السلام لما تعلق قلبه بالجنة جعلها محنة عليه حتى زالت الجنة/ فبقي آدم مع ذكر الله ، ولما استأنس يعقوب بيوسف عليهما السلام أوقع الفراق بينهما حتى بقي يعقوب مع ذكر الحق ، ولما طمع محمد عليه السلام من أهل مكة في النصرة والإعانة صاروا من أشد الناس عليه حتى قال : "ما أوذي نبي مثل ما أوذيت". وثانيها : أن لا يجعل ذلك الشيء بلاء ولكن يرفعه من البين حتى لا يبقى لا البلاء ولا الرحمة فحينئذ يرجع العبد إلى الله تعالى. وثالثها : أن العبد متى توقع من جانب شيئاً أعطاه الله تعالى بلا واسطة خيراً من متوقعه فيستحي العبد فيرجع إلى باب رحمة الله.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ١٣٢

وأما طريق الجذب فهو كما قال عليه السلام : "جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين". ومن جذبه الحق إلى نفسه

صار مغلوباً لأن الحق غالب لا مغلوب ، وصفة الرب الربوبية ، وصفة العبد العبودية ، والربوبية غالبة على العبودية لا بالضد ، وصفة الحق حقيقة ، وصفة العبد مجاز ، والحقيقة غالبة على المجاز لا بالضد ، والغالب يقلب المغلوب من صفة إلى صفة تليق به ، والعبد إذا دخل على السلطان المهيب نسي نفسه وصار بكل قلبه وفكره وحسه مقبلاً عليه ومشتغلاً به وغافلاً عن غيره ، فكيف بمن لحظ نصره حضرة السلطان الذي كان من عداه حقير بالنسبة إليه ، فيصير العبد هنالك كالفاني عن نفسه وعن حظوظ نفسه فيصير هنالك راضياً بأقضية الحق سبحانه وتعالى وأحكامه من غير أن يبقى في طاعته شبهة المنازعة.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ١٣٢

١٣٤

وفي الآية مسائل :

". (١)

"منه ومن تفويض الأمر إليه على ما نزل به ومن الإنتصاف ممن ظلمه فيكون مذللا نفسه راضيا بما وعده الله به من الأجر في الآخرة

المسألة الرابعة الأخبار في هذا الباب كثيرة أحدها عن النبي (صلى الله عليه وسلم) (من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه) وثانيها روي أنه طفيء سراج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال (إنا لله وإنا إليه راجعون) فقيل أمصيبة هي قال نعم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وثالثها قالت أم سلمة حدثني أبو سلمة أنه عليه الصلاة والسلام قال (ما من مسلم يصاب بمصيبة فيفزع إلى ما أمر الله به من قوله إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم عندك احتسبت مصيبتي فأجرني فيها وعوضني خيرا منها إلا آجره الله عليها وعوضه خيرا منها) قالت فلما توفى أبو سلمة ذكرت هذا الحديث وقلت هذا القول فعوضني الله تعالى محمدا عليه الصلاة والسلام ورابعها قال ابن عباس أخبر الله أن المؤمن إذا سلم لأمر الله تعالى ورجع واسترجع عند مصيبته كتب الله تعالى له ثلاث خصال الصلاة من الله والرحمة وتحقيق سبيل الهدى وخامسها عن عمر رضي الله عنه قال نعم العدلان وهما أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ونعمت العلاوة وهي قوله وأولئك هم المهتدون وقال ابن مسعود لأن أخر من السماء أحب إلى من أن أقول لشيء قضاه الله تعالى ليته لم يكن

أما قوله أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة فاعلم أن الصلاة من الله هي الثناء والمدح والتعظيم وأما رحمته فهي النعم التي أنزلها به عاجلا ثم آجلا

وأما قوله وأولئك هم المهتدون ففيه وجوه أحدها أنهم المهتدون لهذه الطريقة الموصلة بصاحبها إلى كل خير وثانيها المهتدون إلى الجنة الفائزون بالثواب وثالثها المهتدون لسائر ما لزمهم والأقرب فيه ما يصير داخلا في الوعد حتى يكون عطفه على ما ذكره من الصلوات والرحمة صحيحا ولا يكون كذلك إلا والمراد به أنهم الفائزون بالثواب والجنة والطريق إليها لأن كل ذلك

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع، ص/٦٧٤

داخل في الاهتداء وإن كان لا يمتنع أن يراد بذلك أنهم المتأدبون بآدابه المتمسكون بما ألزم وأمر قال أبو بكر الرازي اشتملت الآية على حكمين فرض ونفل أما الفرض فهو التسليم لأمر الله تعالى والرضا بقضائه والصبر على أداء فرائضه لا يصرف عنها مصائب الدنيا وأما النفل فإظهارا لقوله إنا لله وإنا إليه راجعون فإن في إظهاره فوائد جزيلة منها أن غيره يقتدى به إذا سمعه ومنها غيظ الكفار وعلمهم بجده واجتهاده في دين الله والثبات عليه وعلى طاعته وحكي عن داود الطائي قال الزهد في الدنيا أن لا يحب البقاء فيها وأفضل الأعمال **الرضا عن الله** ولا ينبغي للمسلم أن يحزن لأنه يعلم أن لكل مصيبه ثوابا ولنختم تفسير هذه الآية ببيان الرضا بالقضاء فنقول العبد إنما يصبر راضيا بقضاء الله تعالى بطريقن إما بطريق التصرف أو بطريق الجذب أما طريق التصرف فمن وجوه أحدها أنه متى مال قلبه إلى شيء والتفت خاطره إلى شيء جعل ذلك الشيء منشأ للآفات فحينئذ ينصرف وجه القلب عن عالم الحدوث إلى جانب القدس فإن آدم عليه السلام لما تعلق قلبه بالجنة جعلها محنة عليه حتى زالت الجنة فبقي آدم مع ذكر الله ولما استأنس يعقوب بيوسف عليهما السلام أوقع الفراق بينهما حتى بقي يعقوب مع ذكر الحق ولما طمع محمد عليه السلام من أهل مكة في النصرة والإعانة صاروا من أشد الناس عليه حتى." (١)

"وفي الآية، دليل على نعيم البرزخ وعذابه، كما تكاثرت بذلك النصوص.

[ص ٧٦]

﴿ ١٥٥ - ١٥٧ ﴾ ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأمْوَالِ وَالأنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ .

أخبر تعالى أنه لا بد أن يبتلي عباده بالمحن، ليتبين الصادق من الكاذب، والجازع من الصابر، وهذه سنته تعالى في عباده؛ لأن السراء لو استمرت لأهل الإيمان، ولم يحصل معها محنة، لحصل الاختلاط الذي هو فساد، وحكمة الله تقتضي تمييز أهل الخير من أهل الشر. هذه فائدة المحن، لا إزالة ما مع المؤمنين من الإيمان، ولا ردهم عن دينهم، فما كان الله ليضيع إيمان المؤمنين، فأخبر في هذه الآية أنه سيبتلي عباده ﴿ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ ﴾ من الأعداء ﴿ وَالْجُوعِ ﴾ أي: بشيء يسير منهما؛ لأنه لو ابتلاهم بالخوف كله، أو الجوع، لهلكوا، والمحن تمحص لا تهلك.

﴿ وَنَقْصٍ مِنَ الأمْوَالِ ﴾ وهذا يشمل جميع النقص المعتري للأموال من جوائح سماوية، وغرق، وضياع، وأخذ الظلمة للأموال من الملوك الظلمة، وقطاع الطريق وغير ذلك.

﴿ وَالأنْفُسِ ﴾ أي: ذهاب الأحباب من الأولاد، والأقارب، والأصحاب، ومن أنواع الأمراض في بدن العبد، أو بدن من يحبه، ﴿ وَالثَّمَرَاتِ ﴾ أي: الحبوب، وثمار النخيل، والأشجار كلها، والخضر ببرد، أو برد، أو حرق، أو آفة سماوية، من جراد (١) ونحوه.

فهذه الأمور، لا بد أن تقع، لأن العليم الخبير، أخبر بها، فوقعت كما أخبر، فإذا وقعت انقسم الناس قسمين: جازعين وصابرين، فالجازع، حصلت له المصيبتان، فوات المحبوب، وهو وجود هذه المصيبة، وفوات ما هو أعظم منها، وهو الأجر

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع، ٤/١٤١

بامتثال أمر الله بالصبر، ففاز بالخسارة والحرمان، ونقص ما معه من الإيمان، وفاته الصبر والرضا والشكران، وحصل [له] السخط الدال على شدة النقصان.

وأما من وفقه الله للصبر عند وجود هذه المصائب، فحبس نفسه عن التسخط، قولا وفعلا واحتسب أجرها عند الله، وعلم أن ما يدركه من الأجر بصبره أعظم من المصيبة التي حصلت له، بل المصيبة تكون نعمة في حقه، لأنها صارت طريقا لحصول ما هو خير له وأنفع منها، فقد امتثل أمر الله، وفاز بالثواب، فلهذا قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ أي: بشرهم بأنهم يوفون أجرهم بغير حساب.

فالصابرين، هم الذين فازوا بالبشارة العظيمة، والمنحة الجسيمة، ثم وصفهم بقوله: ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ ﴾ وهي كل ما يؤلم القلب أو البدن أو كليهما مما تقدم ذكره.

﴿ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ ﴾ أي: مملوكون لله، مدبرون تحت أمره وتصريفه، فليس لنا من أنفسنا وأموالنا شيء، فإذا ابتلانا بشيء منها، فقد تصرف أرحم الراحمين، بمماليكه وأموالهم، فلا اعتراض عليه، بل من كمال عبودية العبد، علمه، بأن وقوع البلية من المالك الحكيم، الذي أرحم بعبده من نفسه، فيوجب له ذلك، **الرضا عن الله**، والشكر له على تدبيره، لما هو خير لعبده، وإن لم يشعر بذلك، ومع أننا مملوكون لله، فإنا إليه راجعون يوم المعاد، فمجاز كل عامل بعمله، فإن صبرنا واحتسبنا وجدنا أجرنا موفورا عنده، وإن جزعنا وسخطنا، لم يكن حظنا إلا السخط وفوات الأجر، فكون العبد لله، وراجع إليه، من أقوى أسباب الصبر.

﴿ أُولَئِكَ ﴾ الموصوفون بالصبر المذكور ﴿ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ أي: ثناء وتنويه بحالهم ﴿ وَرَحْمَةٌ ﴾ عظيمة، ومن رحمته إياهم، أن وفقهم للصبر الذي ينالون به كمال الأجر، ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ الذين عرفوا الحق، وهو في هذا الموضع، علمهم بأنهم لله، وأنهم إليه راجعون، وعملوا به وهو هنا صبرهم لله.

ودلت هذه الآية، على أن من لم يصبر، فله ضد ما لهم، فحصل له الذم من الله، والعقوبة، والضلال والخسار، فما أعظم الفرق بين الفريقين وما أقل تعب الصابرين، وأعظم عناء الجازعين، فقد اشتملت هاتان الآيتان على توطين النفوس على المصائب قبل وقوعها، لتخف وتسهل، إذا وقعت، وبيان ما تقابل به، إذا وقعت، وهو الصبر، وبيان ما يعين على الصبر، وما للصابر من الأجر، ويعلم حال غير الصابر، بضد حال الصابر.

وأن هذا الابتلاء والامتحان، سنة الله التي قد خلت، ولن تجد لسنة الله تبديلا وبيان أنواع المصائب.

---

(١) كذا في ب، معدلة في الهامش وفي أ: جند.." (١)

"فصل في الكلام على الآية.

قال بَعْضُهُم : " إِنَّا لِلَّهِ " إقرارٌ مِنَّا له بالْمُلْكِ ، " وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ " إِقْرارٌ على أنفُسنا بالهَلاَك ، لا بمعنى الانتِقَال إلى مَكَانٍ أَوْ جِهَةٍ فإن ذلك على اللَّه مُحَال ، بل المرادُ أنه يَصيرُ إلى حَيثُ لا يَمْلِكُ الحُكْمَ سواه ، وذلك هو الدَّارُ الآخرَةُ ؛ لأَنَّ عند

---

(١) تفسير السعدي، ص/٧٥

ذلك لا يَمْلكُ لهم أحدٌ نفعاً ولا ضرّاً ، وما دَامُوا في الدنيا ، قَدْ يَمْلِكُ غيرُ اللَّهِ نفعَهُمْ وضرهم بحسب الظاهِر ، فجعل اللَّهُ – تعالى – هذا رُجُوعاً إليه تعالى ، كما يُقالُ : إن المُلْكَ والدولة ترجعُ إليه لاَ بمعنى الانْتِقَالِ بل بمعنى القُدْرة ، وترك المُنَازَعةِ.

وقال بعضهم : ﴿إِنَّا للَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾ في الآخرة.

[رُوِيَ عَنِ النَّبِيّ – صلى الله عليه وسلم – أنه قَالَ : " مَنِ اسْتَرْجَعَ عِنْدَ المُصِيْبَةِ جَبَرَ اللَّهُ مُصِيبَتُهُ ، وأَحْسَنَ عُقْبَاهُ ، وَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ خَلَفاً صَالِحاً يَرْضاه " وروي أنه طُفِئ سِرَاجُ رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – فقال : ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾. فقال : " إنا لله وإنّا إليه راجعون " ، فقيل : مُصِيبَةٌ هِيَ ؟ قال : " نَعَمْ ، كُلّ شَيْءٍ يُؤْذِي المُؤْمِنَ فَهُوَ مُصِيْبَةٌ " وقالت أُمُّ سَلَمَةَ : حدثني أَبُو سَلَمَةَ ، أنه عليه الصلاةُ والسلام قال : " مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصابُ مُصِيْبَةً فَيَفْزَعُ إِلَى مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ قَوْلِهِ : إِنَّا لِلَّهِ وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، اللَّهُمَّ أُجْرْنِيّ فِي مُصِيْبَتِي ، وأَخْلِفْ لِي خَيْراً مِنْها " قالت : فملا توفي أَبُو سَلَمَة ذكرت هذا الحِديثَ ، وقلتُ هذا القولَ ، فأخلف اللَّهُ لِيَ محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وشرف ، وكرم ، ومجد وبجل ، وعظم.

وقال ابنُ عَبَّاس : أخبر اللَّهُ – تعالى – أن المُؤْمِنَ إِذَا أَسْلَمَ أَمْرَه لِلَّهِ ، واسترجَعَ عند مُصَيبَتِهِ كتب اللَّهُ له ثَلاثَ خِصَالٍ : الصَّلاة من الله ، والرحمة ، وتحقيق سبيل الهدى.

٨٧

وقال ابنُ مَسْعُودٍ : لأن أَخِرَّ من السماء أحبّ إليّ مِنْ أن أقول لشيءٍ قضاه اللَّهُ : لَيْتَهُ لَمْ يَكُن].

قال أَبُو بَكْرٍ الرازي : اشتملت الآيةُ الكرِيمَةُ على حُكْمين فَرْضٍ ونَفْل.

أَمَّا الفَرْضُ فهو التَّسْلِيمُ لأمرِ الله تعالى ، والرِّضَا بِقَضَائِهِ ، والصبرُ على أداءِ فَرَائِضِه ، لا يصرف عنها مصائب الدنيا.

وأما النَّفْل فإظهاراً لقولِ : ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

[ذَكَرُوا من قولِ هذه الكَلِمةِ فَوائِدَ.

منها : الاشتغالُ بهذه الكلمةِ عن كَلاَمٍ لا يليق.

ومنها : أنها تُسلّي قلبَ المُصَابِ ، وتقلّلُ حُزْنَه.

ومنها : تقطَعُ طمع الشَّيْطَانِ فِي أَنْ يُوَافِقَهُ فِي كَلاَمٍ لا يَلِيقُ.

ومنها أَنَّهُ إذا سمعه غيرُه اقْتَدَى به.

ومنها : أنه إذا قال بلسَانِه في قَلْبِه الاعتقادَ الحَسَن ، فإنَّ الحِسَابَ عند المُصِيبَةِ ، فكان هذا القَوْل مذكراً له التَّسْليم لِقَضَاءِ الله وقدره].

فإن في إظهاره فوائد جزيلة : مناه أن غيره يقتدي به إذا سمعه.

ومنها غبط الكفار ، وعلمهم بجده واجتهاد في دين الله ، والثبات عليه وعلى طاعته.

وحكي عن بَعْضِهِم أنه قال : الزهدُ في الدنيا ألاّ يُحِبَّ البقاءَ فِيهَا ، وأفضَلُ الأعمالِ الرضا عن الله ، ولا ينبَغِي لِلْمُسلِم أن يحزن ؛ لأنه يَعْلَمُ أَنَّ لكلِّ مصيبة ثواباً.

قولهُ تعالى : " أُولَئِكَ " مبتدأٌ ، و " صَلَوَاتٌ " مبتدأٌ ثان ، و " عَلَيْهِمْ " خبرهُ مُقَدَّمٌ عليه ، والجملةُ خبر قوله : " أُولَئِكَ

."

ويجوز أن تكون " صلوات " فاعلاً بقوله : " عليهم ".

قال أبو البقاء : لأنه قد قوي بوقوعه خبراً.

والجملة من قوله " أولئك " وما بعده خبر " الذين " على أحد الأوجه المتقدمة ، أو لا محلّ لها على غيره من الأوجه.

و " قالوا " هو العامل في " إذا " ؛ لأنه جوابها وتقدم الكلام في ذلك وأنها هل تقتضي التكرار أم لا ؟

٨٨

قولهُ تعالى : " وَرَحْمَةٌ " عطف على الصلاة ، وإن كانت بمعناها ، فإن الصلاة من الله رحمة ؛ لاختلف اللفظين كقوله :

[الوافر] ٨٤٨ - وَقَدَّمَتِ الأَدِيمَ لِرَاهِشَيْهِ

وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِباً وَمَيْنَا

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٨٥

وقوله : [الطويل] ٨٤٩ - أَلاَ حَبَّذَا هِندُ وَأَرْضٌ بِهَا هِنْدٌ

وَهِنْدٌ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالْبُعْدُ

." (١)

"صبر على طاعة الله ، وخصوصا الطاعات الشاقة حتى يؤديها على وجه الكمال ، وصبر عن معصية الله ، خصوصا المعصية التي تدعو النفس إليها دعاء قويا ، حتى يجاهد نفسه فيتركها لله ، وصبر على أقدار الله المؤلمة ، خصوصا إذا عظمت المصيبة حتى لا يتسخطها ، وربما وصلت به الحال إلى **الرضا عن الله** .

الشكر لله : هو الاعتراف بنعم الله الظاهرة والباطنة ، العامة والخاصة ، والتحدث بها ، والاستعانة بها على طاعة المنعم دون معصيته ، ولا بد أن يقترن هذا بالخضوع للمنعم ومحبته ، فبهذه الأركان الخمسة يكون الشكر تاما .

البر والتقوى لله : إذا أطلق أحدهما دخل فيه الآخر ، فإنه اسم جامع للقيام بكل ما يحبه الله ورسوله ظاهرا وباطنا ، وترك ما يكرهه الله ورسوله ظاهرا وباطنا ، وإذا جمع بينهما نحو : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ [المائدة : ٢] فسر البر بالقيام بعقائد الإيمان وأخلاقه ، وأعمال البر كلها القاصرة والمتعدية ، وفسرت التقوى باتقاء ما يسخط الله من الكفر والفسوق والعصيان .

الصدق والكذب : الصدق هو استواء الظاهر والباطن على الاستقامة على الصراط المستقيم .." (٢)

"قوله تعالى ﴿قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾

قال أبو بكر الوراق ﴿إنا لله﴾ إقرار منا له بالملك : ﴿وإنا إليه راجعون﴾ إقرار على أنفسنا بالهلاك ، واعلم أن الرجوع إليه ليس عبارة عن الانتقال إلى مكان أو جهة ، فإن ذلك على الله محال ، بل المراد أنه يصير إلى حيث لا يملك الحكم فيه

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع، ص/٤٥٩

(٢) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ٢/١١٤

سواه ، وذلك هو الدار الآخرة ، لأن عند ذلك لا يملك لهم أحد نفعا ولا ضرا ، وما داموا في الدنيا قد يملك غير الله نفعهم وضرهم بحسب الظاهر ، فجعل الله تعالى هذا رجوعا إليه تعالى ، كما يقال : إن الملك والدولة يرجع إليه لا بمعنى الانتقال بل بمعنى القدرة وترك المنازعة. أ هـ ﴿مفاتيح الغيب حـ ٤صـ ١٤٠﴾

وقال القرطبى :

جعل الله تعالى هذه الكلمات ملجأ لذوي المصائب ، وعصمة للممتحنين ؛ لما جمعت من المعاني المباركة ؛ فإن قوله : "إنا لله" توحيد وإقرار بالعبودية والملك. وقوله : ﴿وإنآ إليه راجعون﴾ إقرار بالهلك على أنفسنا والبعث من قبورنا ؛ واليقين أن رجوع الأمر كله إليه كما هو له. قال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى : لم تعط هذه الكلمات نبيا قبل نبينا ، ولو عرفها يعقوب لما قال : يا أسفي على يوسف. أ هـ ﴿تفسير القرطبى حـ ٢صـ ١٧٦﴾

فوائد جليلة

قال أبو بكر الرازي : اشتملت الآية على حكمين : فرض ونفل ، أما الفرض فهو التسليم لأمر الله تعالى ، والرضا بقضائه ، والصبر على أداء فرائضه ، لا يصرف عنها مصائب الدنيا وأما النفل فإظهارا لقوله : ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ فإن في إظهاره فوائد جزيلة منها أن غيره يقتدي به إذا سمعه ، ومنها غيظ الكفار وعلمهم بجده واجتهاده في دين الله والثبات عليه وعلى طاعته ، وحكي عن داود الطائي قال : الزهد في الدنيا أن لا يحب البقاء فيها ، وأفضل الأعمال **الرضا عن الله** ولا ينبغي للمسلم أن يحزن لأنه يعلم أن لكل مصيبه ثوابا.." (١)

"الإشارة : الإعراض عن الخلق والاكتفاء بالملك الحق ركن من أركان الطريق ، قال الشيخ زروق رضي الله عنه : أصول الطريقة خمسة أشياء : تقوى الله في السر والعلانية ، واتباع الرسول في الأقوال والأفعال ، والإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار ، والرجوع إلى الله في السراء والضراء ، **والرضا عن الله** في القليل والكثير. هـ.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٢٩٤

يقول الحق جل جلاله : ﴿ولا تسبوا﴾ أصنامهم ﴿الذين﴾ يدعونها آلهة ، ويخضعون لها ﴿من دون الله﴾ أي : ولا تذكروا آلهتهم بسوء ، ﴿فيسبوا الله عدوا﴾ أي : ظلما وتجاوزا عن الحق إلى الباطل ، ﴿بغير علم﴾ أي : على جهالة بالله تعالى ، وبما يجب أن يذكر به من التعظيم ، روي أنه صلى الله عليه وسلم كان يطعن في آلهتهم ، فقالوا : لتنتهين عن آلهتنا أو لنهجون إلهك ، فنزلت. وقيل : كان المسلمون يسبون آلهتهم ، فنهوا ؛ لئلا يكون سبهم سببا لسب الله تعالى ، واستدل المالكية بهذا على سد الذرائع. قال البيضاوي : وفيه دليل على أن الطاعة إذا أدت لمعصية راجحة وجب تركها ، فإن ما يؤدي إلى الشر شر. هـ. وقال ابن العربي : وقاية العرض بترك سنة واجب في الدنيا. هـ.

قال تعالى : ﴿كذلك زينا لكل أمة عملهم﴾ من الخير والشر ، نحملهم على ما سبق لهم توفيقا أو تخذيلا ، أو يكون مخصوصا بالشر ، أي : زينا لكل أمة من الكفرة عملهم السوء ؛ كسب الله تعالى وغيره من الكفر ، ﴿ثم إلى ربهم مرجعهم

---

(١) جامع لطائف التفسير، ٣٤٣/٢

فينبئهم بما كانوا يعملون﴾ من الخير فيجازيهم عليه ، أو من الشر فيعاقبهم عليه.
". (١)

"" " صفحة رقم ٨٨ " "

وقال ابن مسعود : لأن أخر من السماء أحب إلي من أن أقول لشيء قضاه الله : ليته لم يكن] .

قال أبو بكر الرازي : اشتملت الآية الكريمة على حكمين فرض ونفل .

أما الفرض فهو التسليم لأمر الله تعالى ، والرضا بقضائه ، والصبر على أداء فرائضه ، لا يصرف عنها مصائب الدنيا .

وأما النفل فإظهارا لقول : (إنا لله وإنا إليه راجعون) .

[ذكروا من قول هذه الكلمة فوائد .

منها : الاشتغال بهذه الكلمة عن كلام لا يليق .

ومنها : أنها تسلي قلب المصاب ، وتقلل حزنه .

ومنها : تقطع طمع الشيطان في أن يوافقه في كلام لا يليق .

ومنها أنه إذا سمعه غيره اقتدى به .

ومنها : أنه إذا قال بلسانه في قلبه الاعتقاد الحسن ، فإن الحساب عند المصيبة ، فكان هذا القول مذكرا له التسليم لقضاء الله وقدره] .

فإن في إظهاره فوائد جزيلة :

مناه أن غيره يقتدي به إذا سمعه .

ومنها غبط الكفار ، وعلمهم بجده واجتهاد في دين الله ، والثبات عليه وعلى طاعته .

وحكي عن بعضهم أنه قال : الزهد في الدنيا ألا يحب البقاء فيها ، وأفضل الأعمال **الرضا عن الله** ، ولا ينبغي للمسلم أن يحزن ؛ لأنه يعلم أن لكل مصيبة ثوابا .

قوله تعالى : " أولئك " مبتدأ ، و " صلوات " مبتدأ ثان ، و " عليهم " خبره مقدم عليه ، والجملة خبر قوله : " أولئك "
.

ويجوز أن تكون " صلوات " فاعلا بقوله : " عليهم " .

قال أبو البقاء : لأنه قد قوي بوقوعه خبرا .

والجملة من قوله " أولئك " وما بعده خبر " الذين " على أحد الأوجه المتقدمة ، أو لا محل لها على غيره من الأوجه .

و " قالوا " هو العامل في " إذا " ؛ لأنه جوابها وتقدم الكلام في ذلك وأنها هل تقتضي التكرار أم لا ؟." (٢)

---

(١) البحر المديد . موافق للمطبوع، ٢/٤٠٩

(٢) اللباب في علوم الكتاب، ٣/٨٨

" اليقين وقوته فإن الله سبحانه وتعالى ضمن أرزاق عباده وتكفل بها كما قال تعالى وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها وقال تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون وقال تعالى فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه وقال الحسن إن من ضعف يقينك أن تكون بما في يدك أوثق منك بما في يد الله عز و جل وعن على وابن مسعود قالا إن أرجي ما يكون الرزق إذا قالوا ليس في الدنيا دقيق وقال مسروق إن أحسن ما أكون ظنا حين يقول الخادم ليس في البيت قفيز من قمح ولا درهم وقال الإمام أحمد أسر أيامي إلى يوم أصبح وليس عندي شيء وقيل لأبي حازم الزاهد ما مالك قال لي مالان لا أخشى معهما الفقر الثقة بالله واليأس مما في أيدي الناس وقيل له أما تخاف الفقر فقال أنا أخاف الفقر ومولاي له ما في السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثري ودفع إلى على بن الموفق ورقة فقرأها فإذا فيها يا على بن الموفق أتخاف الفقر وأنا ربك وقال الفضيل بن عياض أصل الزهد الرضا عن الله عز و جل وقال القنوع هو الزاهد وهو الغني فمن حقق اليقين وثق بالله في أموره كلها ورضي بتدبيره له وانقطع عن التعلق بالمخلوقين رجاء وخوفا ومنعه ذلك من طلب الدنيا بالأسباب المكروهة ومن كان كذلك كان زاهدا في الدنيا حقيقة وكان من أغني الناس وإن لم يكن له شيء من الدنيا كما قال عمار رضي الله عنه كفي بالموت واعظا وكفي باليقين غني وكفي بالعبادة شغلا وقال ابن مسعود رضي الله عنه اليقين أن لا ترضي الناس بسخط الله ولا تحسد أحدا على رزق الله ولا تلم أحدا على ما لم يؤتك الله فإن رزق الله لا يسوقه حرص حريص ولا يرده كراهية كاره فإن الله تعالى بقسطه وعلمه وحكمته جعل الروح والفرح في اليقين والرضا وجعل الهم والحزن في السخط والشك وفي حديث مرسل أن النبي صلى الله عليه و سلم كان يدعو بهذا الدعاء اللهم إني أسألك إيمانا يباشر قلبي ولسانا صادقا حتى أعلم أنه لا يمنعني رزقا قسمته لي ورضني من العيش بما قسمته لي وكان عطاء الخراساني رحمه الله لا يقوم من مجلسه حتى يقول اللهم هب لنا يقينا منك حتى تهون علينا مصائب الدنيا وحتى نعلم أنه لا يصيبنا إلا ما كتبت علينا ولا يصيبنا من الرزق إلا ما قسمت لنا وروينا من حديث ابن عباس مرفوعا قال من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يدي الله أوثق منه بما في يده والثاني أن يكون العبد إذا أصيب بمصيبة في دنياه من ذهاب مال أو ولد أو غير ذلك أرغب في ثواب ذلك مما ذهب منه من الدنيا أن يبقي له وهذا أيضا ينشأ من كمال اليقين وقد روي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه و سلم كان يقول في دعائه اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا وهو من ." (١)

"وقال الفضيل بن عياض (١) : أصل الزهد الرضا عن الله – عز وجل – . وقال : القنوع هو الزهد ، وهو الغنى

.

فمن حقق اليقين ، وثق بالله في أموره كلها ، ورضي بتدبيره له ، وانقطع عن التعلق بالمخلوقين رجاء وخوفا ، ومنعه ذلك من طلب الدنيا بالأسباب المكروهة ، ومن كان كذلك ، كان زاهدا في الدنيا حقيقة ، وكان من أغنى الناس ، وإن لم يكن له شيء من الدنيا كما قال عمار : كفى بالموت واعظا ، وكفى باليقين غنى ، وكفى بالعبادة شغلا (٢) .

وقال ابن مسعود : اليقين : أن لا ترضي الناس بسخط الله ، ولا تحمد أحدا على رزق الله ، ولا تلم أحدا على ما لم يؤتك

---

(١) جامع العلوم والحكم، ص/٢٩٠

الله ، فإن الرزق لا يسوقه حرص حريص ، ولا يرده كراهة كاره ، فإن الله تبارك وتعالى – بقسطه وعلمه وحكمه – جعل الروح والفرح في اليقين والرضا ، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط (٣) .

وفي حديث مرسل أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يدعو بهذا الدعاء : ((اللهم إني أسألك إيمانا يباشر قلبي ، ويقينا(٤) صادقا(٥) حتى أعلم أنه لا يمنعني رزقا قسمته لي ، ورضني من المعيشة بما قسمت لي)) (٦) .

---

(١) أخرجه : الدينوري في " المجالسة " (٩٦٠) و(٣٠٤٥) ، وأبو عبد الرحمان السلمي في " طبقات الصوفية " : ١٠ .

(٢) أخرجه : البيهقي في " شعب الإيمان " (١٠٥٥٦) عن عمار بن ياسر ، مرفوعا .

(٣) أخرجه : ابن أبي الدنيا في " اليقين " : ١١٨ ، والبيهقي في " شعب الإيمان " (٢٠٩) .

(٤) في (ص) : ((ولسانا)) .

(٥) صادقا)) سقطت من (ص) .

(٦) أخرجه : ابن أبي الدنيا في " اليقين " : ١١٢ .." (١)

" [ص ١٤٦] ١٥٣٧ – (اللهم بعلمك الغيب) الباء للاستعطاف والتذلل أي أنشدك بحق علمك ما خفي على خلقك مما استأثرت به (وقدرتك على الخلق) أي جميع المخلوقات من إنس وجن وملك وغيرها (أحيني ما علمت الحياة خيرا لي وتوفني إذا علمت الوفاة خيرا لي) عبر بما في الحياة لاتصافه بالحياة حالا وبإذا الشرطية في الوفاة لانعدامها حال التمني أي إذا آل الحال أن تكون الوفاة بهذا الوصف فتوفني (اللهم وأسألك خشيتك) عطف على محذوف واللهم معترضة (في الغيب والشهادة) أي في السر والعلانية أو المشهد والمغيب فإن خشية الله رأس كل خير والشأن في الخشية في الغيب لمدحه تعالى من يخافه بالغيب (وأسألك كلمة الإخلاص) أي النطق بالحق (في الرضا والغضب) أي في حالتي رضا الخلق مني وغضبهم علي فيما أقوله فلا أداهن ولا أنافق أو في حالتي رضاي وغضبي بحيث لا تلجئني شدة الغضب إلا النطق بخلاف الحق ككثير من الناس إذا اشتد غضبه أخرجه من الحق إلى الباطل (وأسألك القصد) أي التوسط (في الغنى والفقر) وهو الذي ليس معه إسراف ولا تقصير فإن الغنى يبسط اليد ويطغيء النفس والفقر يكاد أن يكون كفرا فالتوسط هو المحبوب المطلوب (وأسألك نعيما لا ينفد) أي لا ينقضي وذلك ليس إلا نعيم الآخرة (وأسألك قرة عين) بكثرة النسل المستمر بعدي أو بالمحافظة على الصلاة لقوله وجعلت قرة عيني في الصلاة (لا تنقطع) بل تستمر ما بقيت الدنيا وقيل أراد قرة عينه أي بدوام ذكره وكمال محبته والأنس به . قال بعضهم : من قرت عينه بالله قرت به كل عين (وأسألك الرضا بالقضاء) أي بما قدرته لي في الأزل لأتلقاه بوجه منبسط وخاطر منشرح وأعلم أن كل قضاء قضيته خير فلي فيه خير . قال العارف الشاذلي : البلاء كله مجموع في ثلاث خوف الخلق وهم الرزق والرضا عن النفس والعافية والخير مجموع في ثلاث الثقة بالله في كل شيء **والرضا عن الله** في كل شيء واتقاء شرور الناس ما أمكن (وأسألك برد العيش

---

(١) جامع العلوم والحكم محقق، ٩/٣٣

بعد الموت) برفع الروح إلى منازل السعداء ومقامات المقربين والعيش في هذه الدار لا يرد لأحد بل محشو بالغصص والنكد والكدر ممحوق بالآلام الباطنة والأسقام الظاهرة (وأسألك لذة النظر إلى وجهك) أي الفوز بالتجلي الذاتي الأبدي الذي لا حجاب بعده ولا مستقر للكمل دونه وهو الكمال الحقيقي قيد النظر باللذة لأن النظر إلى الله إما نظر هيبة وجلال في عرصات القيامة أو نظر لطف وجمال في الجنة إيذانا بأن المسؤول هذا (والشوق إلى لقائك) قال ابن القيم : جمع في هذا الدعاء بين أطيب ما في الدنيا وهو الشوق إلى لقائه وأطيب ما في الآخرة وهو النظر إليه ولما كان كلامه موقوفا على عدم ما يضر في الدنيا ويفتن في الدين قال (في غير ضراء مضرة) قال الطيبي : متعلق الظرف مشكل ولعله يتصل بالقرينة الأخيرة وهي الشوق إلى لقائك . سأل شوقا إليه في الدنيا بحيث يكون في ضراء غير مضرة أي شوقا لا يؤثر في سلوكي وإن ضرني مضرة ما قال :

إذا قلت أهدى الهجر لي حلل البلا . . . تقولين لولا الهجر لم يطب الحب

وإن قلت كربي دائم قلت إنما . . . يعد محبا من يدوم له كرب

ويجوز اتصاله بقوله أحيني إلى آخره . ومعنى ضراء مضرة : الضر الذي لا يصبر عليه (ولا فتنة مضلة) أي موقعة [ص ١٤٧] في الحيرة مفضية إلى الهلاك . وقال القونوي : الضراء المضرة حصول الحجاب بعد التجلي والتجلي بصفة تستلزم سدل الحجب والفتنة المضلة كل شبهة توجب الخلل أو تنقص في العلم والشهود (اللهم زينا بزينة الإيمان) وهي زينة الباطن ولا معول إلا عليها لأن الزينة زينتين زينة البدن وزينة القلب وهي أعظمها قدرا وإذا حصلت حصلت زينة البدن على أكمل وجه في العقبى ولما كان كمال العبد في كونه عالما بالحق متبعا له معلما لغيره قال (واجعلنا هداة مهتدين) وصف الهداة بالمهتدين لأن الهادي إذا لم يكن مهتديا في نفسه لم يصلح كونه هاديا لغيره لأنه يوقع الناس في الضلال من حيث لا يشعر وهذا الحديث أفرد بالشرح

(ن ك) وأحمد (عن عمار بن ياسر) قال : كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يدعو به ." (١)

" ٨٧٠٦ - (من رضي عن الله) بقضائه وقدره (رضي الله تعالى عنه) بأن يدخله الجنة ويتجلى عليه فيها حتى يراه عيانا . قال الطيبي : ولعلو شأن هذه المرتبة التي هي الرضا من الجانبين خص الله كرام الصحب بها حيث قال : ﴿ رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾ قال بعضهم : ورضا العبد عن الله أن لا يختلج في سره أدنى حزازة من وقوع قضاء من أقضيته بل يجد في قلبه لذلك برد اليقين وثلج الصدر وشهود المصلحة وزيادة الطمأنينة ورضا الله عن العبد تأمينه من سخطه وإحلاله دار كرامته وقال السهروردي : الرضا يحصل لانشراح القلب وانفساحه وانشراح القلب من نور اليقين فإذا تمكن النور من الباطن اتسع الصدر وانفتحت عين البصيرة وعاين حسن تدبير الله فينزع التسخط والتضجر لأن انشراح الصدر يتضمن حلاوة الحب وفعل المحبوب بموقع الرضا عند المحب الصادق لأن المحب يرى أن الفعل من المحبوب مراده واختياره فيفنى في لذة رؤية اختيار المحبوب عن اختيار نفسه وقال بعض العارفين : **الرضا عن الله** باب الله الأعظم وجنة الدنيا ولذة العارفين والرضوان عن الله في الجنة وهم في الدنيا راضون عنه متلذذون بمجاري [ص ١٣٨] أقضيته سليمة صدورهم من

---

(١) فيض القدير، ١٤٦/٢

الغل مطهرة قلوبهم عن الفساد لا يتحاسدون ولا يتباغضون وقال ابن أبي رواد : ليس الشأن في أكل الشعير ولبس الصوف ولكن في **الرضا عن الله** وقال ميمون بن مهران : من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء وقال رجل لابن كرام : أوصني . فقال : اجتهد في رضا خالفك بقدر ما تجتهد في رضا نفسك

(ابن عساكر) في تاريخه (عن عائشة) ." (١)

""""""""" صفحة رقم ٣٦٨ """""""

الله فى فعله ، استكمل جزيل الأجر ، وقد جاء أنه ليس شيء من الأعمال يبلغ مبلغ **الرضا عن الله** فى جميع النوازل ، وهذا معنى قوله : (رضى الله عنهم ورضوا عنه) [المائدة : ١١٩] يريد رضى أعمالهم ، ورضوا عنه بما أجرى عليهم من قضائه ، وما أجزل لهم من عطائه . وقوله : (لم يبلغوا الحنث) يريد لم يبلغوا أن تجرى عليهم الأقلام بالأعمال ، والحنث : الذنب العظيم . وقوله (صلى الله عليه وسلم) فى حديث أنس : (أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم) ، هو دليل قاطع أن أولاد المسلمين فى الجنة ، لأنه لا يجوز أن يرحم الله الآباء من أجل من ليس بمرحوم ، ويشهد لصحة هذا قوله (صلى الله عليه وسلم) فى ابنه إبراهيم : (إن له مرضعا فى الجنة) ، وعلى هذا القول جمهور علماء المسلمين أن أطفال المسلمين فى الجنة إلا المجبرة ، فإنهم عندهم فى المشيئة ، وهو قول مجهول مردود بإجماع الحجة الذين لا يجوز عليهم الغلط ، ولا يسوغ مخالفتهم .

٧٣ - باب أولاد المشركين

/ ١٠٦ - فيه : ابن عباس ، وأبو هريرة ، أن النبى ، (صلى الله عليه وسلم) ، سئل عن أولاد المشركين ، فقال : (الله إذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين) . / ١٠٧ - وفيه : أبو هريرة ، قال : قال النبى ، (صلى الله عليه وسلم) : (كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه ، كمثل البهيمة تنتج البهيمة ، هل ترى فيها جدعاء) .." (٢)

""""""""" صفحة رقم ١١١ """""""

- باب الدعاء بالموت والحياة

/ ٤٣ - فيه : خباب ، أنه اكتوى سبعا ، قال : لولا أن النبى (صلى الله عليه وسلم) نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به . / ٤٤ - وفيه : أنس ، قال النبى (صلى الله عليه وسلم) : (لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ، فإن كان لا بد متمنيا للموت ، فليقل ، اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لى ، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيرا لى) . معنى هذين الحديثين على الخصوص ، وقد بين (صلى الله عليه وسلم) ذلك فى الحديث فقال : (لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به) . فقد يكون له فى ذلك الضر خير لدينه ودنياه ، إما تمحيص لذنوب سلفت له وطهور من سيئات ، كما قال (صلى الله عليه وسلم) للشيخ الذى زاره فى مرضه وقد أصابته الحمى فقال (صلى الله عليه وسلم) : (لا بأس طهور إن شاء الله

---

(١) فيض القدير، ٦/١٣٧

(٢) شرح صحيح البخارى . لابن بطال، ٣/٣٦٨

) . وقد يكون له فى المرض منافع ، منها : أن يكون المرض سببا إلى امتناعه من سيئات كان يعملها لو كان صحيحا ، أو بلاء يندفع عنه فى نفسه وماله ، فالله أنظر لعبده المؤمن فينبغى له الرضا عن الله تعالى فى مرضه وصحته ولا يتهم قدره ، ويعلم أنه أنظر له من نفسه ، ولا يسأله الوفاة عند ضيق نفسه بمرضه أو تعذر أمور دنياه عليه . وقد جاء وجه سؤال الموت فيه مباح ، وهو خوف فتنة تكون سببا لإتلاف الدين ، فقد قال (صلى الله عليه وسلم) : (وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون) . وجه آخر وهو عند خوف المؤمن أن يضعف عن القيام بما قلده." (١)

"لفظ الحديث : « وعظنا رسول الله (موعظة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فقلنا : يا رسول الله ، كأنها موعظة مودع فأوصنا ، قال : « أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وإن تأمر عليكم عبد حبشي ، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة » .

٥٥- باب فضل الزهد في الدنيا

والحث على التقلل منها ، وفضل الفقر

قال الله تعالى : إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون [يونس (٢٤)] .

أصل الزهد الرضا عن الله عز وجل ، قال النبي (: « قد أفلح من أسلم ، ورزق كفافا ، وقنعه الله بم أتاه » .

وسئل الزهري عن الزاهد ، فقال : من لم يغلب الحرام صبره ، ومن لم يشغل الحلال شكره .

وهذه الآية مثل ضربه الله تعالى لزينة الدنيا ، وسرعة زوالها ، وفنائها .

وقال تعالى : واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا [الكهف (٤٥ ، ٤٦)] .." (٢)

"هذا الحديث أصل كبير في أصول الدين وفروعه . وأخرج البزار في مسنده والحاكم من حديث أبي الدرداء - رضي الله عنه - أن النبي (قال : " ما أحل الله في كتابه فهو حلال ، وما حرم فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عفو فاقبلوا من الله عافيته فإن الله لم يكن لينسى شيئاً " . ثم تلا هذه الآية وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً " .

الحديث الحادي والثلاثون :

عن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي - رضي الله عنه - قال : جاء رجل إلى النبي (فقال : يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس؟ فقال : " ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس " .

---

(١) شرح صحيح البخارى ـ لابن بطال، ١٠/١١١

(٢) تطريز رياض الصالحين، ١/٣١٢

حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة .

اشتمل هذا الحديث على وصيتين عظيمتين . قال أبو داود : أصول السنن في كل فن أربعة أحاديث : " إنما الأعمال بالنيات وحديث " الحلال بين والحرام بين " . وحديث " من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه " . وحديث " ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما في أيد الناس يحبك الناس " . وقال الفضيل بن عياض : أصل الزهد **الرضا عن الله** عز وجل . وسئل الزهري عن الزاهد؟ فقال : من لم يغلب الحرام صبره ، ومن لم يشغل الحلال شكره . وقال سعيد بن جبير : متاع الغرور ما يلهيك عن طلب الآخرة ، وما لم يلهك فليس متاع الغرور ولكنه متاع بلاغ إلى ما هو خير منه .

وقال أبو إدريس الخولاني : الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال ، إنما الزهادة في الدنيا أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يديك ، وإذا أصبت بمصيبة كنت أشد رجاء لأجرها وذخرها منها لو بقيت . وكان عمر يقول على المنبر: إن الطمع فقر ، وإن اليأس غنى ، وإن الإنسان إذا أيس من شيء استغنى عنه ، وقال بعض السلف :

يقولون لي : فيك انقباض وإنما

رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجما

أرى الناس من داناهم هان عندهم

ومن أكرمته عزة النفس أكرما

ولو أن أ هل العلم صانوه صانهم." (١)

"وَقَالَ بَعْضهمْ : وَهُوَ مُنْتَزِع مِمَّا تَقَدَّمَ لَا يَتَحَرَّك لَهُ جَارِحَةٌ إِلَّا فِي اللَّهِ وَلِلَّهِ ، فَهِيَ كُلُّهَا تَعْمَلُ بِالْحَقِّ لِلْحَقِّ . وَأَسْنَدَ الْبَيْهَقِيُّ فِي " الزُّهْد " عَنْ أَبِي عُثْمَان الْجِيزِيّ أَحَدِ أَئِمَّة الطَّرِيق قَالَ : مَعْنَاهُ كُنْت أَسْرَعَ إِلَى قَضَاء حَوَائِجه مِنْ سَمْعِهِ فِي الْأَسْمَاع وَعَيْنِهِ فِي النَّظَرِ وَيَده فِي اللَّمْس وَرِجْله فِي الْمَشْي .

وَحَمَلَهُ بَعْض مُتَأَخِّرِي الصُّوفِيَّة عَلَى مَا يَذْكُرُونَهُ مِنْ مَقَام الْفِنَاء وَالْمَحْو(١)،

---

(١) – قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

"الْفَنَاءُ يَنْقَسِمُ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ : فَنَاءٌ عَنْ عِبَادَةِ السِّوَى وَفَنَاءٌ عَنْ شُهُودِ السِّوَى وَفَنَاءٌ عَنْ وُجُودِ السِّوَى .

فَالْأَوَّلُ : أَنْ يَفْنَى بِعِبَادَةِ اللَّهِ عَنْ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ وَبِخَوْفِهِ عَنْ خَوْفِ مَا سِوَاهُ وَبِرَجَائِهِ عَنْ رَجَاءِ مَا سِوَاهُ وَبِالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ عَنِ التَّوَكُّلِ عَلَى مَا سِوَاهُ، وَبِمَحَبَّتِهِ عَنْ مَحَبَّةِ مَا سِوَاهُ ؛ وَهَذَا هُوَ حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ وَالْإِخْلَاصِ الَّذِي أَرْسَلَ اللَّهُ بِهِ رُسُلَهُ وَأَنْزَلَ بِهِ كُتُبَهُ ،وَهُوَ تَحْقِيقُ " لَا إلَهَ إلَّا اللَّه " فَإِنَّهُ يَفْنَى مِنْ قَلْبِهِ كُلُّ تَأَلُّهٍ لِغَيْرِ اللَّهِ وَلَا يَبْقَى فِي قَلْبِهِ تَأَلُّهٌ لِغَيْرِ اللَّهِ وَكُلُّ مَنْ كَانَ أَكْمَلَ فِي هَذَا التَّوْحِيدِ كَانَ أَفْضَلَ عِنْدَ اللَّهِ .

وَالثَّانِي : أَنْ يَفْنَى عَنْ شُهُودِ مَا سِوَى اللَّهِ، وَهَذَا الَّذِي يُسَمِّيهِ كَثِيرٌ مِنَ الصُّوفِيَّةِ حَالَ الِاصْطِلَامِ وَالْفَنَاءِ وَالْجَمْعِ وَنَحْوِ ذَلِكَ

---

(١) تعليم الأحب أحاديث النووي وابن رجب، ص/٣٠

. وَهَذَا فِيهِ فَضِيلَةٌ مِنْ جِهَةِ إقْبَالِ الْقَلْبِ عَلَى اللَّهِ ،وَفِيهِ نَقْصٌ مِنْ جِهَةِ عَدَمِ شُهُودِهِ لِلْأَمْرِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ ،فَإِنَّهُ إذَا شَهِدَ أَنَّ اللَّهَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ وَخَالِقُهُ ،وَأَنَّهُ الْمَعْبُودُ لَا إلَهَ إلَّا هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرُّسُلَ وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ ،وَأَمَرَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ وَنَهَى عَنْ مَعْصِيَتِهِ وَمَعْصِيَةِ رُسُلِهِ فَشَهِدَ حَقَائِقَ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَحْكَامِهِ خُلُقًا وَأَمْرًا : كَانَ أَتَمَّ مَعْرِفَةً وَشُهُودًا وَإِيمَانًا وَتَحْقِيقًا مِنْ أَنْ يَفْنَى بِشُهُودِ مَعْنًى عَنْ شُهُودِ مَعْنًى آخَرَ ،وَشُهُودِ التَّفْرِقَةِ فِي الْجَمْعِ وَالْكَثْرَةِ فِي الْوَحْدَةِ ،وَهُوَ الشُّهُودُ الصَّحِيحُ الْمُطَابِقُ . لَكِنْ إذَا كَانَ قَدْ وَرَدَ عَلَى الْإِنْسَانِ مَا يَعْجِزُ مَعَهُ عَنْ شُهُودِ هَذَا وَهَذَا كَانَ مَعْذُورًا لِلْعَجْزِ لَا مَحْمُودًا عَلَى النَّقْصِ وَالْجَهْلِ .

وَالثَّالِثُ : الْفَنَاءُ عَنْ وُجُودِ السِّوَى ؛ وَهُوَ قَوْلُ الْمَلَاحِدَةِ أَهْلِ الْوَحْدَةِ كَصَاحِبِ الْفُصُوصِ وَأَتْبَاعِهِ الَّذِينَ يَقُولُونَ : وُجُودُ الْخَالِقِ هُوَ وُجُودُ الْمَخْلُوقِ وَمَا ثَمَّ غَيْرٌ وَلَا سِوَى فِي نَفْسِ الْأَمْرِ . فَهَؤُلَاءِ قَوْلُهُمْ أَعْظَمُ كُفْرًا مِنْ قَولِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَعُبَّادِ الْأَصْنَامِ .

وَأَيْضًا فَإِنَّ وِلَايَةَ اللَّهِ : هِيَ مُوَافَقَتُهُ بِالْمَحَبَّةِ لِمَا يُحِبُّ وَالْبُغْضُ لِمَا يُبْغِضُ وَالرِّضَا بِمَا يَرْضَى وَالسُّخْطُ بِمَا يَسْخَطُ ،وَالْأَمْرُ بِمَا يَأْمُرُ بِهِ وَالنَّهْيُ عَمَّا يَنْهَى عَنْهُ ،وَالْمُوَالَاةُ لِأَوْلِيَائِهِ وَالْمُعَادَاةُ لِأَعْدَائِهِ ،كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ » فَهَذَا أَصَحُّ حَدِيثٍ رُوِيَ فِي الْأَوْلِيَاءِ .

فَالْمَلَاحِدَةُ والاتحادية يَحْتَجُّونَ بِهِ عَلَى قَوْلِهِمْ لِقَوْلِهِ : "كُنْت سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَيَدَهُ وَرِجْلَهُ "

وَالْحَدِيثُ حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ مِنْ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ :

مِنْهَا قَوْلُهُ : ﴿ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمُحَارَبَةِ ﴾ فَأَثْبَتَ مُعَادِيًا مُحَارِبًا وَوَلِيًّا غَيْرَ الْمُعَادِي وَأَثْبَتَ لِنَفْسِهِ سُبْحَانَهُ هَذَا وَهَذَا .

وَمِنْهَا قَوْلُهُ : ﴿ وَمَا تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بِمِثْلِ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْت عَلَيْهِ ﴾ فَأَثْبَتَ عَبْدًا مُتَقَرِّبًا إلَى رَبِّهِ وَرَبًّا افْتَرَضَ عَلَيْهِ فَرَائِضَ .

وَمِنْهَا قَوْلُهُ : ﴿ وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ﴾ فَأَثْبَتَ مُتَقَرِّبًا وَمُتَقَرَّبًا إلَيْهِ وَمُحِبًّا وَمَحْبُوبًا غَيْرَهُ . وَهَذَا كُلُّهُ يَنْقُضُ قَوْلَهُمْ : الْوُجُودُ وَاحِدٌ .

وَمِنْهَا قَوْلُهُ : ﴿ فَإِذَا أَحْبَبْته كُنْت سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ﴾ إلَى آخِرِهِ . فَإِنَّهُ جَعَلَ لِعَبْدِهِ بَعْدَ مَحَبَّتِهِ هَذِهِ الْأُمُورَ وَهُوَ عِنْدَهُمْ قَبْلَ الْمَحَبَّةِ وَبَعْدَهَا وَاحِدٌ وَهُوَ عِنْدَهُمْ هَذِهِ الْأَعْضَاءُ : بَطْنُهُ وَفَرْجُهُ وَشَعْرُهُ وَكُلُّ شَيْءٍ لَا تَعَدُّدَ عِنْدَهُمْ وَلَا كَثْرَةَ فِي الْوُجُودِ ؛ وَلَكِنْ يُثْبِتُونَ مَرَاتِب وَمَجَالِيَ وَمَظَاهِرَ ؛ فَإِنْ جَعَلُوهَا مَوْجُودَةً نَقَضُوا قَوْلَهُمْ . وَإِنْ جَعَلُوهَا ثَابِتَةً فِي الْعَدَمِ – كَمَا يَقُولُهُ ابْنُ عَرَبِيٍّ – أَوْ جَعَلُوهَا الْمُعَيَّنَاتِ –وَالْمُطْلَقُ هُوَ الْحَقُّ – كَانُوا قَدْ بَنَوْا ذَلِكَ عَلَى قَوْلِ مَنْ يَقُولُ : الْمَعْدُومُ شَيْءٌ وَقَوْلُ مَنْ جَعَلَ الْكُلِّيَّاتِ ثَابِتَةً فِي الْخَارِجِ زَائِدَةٌ عَلَى الْمُعَيَّنَاتِ .

وَالْأَوَّلُ : قَوْلُ طَائِفَةٍ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَرَبِيٍّ .

وَالثَّانِي : قَوْلُ طَائِفَةٍ مِنَ الْفَلَاسِفَةِ وَهُوَ قَوْلُ القونوي صَاحِبُ ابْنِ عَرَبِيٍّ وَكِلَا الْقَوْلَيْنِ بَاطِلَانِ عِنْدَ الْعُقَلَاءِ ،وَلِهَذَا كَانَ

التلمساني أَحْذَقَ مِنْهُمَا فَلَمْ يُثْبِتْ شَيْئًا وَرَاءَ الْوُجُودِ . كَمَا قِيلَ :

وَمَا الْبَحْرُ إلَّا الْمَوْجُ لَا شَيْءَ غَيْرَهُ وَإِنْ فَرَّقَتْهُ كَثْرَةُ الْمُتَعَدِّدِ

لَكِنَّ هَؤُلَاءِ الضُّلَّالَ مِنَ الْفَلَاسِفَةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ مَا قَالُوا : وُجُودُ الْمَخْلُوقِ هُوَ وُجُودُ الْخَالِقِ ،وَهَؤُلَاءِ الْمَلَاحِدَةُ قَالُوا : هَذَا هُوَ هَذَا ؛ وَلِهَذَا صَارُوا يَقُولُونَ بِالْحُلُولِ مِنْ وَجْهٍ لِكَوْنِ الْوُجُودِ فِي كُلِّ الذَّوَاتِ أَوْ بِالْعَكْسِ وَبِالِاتِّحَادِ مِنْ وَجْهٍ لِاتِّحَادِهِمَا ؛ وَحَقِيقَةُ قَوْلِهِمْ هِيَ وَحْدَةُ الْوُجُودِ .مجموع الفتاوى - (ج ٢ / ص ٣٦٩)فما بعدها

وقاال أيضاً :

"وَالْفَنَاءُ يُرَادُ بِهِ ثَلَاثَةُ أُمُورٍ :

أَحَدُهَا : هُوَ الْفَنَاءُ الدِّينِيُّ الشَّرْعِيُّ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ وَأُنْزِلَتْ بِهِ الْكُتُبُ وَهُوَ أَنْ يَفْنَى عَمَّا لَمْ يَأْمُرْ اللَّهُ بِهِ بِفِعْلِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ : فَيَفْنَى عَنْ عِبَادَةِ غَيْرِهِ بِعِبَادَتِهِ وَعَنْ طَاعَةِ غَيْرِهِ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ،وَعَنِ التَّوَكُّلِ عَلَى غَيْرِهِ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَعَنْ مَحَبَّةِ مَا سِوَاهُ بِمَحَبَّتِهِ وَمَحَبَّةِ رَسُولِهِ ؛ وَعَنْ خَوْفِ غَيْرِهِ بِخَوْفِهِ بِحَيْثُ لَا يَتَّبِعُ الْعَبْدُ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ، وَبِحَيْثُ يَكُونُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٢٤) سورة التوبة، فَهَذَا كُلُّهُ هُوَ مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ .

وَأَمَّا (الْفَنَاءُ الثَّانِي : وَهُوَ الَّذِي يَذْكُرُهُ بَعْضُ الصُّوفِيَّةِ وَهُوَ أَنْ يَفْنَى عَنْ شُهُودِ مَا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى، فَيَفْنَى بِمَعْبُودِهِ عَنْ عِبَادَتِهِ وَبِمَذْكُورِهِ عَنْ ذِكْرِهِ وَبِمَعْرُوفِهِ عَنْ مَعْرِفَتِهِ بِحَيْثُ قَدْ يَغِيبُ عَنْ شُهُودِ نَفْسِهِ لِمَا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى، فَهَذَا حَالٌ نَاقِصٌ قَدْ يَعْرِضُ لِبَعْضِ السَّالِكِينَ وَلَيْسَ هُوَ مِنْ لَوَازِمِ طَرِيقِ اللَّهِ ،وَلِهَذَا لَمْ يُعْرَفْ مِثْلُ هَذَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِلسَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ ،وَمَنْ جَعَلَ هَذَا نِهَايَةَ السَّالِكِينَ فَهُوَ ضَالٌّ ضَلَالًا مُبِينًا ،وَكَذَلِكَ مَنْ جَعَلَهُ مِنْ لَوَازِمِ طَرِيقِ اللَّهِ فَهُوَ مُخْطِئٌ ،بَلْ هُوَ مِنْ عَوَارِضِ طَرِيقِ اللَّهِ الَّتِي تَعْرِضُ لِبَعْضِ النَّاسِ دُونَ بَعْضٍ، لَيْسَ هُوَ مِنْ اللَّوَازِمِ الَّتِي تَحْصُلُ لِكُلِّ سَالِكٍ.

وَأَمَّا الثَّالِثُ : فَهُوَ الْفَنَاءُ عَنْ وُجُودِ السِّوَيِّ بِحَيْثُ يَرَى أَنَّ وُجُودَ الْمَخْلُوقِ هُوَ عَيْنُ وُجُودِ الْخَالِقِ، وَأَنَّ الْوُجُودَ وَاحِدٌ بِالْعَيْنِ، فَهُوَ قَوْلُ أَهْلِ الْإِلْحَادِ وَالِاتِّحَادِ الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَضَلِّ الْعِبَادِ، وَأَمَّا مُخَالَفَتُهُمْ لِضَرُورَةِ الْعَقْلِ وَالْقِيَاسِ : فَإِنَّ الْوَاحِدَ مِنْ هَؤُلَاءِ لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَطْرُدَ قَوْلَهُ ،فَإِنَّهُ إذَا كَانَ مُشَاهِدًا لِلْقَدَرِ مِنْ غَيْرِ تَمْيِيزٍ بَيْنَ الْمَأْمُورِ وَالْمَحْظُورِ فَعُومِلَ بِمُوجِبِ ذَلِكَ مِثْلَ أَنْ يُضْرَبَ وَيُجَاعَ حَتَّى يُبْتَلَى بِعَظِيمِ الْأَوْصَابِ وَالْأَوْجَاعِ ،فَإِنْ لَامَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بِهِ وَعَابَهُ فَقَدْ نَقَضَ قَوْلَهُ وَخَرَجَ عَنْ أَصْلِ مَذْهَبِهِ ،وَقِيلَ لَهُ : هَذَا الَّذِي فَعَلَهُ مَقْضِيٌّ مَقْدُورٌ فَخَلْقُ اللَّهِ وَقَدَرُهُ وَمَشِيئَتُهُ : مُتَنَاوِلٌ لَك وَلَهُ وَهُوَ يَعُمُّكُمَا ،فَإِنْ كَانَ الْقَدَرُ حُجَّةً لَك فَهُوَ حُجَّةٌ لِهَذَا، وَإِلَّا فَلَيْسَ بِحُجَّةٍ لَا لَك وَلَا لَهُ، فَقَدْ تَبَيَّنَ بِضَرُورَةِ الْعَقْلِ فَسَادُ قَوْلِ مَنْ يَنْظُرُ إلَى الْقَدَرِ وَيُعْرِضُ عَنِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْمُؤْمِنُ مَأْمُورٌ بِأَنْ يَفْعَلَ الْمَأْمُورَ وَيَتْرُكَ الْمَحْظُورَ وَيَصْبِرَ عَلَى الْمَقْدُورِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾ . وَقَالَ فِي قِصَّةِ يُوسُفَ : ﴿ إنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ فَالتَّقْوَى فِعْلُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَتَرْكُ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ ،وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَاصْبِرْ إنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ فَأَمَرَهُ مَعَ الِاسْتِغْفَارِ بِالصَّبْرِ ؛ فَإِنَّ الْعِبَادَ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنَ الِاسْتِغْفَارِ أَوَّلُهُمْ وَآخِرُهُمْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ : " ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إلَى رَبِّكُمْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إنِّي لَأَسْتَغْفِر اللَّهَ وَأَتُوبُ إلَيْهِ

فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةٍ ﴾ وَقَالَ : " ﴿ إنَّهُ ليغان عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِر اللَّهَ وَأَتُوبُ إلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ ﴾ . وَكَانَ يَقُولُ " ﴿ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ؛ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَئِي وَعَمْدِي وَهَزْلِي وَجِدِّي وَكُلَّ ذَلِكَ عِنْدِي ؛ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْت وَمَا أَخَّرْت وَمَا أَسْرَرْت وَمَا أَعْلَنْت وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ ﴾ وَقَدْ ذَكَرَ عَنْ آدَمَ أَبِي الْبَشَرِ أَنَّهُ اسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَتَابَ إلَيْهِ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَاهُ ؛ وَعَنْ إبْلِيسَ أَبِي الْجِنِّ – لَعَنَهُ اللَّهُ – أَنَّهُ أَصَرَّ مُتَعَلِّقًا بِالْقَدَرِ فَلَعَنَهُ وَأَقْصَاهُ ،فَمَنْ أَذْنَبَ وَتَابَ وَنَدِمَ فَقَدْ أَشْبَهَ أَبَاهُ ،وَمَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ ﴿ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ وَلِهَذَا قَرَنَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بَيْنَ التَّوْحِيدِ وَالِاسْتِغْفَارِ فِي غَيْرِ آيَةٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَاسْتَقِيمُوا إلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا إلَّا اللَّهَ إنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾ ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ وَغَيْرُهُ : " ﴿ يَقُولُ الشَّيْطَانُ أَهْلَكْت النَّاسَ بِالذُّنُوبِ وَأَهْلَكُونِي بِلَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وَالِاسْتِغْفَارِ ؛ فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ بَثَثْت فِيهِمُ الْأَهْوَاءَ، فَهُمْ يُذْنِبُونَ وَلَا يَتُوبُونَ ،لِأَنَّهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ وَقَدْ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ عَنْ ذِي النُّونِ أَنَّهُ نَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إلَهَ إلَّا أَنْتَ سُبْحَانَك إنِّي كُنْت مِنْ الظَّالِمِينَ قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " ﴿ دَعْوَةُ أَخِي ذِي النُّونِ مَا دَعَا بِهَا مَكْرُوبٌ إلَّا فَرَّجَ اللَّهُ كَرْبَهُ ﴾.

وَجِمَاعُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ فِي الْأَمْرِ مَنْ أَصْلَيْنِ وَلَا بُدَّ لَهُ فِي الْقَدَرِ مِنْ أَصْلَيْنِ .

فَفِي " الْأَمْرِ " عَلَيْهِ الِاجْتِهَادُ فِي الِامْتِثَالِ عِلْمًا وَعَمَلًا ،فَلَا يَزَالُ يَجْتَهِدُ فِي الْعِلْمِ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَالْعَمَلِ بِذَلِكَ . ثُمَّ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَغْفِرَ وَيَتُوبَ مِنْ تَفْرِيطِهِ فِي الْمَأْمُورِ وَتَعَدِّيهِ الْحُدُودَ ،وَلِهَذَا كَانَ مِنَ الْمَشْرُوعِ أَنْ يَخْتِمَ جَمِيعَ الْأَعْمَالِ بِالِاسْتِغْفَارِ، فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذَا انْصَرَفَ مِنْ صِلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِين بِالْأَسْحَارِ ﴾ فَقَامُوا بِاللَّيْلِ وَخَتَمُوهُ بِالِاسْتِغْفَارِ ، وَآخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ إذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ ﴿ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ : " ﴿ سُبْحَانَك اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِك اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ﴾ يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ .

وَأَمَّا فِي " الْقَدَرِ " فَعَلَيْهِ أَنْ يَسْتَعِينَ بِاَللَّهِ فِي فِعْلِ مَا أَمَرَ بِهِ وَيَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ وَيَدْعُوَهُ ؛ وَيَرْغَبَ إلَيْهِ وَيَسْتَعِيذَ بِهِ، وَيَكُونَ مُفْتَقِرًا إلَيْهِ فِي طَلَبِ الْخَيْرِ وَتَرْكِ الشَّرِّ ،وَعَلَيْهِ أَنْ يَصْبِرَ عَلَى الْمَقْدُورِ ،وَيَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ ؛ وَإِذَا آذَاهُ النَّاسُ عَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ مُقَدَّرٌ عَلَيْهِ ،وَمِنْ هَذَا الْبَابِ احْتِجَاجُ آدَمَ وَمُوسَى لَمَّا قَالَ : يَا آدَمَ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَك اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيك مِنْ رُوحِهِ وَأَسْجَدَ لَك مَلَائِكَتَهُ ؛ لِمَاذَا أَخْرَجْتنَاوَنَفْسَك مِنْ الْجَنَّةِ ؟ فَقَالَ لَهُ آدَمَ : أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاك اللَّهُ بِكَلَامِهِ فَبِكَمْ وَجَدْتَ مَكْتُوبًا عَلَيَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ أُخْلَقَ : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ قَالَ : بِكَذَا وَكَذَا فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، وَذَلِكَ أَنَّ مُوسَى لَمْ يَكُنْ عَتَبُهُ لِآدَمَ لِأَجْلِ الذَّنْبِ، فَإِنَّ آدَمَ قَدْ كَانَ تَابَ مِنْهُ ،وَالتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ ؛ وَلَكِنْ لِأَجْلِ الْمُصِيبَةِ الَّتِي لَحِقَتْهُمْ مِنْ ذَلِكَ . وَهُمْ مَأْمُورُونَ أَنْ يَنْظُرُوا إلَى الْقَدَرِ فِي الْمَصَائِبِ وَأَنْ يَسْتَغْفِرُوا مِنَ المعائب كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَاصْبِرْ إنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾.

فَمَنْ رَاعَى الْأَمْرَ وَالْقَدَرَ كَمَا ذَكَرَ : كَانَ عَابِدًا لِلَّهِ مُطِيعًا لَهُ مُسْتَعِينًا بِهِ مُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ مِنْ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ؛ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا .

وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ فِي مَوَاضِعَ كَقَوْلِهِ : ﴿ إيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ وَقَوْلِهِ : ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ وَقَوْلِهِ : ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ وَقَوْلِهِ : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾.

فَالْعِبَادَةُ لِلَّهِ وَالِاسْتِعَانَةُ بِهِ ﴿ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ عِنْدَ الْأُضْحِيَّةِ :اللَّهُمَّ مِنْك وَلَك ﴾ فَمَا لَمْ يَكُنْ بِاَللَّهِ لَا يَكُونُ ؛ فَإِنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِاَللَّهِ وَمَا لَمْ يَكُنْ بِاَللَّهِ فَلَا يَنْفَعُ وَلَا يَدُومُ.

وَلَا بُدَّ فِي عِبَادَتِهِ مِنْ أَصْلَيْنِ :

أَحَدُهُمَا إخْلَاصُ الدِّينِ لَهُ .

وَالثَّانِي مُوَافَقَةُ أَمْرِهِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ رُسُلَهُ ؛ وَلِهَذَا كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ : اللَّهُمَّ اجْعَلْ عَمَلِي كُلَّهُ صَالِحًا وَاجْعَلْهُ لِوَجْهِك خَالِصًا وَلَا تَجْعَلْ لِأَحَدِ فِيهِ شَيْئًا ؛ وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ قَالَ : أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ ،قَالُوا يَا أَبَا عَلِيٍّ : مَا أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ ؟ قَالَ : إذَا كَانَ الْعَمَلُ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يُقْبَلْ وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يُقْبَلْ حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا ؛ وَالْخَالِصُ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ وَالصَّوَابُ أَنْ يَكُونَ عَلَى السُّنَّةِ ،وَلِهَذَا ذَمَّ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ فِي الْقُرْآنِ عَلَى اتِّبَاعِ مَا شَرَعَ لَهُمْ شُرَكَاؤُهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ مِنْ عِبَادَةِ غَيْرِهِ ،وَفِعْلِ مَا لَمْ يَشْرَعْهُ مِنَ الدِّينِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾ كَمَا ذَمَّهُمْ عَلَى أَنَّهُمْ حَرَّمُوا مَا لَمْ يُحَرِّمْهُ اللَّهُ . وَالدِّينُ الْحَقُّ أَنَّهُ لَا حَرَامَ إلَّا مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ وَلَا دِينَ إلَّا مَا شَرَعَهُ .مجموع الفتاوى – (ج ٣ / ص ١١٨)

وقال الإمام الذهبي رحمه الله :

"قالَ ابْنُ الأَعْرَابِيّ –وَلَقَدْ أَحسن فِي المَقَال – :فَإِذَا سَمِعْتُ الرَّجُل يَسْأَل عَنِ الجَمْع أَوِ الفَنَاء، أَوْ يُجِيْب فِيْهِمَا، فَاعلمْ أَنَّهُ فَارغٌ، لَيْسَ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ إِذْ أَهلُهمَا لاَ يَسْأَلُوْنَ عَنْهُ لِعْلمهم أَنَّهُ لاَ يدرك بِالوَصْف.

قُلْتُ:إِي وَاللهِ، دقَّقُوا وَعمَّقُوا، وَخَاضُوا فِي أَسرَارٍ عَظِيْمَة، مَا مَعَهُم عَلَى دَعْوَاهُم فِيْهَا سِوَى ظنٍّ وَخيَالٍ، وَلاَ وَجودَ لتلك الأَحْوَال مِنَ الفَنَاء وَالمحو وَالصَّحو وَالسُّكر إِلاَّ مُجَرَّد خَطَرَات ووسَاوس، مَا تفُوَّه بعبارَاتهم صِدِّيْق، وَلاَ صَاحِبٌ، وَلاَ إِمَامٌ مِنَ التَّابِعِيْنَ.

فَان طَالبتَهم بدعَاويهم مقَتُوك، وَقَالُوا:محجوب، وَإِن سَلَّمت لَهُم قِيَادك تخبَّط مَا مَعَكَ مِنَ الإِيْمَان، وَهبَطَ بِك الحَال عَلَى الحَيْرَة وَالمُحَال، وَرَمَقْت العُبَّاد بعين المَقْت، وَأَهْل القُرْآن وَالحَدِيْثِ بعين البُعْد، وَقُلْتَ:مسَاكين محجوبُوْنَ.

فلاَ حَوْلَ وَلاَ قوَّة إِلاَّ بِاللهِ.

فَإِنَّمَا التَّصَوُّف وَالتأَلُّه وَالسُّلوك وَالسَّيْر وَالمَحَبَّة مَا جَاءَ عَنْ أَصْحَابِ مُحَمَّد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مِنَ **الرِّضَا عَنِ اللهِ**، وَلزوم تَقْوَى الله، وَالجِهَادِ فِي سَبِيْل الله، وَالتَأَدُّب بآدَاب الشَّرِيعَة مِنَ التِّلاَوَة بترتيلٍ وَتدبُّرٍ، وَالقِيَام بخَشْيَةٍ وَخشوعٍ، وَصَوْمِ

وَقتٍ، وَإِفطَار وَقت، وَبَذْلَ المَعْرُوْف، وَكَثْرَة الإِيثَار، وَتَعْلِيم العَوَام، وَالتَّوَاضع لِلْمُؤْمنين، وَالتعزُّز عَلَى الكَافرين، وَمَعَ هَذَا فَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاء إِلَى صرَاطٍ مُسْتَقِيْمٍ.

وَالعَالِمُ إِذَا عَرِيَ مِنَ التَّصوف وَالتَأَلُّه، فَهُوَ فَارغ، كَمَا أَنَّ الصُّوْفِيّ إِذَا عَرِيَ مِنْ عِلْمِ السُّنَّة، زَلَّ عَنْ سوَاءِ السَّبيل.

وَقَدْ كَانَ ابْنُ الأَعْرَابِيّ مِنْ عُلَمَاء الصُّوْفِيَّة، فترَاهُ لاَ يَقْبَلُ شَيْئاً مِنِ اصطلاَحَات القَوْمِ إِلاَّ بِحُجَّةٍ. سير أعلام النبلاء(١٥/٤١٠)." (١)

"وقولُه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ). (١)

---

(١) قولُه: (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) لَمَّا ذَكَر أعمالَهم الصَّالحةَ ذَكَر أنَّه أثَابَهُمْ عليها رِضَاهُ الَّذي هو أعظمُ وأَجَلُّ من كلِّ نعيمٍ، قال تعالى: (وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ).

أفادتْ هذه الآيةُ إثباتَ صفةِ الرِّضا للهِ -سُبْحَانَهُ وتعالَى- كما يليقُ بجلالِه، ولا يقالُ: الرِّضا إرادةُ الإحسانِ، والغضبُ إرادةُ الانتقامِ، كما تَزْعمُهُ المبتدِعةُ، فإنَّ هذا نفيٌ للصِّفةِ وصَرْفٌ للقرآنِ عن ظاهرِه وحقيقتِه بغيرِ مُوجِبٍ، وهذا لا يجوزُ.

وفي هذِه الآيةِ دليلٌ على إثباتِ أفعالِ اللهِ الاختياريَّةِ وأدلَّةُ ذلك من الكتابِ والسُّنَّةِ لا تُحْصرُ، وفيها دليلٌ على إثباتِ فعلِ العبدِ وأنَّ له فعلاً اختياريًّا.

وفيها دليلٌ على أنَّ الجزاءَ من جنسِ العملِ، وفيها فضلُ **الرِّضا عن اللهِ**، والرِّضا لغةً: ضدُّ السَّخطِ والكراهةِ، وقال بعضُهُم: هو سُكونُ القلبِ تحتَ مَجَاري الأحْكَامِ، قال في ((فَتْحِ المَجِيدِ)): هو أن يُسْلِمَ العبدُ أمرَه إلى اللهِ ويُحْسِنَ الظَّنَّ به ويَرْضى عنه في ثوابِه.

قال ابنُ القيِّمِ رحمه اللهُ: الرِّضا ينقسمُ إلى ثلاثةِ أقسامٍ: الرِّضا باللهِ، **والرِّضا عن اللهِ**، والرِّضا بقضاءِ اللهِ، فالرِّضا باللهِ فرضٌ، والرِّضا عنه وإنْ كان من أَجَلِّ الأمورِ وأَشْرَفِهَا فلم يُطَالَبْ به العُمومُ لِعَجْزِهِم عنه ومَشقَّتِه عليهم، وأوجَبَهُ بعضُهم، وأمَّا الرِّضا بكلِّ مقضيٍّ فلا يجبُ، بل المقضيُّ ينقسمُ إلى ما يجبُ الرِّضا به، وهو المَقْضِيُّ الدِّينيُّ، قال تعالى: (فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُم) الآيةَ، ومَقضيٌّ كَوْنِيٌّ قَدَرِيٌّ، فإنْ كان فَقرًا أو مَرضًا ونحوَ ذلك اسْتُحِبَّ الرِّضا به ولم يجبْ، وَأوجبَه بعضُهم، وإنْ كان كُفرًا أو معصيةً حُرِّمَ الرِّضا به مخالفةً لربِّه، فإنَّه -سُبْحَانَهُ- لا يَرضى بذلك ولا يُحِبُّهُ، قال تعالى: (وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ) الآيةَ، وأمَّا القضاءُ الَّذي هو صفةُ اللهِ وفعلُه فالرِّضا به واجبٌ. انتهى بتصرُّفٍ.

وقال الشَّيخُ تقيُّ الدِّينِ بنُ تيميةَ في ((تَائِيَّتِهِ)):

فَنَرْضَى مِنَ الْوَجْهِ الَّذي هُوَ فِعْلُهُ وَنَسْخَطُ مِنْ وَجْهِ اكْتِسَابِ بِحِيلَتِي

---

(١) الخلاصة في شرح حديث الولي، ص/٤١٨

وقال السَّفارينيُّ في ((الدُّرَّةِ المُضِيئَةِ)):

وَلَيْسَ واجِبًا عَلَى الْعَبْدِ الرِّضا بِكُلِّ مَقْضِيِّ وَلَكِنْ بِالْقَضَاءِ." (١)

"تجريد التوحيد المفيد

للشيخ الإمام

تقي الدين أحمد بن علي المقريزي

المتوفى عام ٨٤٥ من الهجرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، وصلى الله على نبينا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ..

أما بعد ، فهذا كتاب جم الفوائد بديع الفرائد ، ينتفع به من أراد الله والدار الآخرة .. سميته ((تجريد التوحيد المفيد)) ، والله أسأل العون على العمل بمنه .

اعلم أن الله سبحانه رب كل شيء ومالكه وإلهُهُ :

في معنى الرب :

فالرب مصدر ربُّ يَرَبُّ ربّاً فهو رابٌّ : فمعنى قوله تعالى ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ رابِّ العالمين ، فإن الرب سبحانه وتعالى هو الخالق الموجد لعباده ، القائم بتربيتهم وإصلاحهم من خَلقٍ ورزقٍ وعافية وإصلاح دين ودنيا .

في معنى الإلهية :

والإلهية كون العباد يتخذونه سبحانه محبوباً مألوهاً ويفردونه بالحب والخوف والرجاء والإخبات والتوبة والنذر والطاعة والطلب والتوكل ، ونحو هذه الأشياء . فإن التوحيد حقيقته أن ترى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع الالتفات إلى الأسباب والوسائط ، فلا ترى الخير والشر إلا منه تعالى ، وهذا المقام يثمر التوكل وترك شكاية الخلقِ وترك لومهم **والرضا عن الله** تعالى والتسليم لحكمه .

وإذا عرفت ذلك فاعلم أن الربوبية منه تعالى لعباده والتَّأَلُّهَ من عباده له سبحانه ، كما أن الرحمة هي الوصلة بينهم وبينه عز وجل .

بيان أن للتوحيد قشرين

للتوحيد قشران :

واعلم أن أنفس الأعمال وأجلها قدراً توحيد الله تعالى .. غير أن التوحيد له قشران : القشر الأول : أن تقول بلسانك لا إله إلا الله ، ويسمى هذا القول توحيداً ، وهو مناقض للتثليث الذي تعتقده النصارى ، وهذا التوحيد يصدر أيضاً من المنافق الذي يخالف سره جهره .

القشر الثاني :

---

(١) التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية، ص/٥٣

أن لايكون في القلب مخالفة ولا إنكار لمفهوم هذا القول ، بل يشتمل القلب على اعتقاده ذلك والتصديق به وهذا هو توحيد عامة الناس .." (١)

"ص -٥-

حقيقته: أن ترى الأمور كلها من الله – تعالى – رؤية تقطع الالتفات إلى الأسباب والوسائط، فلا ترى الخير والشر إلا منه تعالى، وهذا المقام يثمر التوكل، وترك شكاية الخلق، وترك لومهم، **والرضا عن الله** – تعالى –، والتسليم لحكمه.

وإذا عرفت ذلك فاعلم أن الربوبية منه تعالى لعباده، والتأله من عباده له سبحانه، كما أن الرحمة هي الوصلة بينهم وبينه عز وجل.

واعلم أن أنفس الأعمال وأجلها قدرا: توحيد الله – تعالى –، غير أن التوحيد له قشرتان:

الأولى: أن تقول بلسانك: لا إله إلا الله، ويسمى هذا." (٢)

"قال رحمه الله بعد ذلك (فَلَوِ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عَلَى شَيْءٍ كَتَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ -يعني في اللوح- أَنَّهُ كَائِنٌ؛ لِيَجْعَلُوهُ غَيْرَ كَائِنٍ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ عَلَى شَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ؛ لِيَجْعَلُوهُ كَائِنًا لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَا أَخْطَأَ الْعَبْدَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَمَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ.).

وهذه العقيدة هي حقيقة الإيمان بالقضاء والقَدَرْ.

هي أنْ يعلم العبد أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه وأنَّ ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأنه لو فَعَلَ ما فَعَلْ فإنه لن يَحْجِبَ قضاء الله – عز وجل – وقدره، لم؟

لأنه لا يمكن أن يفعل خلاف ما قدَّرَ الله – عز وجل –.

لهذا وجب التسليم لله – عز وجل – في أمره، ووجب في أَمْرِ المصائب التي لا اختيار للعبد فيها أن يُسَلِّمَ لله – عز وجل – ذلك، وأن يؤمن بقضاء الله – عز وجل – الذي يقضيه.

وقضاء الله – عز وجل – كما ذكرت لك هو إنفاذه ما قَدَّر – عز وجل –.

وهذا القضاء له جهتان:

١ – جهة متعلقة بالله – عز وجل –، وهي فعله سبحانه وتعالى.

وفعله بأن يقضي صفة من صفاته.

فهذه يجب على العبد أن يُحِبَّهَا وأن يرضى بها لأنها صفة من صفات الله – جل جلاله –.

٢ – جهة متعلقة بالعبد لا بالرب، فيكون مَقْضِياً على العبد.

---

(١) تجريد التوحيد للمقريزي، ص/١

(٢) موسوعة توحيد رب العبيد، ٣/٢

والمقضي على العبد نوعان:

- مقضي عليه من جهة المصائب.

- ومقضي عليه من جهة المعايب.

والمصايب ربما كان لا اختيار له فيها، والمعايب فَعَلَهَا بإرادته.

لهذا بَحَثَ العلماء مسألة الرّضا بالقضاء وهل القضاء تسليم له، يعني الرضا به؟

وتحقيق القول في هذه المسألة أنْ تَعْلَمَ أَنَّ القضاء غير المَقْضِي.

المقضي هذا تَعَلُّقْ القضاء بالعبد.

والقضاء هو قضاء الله - عز وجل - وهو فعله.

وقد يقال فيما يتعلق بالعبد: هذا قُضِيَ عليه وصار قضاءً عليه، فيكون قَضَاء بالنسبة للعبد وهو مَقْضِي.

لهذا نقول: جهة الرب - عز وجل - في القضاء هذه نرضى بها ونحبها.

وأما ما يقضيه الله - عز وجل - على العبد فإنه ما كان من المعايب من المعاصي والآثام التي تقع منه فإنه يجب عليه أن لا يرضى بها.

يعني وَقَعَتْ عليه لكن يجب عليه أن يكره ذلك الذي وقع منه ولو كان قضاءً، ويجب عليه أن يسارع بالانسلاخ من آثاره بالتوبة والإنابة، فلا يُحِبُّ هذا العيب ولا هذا الذنب مع أنه قضاء ولا يرضى به؛ بل يسارع في تخليص نفسه منه.

وأما ما كان من قبيل المصائب التي يُصاب بها العبد فإنّ الرضا بها مُسْتَحَبْ غير واجب.

إذا أُصِيبَ بمصيبة فإنَّ الرضا بها مستحب، كما قال - عز وجل - ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾[التغابن:١١]، قال علقمة رحمه الله (هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلّم)(١).

فالرضا بالمَقْضِيّ الذي هو من المصائب مستحب لا واجب بالنظر إلى تعلّقه بالعبد وهو المَقْضِي.

أما بالنظر إلى تعلقه بالله فسواء كان من المصايب أو من المعايب فإنه يجب **الرّضا عن الله** - عز وجل - بأفعاله وصفاته ومحبة أفعال الله - عز وجل - لأنّ الله - عز وجل - يفعل ما يفعل عن حكمة عظيمة، كما قال سبحانه ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ القَاعِدِينَ (٤٦) لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً﴾[التوبة:٤٦-٤٧]، فالله - عز وجل - يقضي بحكمته ما يشاء، وله الحكمة البالغة، لا يُسْأَلُ عما يفعل وهم يسألون.

فإذاً تَلَخَّصَ من ذلك أنَّ ما أصاب العبد لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

ويتصل بهذا البحث، أو نطويه لأنه قد يطول علينا.

مباحث القدر طويلة ترجعون إليها إن شاء الله تعالى.

(١) انظر تفسير الطبري (التغابن:١١)." (١)

"المرتبة الثانية الرضا : قال رحمه الله إن الرضا (قيل واجب وقيل مستحب) وهذان قولان لأهل العلم منهم من قال إن الرضا واجب. ومنهم من قال إن الرضا مستحب. والصواب أن لا يقال أن الرضا لا هو واجب ولا مستحب بل هو جهتان:

١. الرضا بفعل الله جل وعلا فهو قضاءه وقدره وهذا واجب، لأن الرضا بصفات الله جل وعلا وما يفعله واجب.

٢. والثاني الرضا بالمقضي بالمقدر فهذا مستحب.

مثلا فقد الولد أو فقد حبيب من جهة أن هذا الفعل جاء من الله جل وعلا فواجب الرضا عن أفعال الله جل وعلا وأما تسخط أفعال الله جل وعلا في ملكوته لأن هذا يدخل في ظن السوء بالله؛ يدخل في عموم قوله الظانين بالله ظن السوء[الفتح:٦]، والجهة الثانية المقضي نفسه والمصيبة نفسها وهي فقد الولد، فالرضا به فهذا مستحب، يرضى لكونه يعلم أن هذا فيه خير له وأنه أصلح وأن الله جل وعلا لا يختار للعبد إلا ما هو أصلح له ونحو ذلك فهنا يرضى بالمصيبة وهذا من الأمور المستحبة لذوي المقامات العالية، كما قال تعالى ومن يؤمن بالله يهد قلبه[التغابن:١١]، قال علقمة هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها –يعني المصيبة– من عند الله فيرضى بها ويسلم لله جل وعلا. هذا من تمام الإيمان وهو سبب من أسباب الهداية.

فإذن الرضا له جهتان:

جهة واجبة وهي الرضا بفعل الله؛ الرضا بالقضاء نفسه يعني بما أمر الله جل وعلا به كونا وبما قضاه يعني بما أمر به أن يقضى بفعله سبحانه بصفته بتقديره وأشباه ذلك فهذا واجب. لأن **الرضا عن الله** جل وعلا عن صفاته وأسمائه واجب، فلا يظن به سبحانه ظن السوء.

والجهة الثانية الرضا بالمقدور فهذا مستحب، الرضا بالمصيبة في نفسها بفقد الولد في نفسه وأشباه ذلك.." (٢)

"فإذا نويت خيرا فأبشر بالخير وإذا نويت غير ذلك فأنت وما ترتضي لنفسك .

لهذا من الخير أن تجعل أمانيك عظاما أن تجعل أمنياتك من الخيرات عظيمة وأن لا تقنع في أمرك مثلا في العلم والتعلم بشيء يسير بل كن كما قال الله جل وعلا في وصف المؤمنين الصالحين والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما (٧٢) والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا (٧٣) والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما (٧٤) أولئك يجزون الغرفة بما صبروا دعوا بدعوة قد يكونوا صاروا أئمة وقد لا يكونون لكن فضل الله جل وعلا يؤتيه من يشاء .

وثم فرق عظيم بين حب الإمامة في الدين وبين الترفع وحب الجاه والرغبة في أن ينظر الخلق إلى ذلك الرجل وقد ذكر هذا

(١) شرح العقيدة الطحاوية – صالح آل الشيخ، ص/٢٦٢

(٢) شرح عدة متون في العقيدة، ٦/٢٣٥

الفرق ابن القيم وغيره .

فمصدر محبة الإمامة في الدين الرضا عن الله جل وعلا وعن شرعه ودينه والرغبة في الآخرة وقلب الرجل معلق بالآخرة ولا ينظر إلى الدنيا فهو يريد أن يكون إماما للمتقين لكي يهديهم إلى دين الله ولكي يبصرهم في أمر الله ونهيه وبما جاء في كتابه فيحب ذلك لا لنفسه ولكن محبة لدلالة الخلق على خالقهم وإرشاد الخلق إلى ما يرضي ربه جل وعلا .

وأما الآخر فمراده وقصده أن يكون له في الناس جاه وسمعه ورفعه إذا حصل له ذلك حصل له مبتغاه .

فهذا من الشيطان وأما الآخر فهو من الإخلاص .." (١)

"لهذا نقول: جهة الرب في القضاء هذه نرضى بها ونحبها.

وأما ما يقضيه الله على العبد فإنه ما كان من المعايب من المعاصي والآثام التي تقع منه فإنه يجب عليه أن لا يرضى بها. يعني وقعت عليه لكن يجب عليه أن يكره ذلك الذي وقع منه ولو كان قضاء، ويجب عليه أن يسارع بالانسلاخ من آثاره بالتوبة والإنابة، فلا يحب هذا العيب ولا هذا الذنب مع أنه قضاء ولا يرضى به؛ بل يسارع في تخليص نفسه منه.

وأما ما كان من قبيل المصائب التي يصاب بها العبد فإن الرضا بها مستحب غير واجب.

إذا أصيب بمصيبة فإن الرضا بها مستحب، كما قال ومن يؤمن بالله يهد قلبه[التغابن:١١]، قال علقمة / (هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم)١٤.

فالرضا بالمقضي الذي هو من المصائب مستحب لا واجب بالنظر إلى تعلقه بالعبد وهو المقضي.

أما بالنظر إلى تعلقه بالله فسواء كان من المصايب أو من المعايب فإنه يجب الرضا عن الله بأفعاله وصفاته ومحبة أفعال الله لأن الله يفعل ما يفعل عن حكمة عظيمة، كما قال سبحانه ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين (٤٦) لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا[التوبة:٤٦-٤٧]، فالله يقضي بحكمته ما يشاء، وله الحكمة البالغة، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

فإذا تلخص من ذلك أن ما أصاب العبد لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

ويتصل بهذا البحث، أو نطويه لأنه قد يطول علينا.

مباحث القدر طويلة ترجعون إليها إن شاء الله تعالى.

قال / بعد ذلك (وعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كل كائن من خلقه، فقدر ذلك تقديرا محكما مبرما، ليس فيه ناقض ولا معقب)." (٢)

"كلام ابن القيم في معنى قوله تعالى: (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)

قال ابن القيم في بدائع الفوائد: في هذه الآية جمع لهم سبحانه وتعالى بين العذابين: عذاب الحجاب وعذاب النار، فألم الحجاب يجعل في قلوبهم وأرواحهم ألما نفسانيا، تتألم وتتعذب به قلوبهم وأرواحهم، نظير ما تفعله النار في أجسادهم، كحال

---

(١) شرح عدة متون في العقيدة، ١٣/٥٨

(٢) إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل، ١٩/١٩

من حيل بينه وبين أحب الأشياء إليه في الدنيا وأخذ بأشد العذاب.

يعني: جمع له هذان الأمران، فرق إلى الأبد بينه وبين أحب إنسان إليه في الدنيا، بالإضافة إلى ذلك عذب أشد العذاب، فجسمه في عذاب، وقلبه وروحه في عذاب، والعياذ بالله.

يقول: فإن أخطر عذاب الروح أن تتعلق بمحبوب لا غنى لها عنه، وهي ممنوعة من الوصول إليه، فكيف إن حصل لها مع غياب المحجوب عنها وطول احتجابه بغضه لها ومقته وطرده وغضبه الشديد عليها؟! ولذلك ف ابن القيم يريد أن يبين أن هذا الألم الذي يقع على القلوب والأرواح ألم نفسي أشد بكثير جدا مما يقع على الأبدان، ويزداد العذاب شدة عندما يتوارى هذا المحبوب ويطول احتجابه عنها.

يقول: فأي نسبة لألم البدن إلى هذا الألم الذي لا يتصوره إلا من بلي به أو بشيء منه، فلو توهمت النفوس ما في احتجاب الله سبحانه وتعالى عنها يوم لقائه من الألم والحسرة لما تعرضت لأسباب ذلك الاحتجاب.

يعني: لو أن الإنسان أعمل فكره وأخذ يتأمل كيف تكون حسرته إذا كان من المحجوبين عن الله تبارك وتعالى في ذلك اليوم، لاتقى أسباب هذا الاحتجاب؛ حتى لا يعذب هذا العذاب.

ثم يقول: وأنت ترى المحبين في الدنيا لصورة منتهى حسنها إلى ما يعلم -يعني إلى الموت-.

فالرجل العاشق مثلا لامرأة في غاية الجمال نهايتها الموت.

ناهيك عن الأمور الأخرى التي هي دون الموت.

يقول: وأنت ترى المحبين في الدنيا لصورة منتهى حسنها إلى ما يعلم، كيف يصيبهم من ألم احتجاب محبوبهم عنهم وإعراضه وهجره، ويرى أحدهم كالموت أو أشد منه من بين ساعة.

يعني: من فراق ساعة، فالبين هو الافتراق والابتعاد، أي: كل ما حصل هو فراق ساعة من الزمان، فهو يتألم ألما شديدا، كما يقول الشاعر يرثي أخاه لأمه: وكنت أرى كالموت من بين ليلة فكيف ببين كان ميعاده الحشر.

أقول لنفسي في الخلاء ألومها لك الويل ما هذا التذلل والصبر.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: وإنما يتبين الحال في هذا بمعرفة ما خلقت له الروح وما هيئت له، وما فطرت عليه، وما لا سعادة لها ولا نعيم ولا حياة إلا بإدراكه.

فاعلم أن الله سبحانه وتعالى خلق كل عضو من الأعضاء لغاية ومنفعة، فكماله ولذته في أن يحصل فيه ما خلق له، فخلق العين للإبصار، والأذن للسمع، والأنف للشم، واللسان للنطق والذوق، واليد للبطش، والرجل للمشي، والروح لمعرفته ومحبته وللابتهاج بقربه والتنعم بذكره، وجعل هذا كمالها وغايتها، فإذا تعطلت من ذلك كانت أسوأ حالا من العين والأذن واللسان واليد والرجل التي تعطلت عما خلقت له وحيل بينها وبينه، بل لا نسبه لألم هذه الروح إلى ألم تلك الأعضاء المعطلة ألبتة، بل ألمها أشد الألم، وهو من جنس ألمها إذا فقدت أحب الأشياء إليها وأعزه عليها، وحيل بينها وبينه، وشاهدت غيرها قد ظفر بوصله وفاز بقربه ورضاه.

والروح لا حياة لها ولا نعيم ولا سرور ولا لذة إلا بأن يكون الله وحده هو معبودها وإلهها ومرادها، الذي لا تقر عينها إلا بقربه والأنس به، والعكوف بكليتها على محبته والشوق إلى لقائه، فهذا غاية كمالها وأعظم نعيمها وجنتها العاجلة في الدنيا،

فإذا كان يوم لقائه كان أعظم نعيمها رفع الحجاب الذي كان يحجبها في الدنيا عن رؤية وجهه وسماع كلامه.

يعني: الإنسان إذا عمر قلبه بمحبة الله سبحانه والأنس به ومعرفته، والعكوف على الشوق إليه، يعيش في الدنيا كأن في صدره جنة، ويرى من النعيم ما لا يوصف، كما قال العلماء في قوله تعالى: ﴿إن الأبرار لفي نعيم * وإن الفجار لفي جحيم﴾ [الانفطار:١٣ - ١٤]: فهذه عامة لا ينبغي تخصيصها بالنعيم في البرزخ ولا بالنعيم في الجنة، بل هي في الدور الثلاثة: في الدنيا، وفي البرزخ، وفي الجنة.

ولذلك كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يقول: ما يصنع أعدائي بي، جنتي في صدري، فأينما رحت فهي معي. يقصد جنة العلم ومحبة الله عز وجل ومعرفته.

وقال بعض الصالحين: لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من لذة النعيم لجالدونا عليه بالسيوف.

أي: لو ذاق الملوك وأبناء الملوك النعيم الذي نتمتع به في قلوبنا من ذكر الله ومعرفته والأنس به ومحبته عز وجل لجالدونا عليه بالسيوف، لكنهم لا يعلمون؛ لأنهم يتلهون بنعيم الدنيا ويرغبون عن ذلك النعيم الحقيقي.

فطريق السعادة أن تستقيم على مراد الله، كما قال بعض العلماء: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، وهي جنة **الرضا عن الله** سبحانه وتعالى ومحبته.

والإنسان يشعر بهذا إذا ذاقه، أما إن كان مجرد خبر فإنه لا يوقن به كما لو ذاقه، كما يقول الصوفية: من ذاق عرف ومن حرم انحرف.

ثم يقول: والروح لا حياة لها ولا نعيم ولا سرور ولا لذة إلا بأن يكون الله وحده هو معبودها وإلهها ومرادها، الذي لا تقر عينها إلا بقربه والأنس به، والعكوف بكليتها على محبته والشوق إلى لقائه، فهذا غاية كمالها وأعظم نعيمها وجنتها العاجلة في الدنيا، فإذا كان يوم لقائه كان أعظم نعيمها رفع الحجاب.

يعني: أعظم نعيم في الدنيا هو أن يعمر القلب بمحبة الله، وأعظم نعيم في الآخرة إذا قوبل المحبوب أن يرفع الحجب التي كانت في الدنيا بينه وبينه، كما قال النبي عليه السلام: (حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) ففي الآخرة يخلق المؤمن ويخلق أهل الجنة خلقا بحيث يتحملون رؤية الله تبارك وتعالى، أما في الدنيا فلا يمكن لأحد أن يرى الله: ﴿قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا﴾ [الأعراف:١٤٣] هذا الجبل الضخم القوي لم يتحمل فما قوة موسى عليه السلام بالنسبة للجبل؟! لما تجلى الله سبحانه وتعالى للجبل اندك تماما، فأراد الله أن يبين لموسى أنه بخلقته هذه في الدنيا لا يستطيع رؤيته سبحانه وتعالى، وأما في الآخرة فيخلقون خلقا جديدا بحيث يطيقون رؤية الله عز وجل، فالله لا يرى بهذه العين الفانية، وإنما يرى بخلق آخر يخلقه الله في جنة الرضوان، وحينئذ يكون أعظم نعيم في حقهم، بحيث إذا نعموا به يتلهون وينسون سائر ما في الجنة من نعيم، فرؤية الله سبحانه وتعالى في اليوم المهيب ورؤية وجهه الكريم وسماع كلامه هو أعظم نعيم على الإطلاق.

وفي حديث الرؤية يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (فو الله ما أعطاهم شيئا أحب إليهم من النظر إلى وجهه) فبعدا وسحقا لأولئك الكفرة الذين يعيرون المسلمين بأن دينهم يدعوهم إلى الجنة لينالوا فيها المتاع الحسي من الحور العين والأكل والشراب

والفاكهة واللحم، وأن نبيهم يغريهم بالشهوات الجسدية، وهذا كله نابع عن جهلهم وحماقتهم وظلمة قلوبهم بالكفر، وهو ناتج عن غلوهم في تحريم الطيبات، فهم ينظرون إلى متع الحس على أنها نجس وخبث، حتى إن القذارة عندهم شيء طيب، والنظافة شيء خبيث ينفرون منه، فانعكس هذا على العقائد عندهم، فهم ليس عندهم شيء اسمه الجنة والنار بالتفاصيل التي نعرفها نحن، والتي امتن الله بها على هذه الأمة المحمدية المصطفاة، كما في كتابها القرآن الكريم وسنة نبيها عليه الصلاة والسلام، أما هؤلاء الضلال فأقصى شيء عندهم هو الدخول في الملكوت.

ما هو الملكوت؟ لا يعرفون عنه شيئا، ونحن امتن الله علينا بالقرآن وبالسنة فجاءت لنا بالتفاصيل لهذه الحياة الغيبية، حتى إننا لنعلم أكل أهل الجنة وملابس أهل الجنة وصفة الجنة وأشجارها وثمارها إلخ، كل هذا كي يكون محررا وقائدا للمؤمنين إلى السعي لنيل هذا النعيم.

ثم لماذا ينسى النعيم الحسي؟ أليس الإنسان مركبا من روح وجسد؟ والروح تتنعم والجسد أيضا يتنعم، فما الذي يستغربونه من هذا الفضل الرباني الإلهي؟ أيستبعدون أن ينعم الله الروح والجسد؟ ما الذي يستغربه هؤلاء الحمقى ويعيرون به المسلمين ويقولون: إن دينكم يغريكم بالشهوات؟ ثم ما جريمته إن كانت هذه خلقة الإنسان وهذه فطرة الإنسان؟ ومع ذلك فإن أعظم نعيم الجنة في الحقيقة هو النعيم الروحي، وليس الحسي، بدليل الأحاديث التي دلت على أن أهل الجنة إذا تجلى لهم الله سبحانه وتعالى ورأوه عز وجل فإنهم يتلهون عن كل ما في الجنة من ملذات، فينسون الحور العين وغيرها من الملذات، ويقول النبي عليه الصلاة والسلام: (فوالله ما أعطاهم الله شيئا أحب إليهم من النظر إليه).

والله سبحانه يقول: ﴿ورضوان من الله أكبر﴾ [التوبة:٧٢] فرضوان الله أكبر من نعيم الجنة الحسي وملذاتها، وقد عرفنا أن أهل الجنة يلهمون التسبيح كما نلهم النفس، والإنسان إذا نام يبقى يتنفس، فكذلك أهل الجنة يلهمون التسبيح؛ لأنهم في دار ليست بدار تكليف وإنما هي دار جزاء، فلذلك لا يتعبدون بالتسبيح، كما هو الحال في الدنيا وإنما التسبيح يأتي بصورة لا إرادية.

ثم يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: وكما جمع الله سبحانه وتعالى لأعدائه بين هذين العذابين، وهما ألم الحجاب وألم العذاب. وهما في قوله تعالى: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون * ثم إنهم لصالوا الجحيم﴾ [المطففين:١٥ - ١٦] فألم الحجاب أن يتحسر أهل النار حينما يكونون من المحجوبين عن الله، ولا أمل عندهم أن يروا الله سبحانه وتعالى، فاجتمع لهم ألم الحجاب وألم العذاب أي: عذاب النار.

يقول: فكما جمع الله سبحانه وتعالى لأعدائه بين هذين العذابين وهما: ألم الحجاب وألم العذاب، جمع لمحبيه بين نوعي النعيم: نعيم الخلد والنظر، ونعيم الأكل والشرب والتمتع بما في الجنة.

جمع الله لأهل الجنة." (١)

"أقوال السلف والعلماء في الصبر

- قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إن أفضل عيش أدركناه بالصبر، ولو أن الصبر كان من الرجال كان كريما) (١).

---

(١) تفسير القرآن الكريم - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٩/١٨٩

- وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس باد الجسد، ثم رفع صوته فقال: ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له) (٢).

وقال: (الصبر مطية لا تكبو، والقناعة سيف لا ينبو) (٣).

- وقال عمر بن عبد العزيز وهو على المنبر: (ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه، فعاضه مكان ما انتزع منه الصبر، إلا كان ما عوضه خيرا مما انتزع منه، ثم قرأ: إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب [الزمر:١٠].) (٤).

- (وجاء رجل إلى يونس بن عبيد فشكا إليه ضيقا من حاله ومعاشه واغتماما بذلك

فقال: (أيسرك ببصرك مئة ألف؟ قال: لا.

قال: فبسمعك؟ قال: لا.

قال: فبلسانك؟ قال: لا.

قال: فبعقلك؟

قال: لا ... في خلال. وذكره نعم الله عليه، ثم قال يونس: أرى لك مئين ألوفا وأنت تشكو الحاجة؟!). (٥).

- وعن إبراهيم التيمي، قال: (ما من عبد وهب الله له صبرا على الأذى، وصبرا على البلاء، وصبرا على المصائب، إلا وقد أوتي أفضل ما أوتيه أحد، بعد الإيمان بالله) (٦).

- وعن الشعبي، قال شريح: (إني لأصاب بالمصيبة، فأحمد الله عليها أربع مرات، أحمد إذ لم يكن أعظم منها، وأحمد إذ رزقني الصبر عليها، وأحمد إذ وفقني للاسترجاع لما أرجو من الثواب، وأحمد إذ لم يجعلها في ديني) (٧).

- وقال ميمون بن مهران: (الصبر صبران، الصبر على المصيبة حسن، وأفضل من ذلك الصبر عن المعاصي) (٨).

- وقال أبو حاتم: (الصبر على ضروب ثلاثة: فالصبر عن المعاصي، والصبر على الطاعات، والصبر عند الشدائدالمصيبات. فأفضلها الصبر عن المعاصي. فالعاقل يدبر أحواله بالتثبت عند الأحوال الثلاثة التي ذكرناها بلزوم الصبر على المراتب التي وصفناها قبل، حتى يرتقي بها إلى درجة **الرضا عن الله** جل وعلا في حال العسر واليسر معا) (٩).

- وقال زياد بن عمرو: (كلنا نكره الموت وألم الجراح، ولكنا نتفاضل بالصبر) (١٠).

- وقال زهير بن نعيم: (إن هذا الأمر لا يتم إلا بشيئين: الصبر واليقين، فإن كان يقين ولم يكن معه صبر لم يتم، وإن كان صبر ولم يكن معه يقين لم يتم، وقد ضرب لهما أبو الدرداء مثلا فقال: مثل اليقين والصبر مثل فدادين يحفران الأرض فإذا جلس واحد جلس الآخر) (١١).

وقال عبد الواحد بن زيد: (ما أحببت أن شيئا من الأعمال يتقدم الصبر إلا الرضا، ولا أعلم درجة أشرف ولا أرفع من الرضا، وهو رأس المحبة) (١٢).

---

(١) ((الصبر والثواب عليه)) لابن أبي الدنيا (ص٢٣).

(٢) ((الصبر والثواب عليه)) لابن أبي الدنيا (ص٢٤).

(٣) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص٢٩٤).

(٤) ((الصبر والثواب عليه)) لابن أبي الدنيا (ص٣٠).

(٥) ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي (٦/ ٢٩٢).

(٦) ((الصبر والثواب عليه)) لابن أبي الدنيا (ص٢٨).

(٧) ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي (٤/ ١٠٥).

(٨) ((الصبر والثواب عليه)) لابن أبي الدنيا (ص٢٩).

(٩) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص ١٦٢).

(١٠) ((الصبر والثواب عليه)) لابن أبي الدنيا (ص٤٤).

(١١) ((صفة الصفوة)) لابن الجوزي (٤/ ٨).

(١٢) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص ١٦١).." (١)

"- وقال أبو عبد الرحمن المغازلي: (دخلت على رجل مبتلى بالحجاز فقلت كيف تجدك قال أجد عافيته أكثر مما ابتلاني به وأجد نعمه علي أكثر من أن أحصيها قلت أتجد لما أنت فيه ألما شديدا فبكى ثم قال: سلي نفسي ألم ما بي: ما وعد عليه سيدي أهل الصبر من كمال الأجور في شدة يوم عسير قال: ثم غشي عليه فمكث مليا ثم أفاق فقال: إني لأحسب أن لأهل الصبر غدا في القيامة مقاما شريفا لا يتقدمه من ثواب الأعمال شيء إلا ما كان من **الرضا عن الله** تعالى) (١).

- وعن عمرو بن قيس الملائي: فصبر جميل قال: (الرضا بالمصيبة، والتسليم) (٢).

- وعن ميمون بن مهران قال (ما نال عبد شيئا من جسم الخير من نبي أو غيره إلا بالصبر) (٣).

- وعن الحسن قال: (سب رجل رجلا من الصدر الأول، فقام الرجل وهو يمسح العرق عن وجهه، وهو يتلو: ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور [الشورى:٤٣]. قال الحسن: عقلها والله وفهمها إذ ضيعها الجاهلون) (٤).

- وقال يحيى بن معاذ: (حفت الجنة بالمكاره وأنت تكرهها وحفت النار بالشهوات وأنت تطلبها فما أنت إلا كالمريض الشديد الداء إن صبر نفسه على مضض الدواء اكتسب بالصبر عافية وإن جزعت نفسه مما يلقي طالت به علة الضنا) (٥).

- وقال أبو حاتم: (الصبر جماع الأمر، ونظام الحزم ودعامة العقل، وبذر الخير، وحيلة من لا حيلة له. وأول درجته الاهتمام، ثم التيقظ، ثم التثبت، ثم التصبر، ثم الصبر، ثم الرضا، وهو النهاية في الحالات) (٦).

- وقال عمر بن ذر: (من أجمع على الصبر في الأمور فقد حوى الخير، والتمس معاقل البر وكمال الأجور) (٧).

---

(١) ((صفة الصفوة)) لابن الجوزي (٤/ ٣٨٤).

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣١١/١

(٢) ((الصبر والثواب عليه)) لابن أبي الدنيا (ص٨٦).

(٣) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص ١٦٢).

(٤) ((الصبر والثواب عليه)) لابن أبي الدنيا (ص٨٧).

(٥) ((صفة الصفوة)) لابن الجوزي (٤/ ٩٤).

(٦) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص ١٦١).

(٧) ((الصبر والثواب عليه)) لابن أبي الدنيا (ص١١٣).." (١)

"ثمرة الاتباع

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث: (إنما مثلي ومثلكم كمثل قوم خرجوا في مفازة، فلما أيقنوا الهلكة بعد أن فرغ منهم الطعام والشراب، خرج عليهم رجل، قالوا: إن هذا رجل قريب عهد بريف)، يعني: شكله يقول: إنه ليس من أهل السفر؛ لأن المسافر في الصحراء أو في السفر يظهر عليه الرمل والغبار والتراب، ولكن هذا شكله يظهر أنه قادم من ريف، (قال: يا قوم! أئن دللتكم على طعام وشراب ومسكن أتعطوني مواثيقكم على الطاعة؟ فأعطوه مواثيقهم، فلما ذهبوا واستقر بهم المقام)، أي: قعدوا وأكلوا وشربوا وارتاحوا.

(قال لهم: يا قوم عند الصباح سوف يغير علينا جيش، فما علينا إلا أن نرحل الساعة، فمنهم من أطاع، ومنهم من قال: أنا لا أرحل عن هذا النعيم، فلما أصبح الصباح - أخذ الذي معه وأطاعوه- غار عليهم الجيش فما بين قتيل وأسير).

ومن الذي أتى لهم من الريف؟ سيدنا الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، فالرسول صلى الله عليه وسلم يمثل نفسه بهذا الرجل الذي جاء من الريف؛ ليريحك من الدنيا ويجعلك راضيا قانعا، ذكر الله طعامك، والتوكل على الله سقاؤك، **والرضا عن الله** مسكنك، ثم قال لك: أطعني، فإن أطعتني دخلت الجنة، وإن عصيتني دخلت النار، والذين سلكوا خلف الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم نجوا، والذين انحرفوا عنه هجمت عليهم شياطين الدنيا فما بين قتيل وأسير.

وانظر ما أحلى كلام الحبيب صلى الله عليه وسلم، وما أجمل تشبيهاته، اللهم اجعلنا من أتباع رسولك يا رب العالمين!." (٢)

"الإيمان.

والرضا بالقدر يفرغ القلب لله، والسخط يفرغ القلب من الله، ومن ملأ قلبه من الرضا بالقدر ملأ صدره غنى وأمنا وقناعة، وفرغ قلبه لمحبته.

والرضا يثمر الشكر الذي هو أعلى مقامات الإيمان، وينفي عنه آفات الحرص على الدنيا.

والرضا يخرج الهوى من قلب المؤمن، فالراضي هواه تبع لمراد ربه منه مما يحبه الله ويرضاه.

والرضا عن الله يثمر للعبد رضا الله عنه، والراضي متلق أوامر ربه الدينية والقدرية بالانشراح والتسليم.

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣١٢/١

(٢) الدار الآخرة - عمر عبد الكافي، عمر عبد الكافي ٢٣/٣٠

والطاعات كلها أصلها من الرضا، والمعاصي كلها أصلها من عدم الرضا، وعدم الرضا يفتح باب البدعة، والرضا يغلق ذلك الباب عنه.

ولو تأمل العبد جميع البدع لرآها ناشئة من عدم الرضا بالحكم الكوني، أو الديني، أو كليهما.

وما يقضيه الله ويقدره نوعان:

قضاء ديني .. وقضاء كوني.

فالديني: مأمورات، ومنهيات، ومباحات.

والكوني: إما نعما ملذة، أو بلايا مؤلمة.

والرضا يخلص العبد من مخاصمة الرب تعالى في أحكامه وأقضيته، وأصل مخاصمة إبليس لربه من عدم رضاه بأقضيته وأحكامه الدينية والكونية، فلو رضي لم يطرد ويلعن ويبعد.

وجميع ما في الكون أوجبته مشيئة الله، فهو موجب أسماء الله وصفاته، فمن لم يرضى بما رضي به ربه لم يرض بأسمائه وصفاته.

وكل قدر يكرهه العبد ولا يلائمه فلا يخلو من أمرين:

إما أن يكون عقوبة على الذنب، فهو دواء لمرض لولا تدارك الحكيم إياه." (١)

"ولما كان هذا الجزاء أفضل الجزاء كان سببه أفضل الأعمال كما قال سبحانه: ﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم (٧٢)﴾ [التوبة: ٧٢].

والمحبة لله، والإخلاص له، والإنابة إليه، لا تقوم إلا على ساق الرضا، فالمحب راضي عن حبيبه في كل حالة.

والرب عز وجل شكور، إذا وصل إليه عمل عبده جمل به ظاهره وباطنه، وأثابه عليه من حقائق المعرفة والإيمان بحسب عمله.

وأعمال الجوارح تضاعف إلى حد معلوم محسوب، وأما أعمال القلوب فلا ينتهي تضعيفها، فهي دائمة متصلة، وإن توارى شهود العبد لها.

فالمحبة والرضا حال المحب الراضي لا تفارقه أصلا، وصاحبها في مزيد متصل ولو فترت جوارحه.

والله عز وجل ينظر إلى القلوب والهمم والعزائم لا إلى صور الأعمال.

والرضا ثلاث درجات:

الأولى: الرضا بالله ربا.

الثانية: **الرضا عن الله**، وهو الرضا عنه في كل ما قضى وقدر.

فالرضا به متعلق بأسمائه وصفاته، والرضا عنه متعلق بثوابه وجزائه.

الثالثة: الرضا برضا الله، فيغيب برضى ربه عن رضاه هو.

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢/٢٠٦٠

﴿يأيتها النفس المطمئنة (٢٧) ارجعي إلى ربك راضية مرضية (٢٨) فادخلي في عبادي (٢٩) وادخلي جنتي (٣٠)﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠].

والمؤمن الموفق من با ع نفسه وأرخصها وبذلها طلبا لمرضاة الله، ورجاء لثوابه، فمن بذلها للعلي والوفي الرؤوف بالعباد، استحق رضاه، وفاز بجنته: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد (٢٠٧)﴾ [البقرة: ٢٠٧].." (١)

"عند الغضب" متفق عليه.

وعن سليمان بن صرد قال: كنت جالسا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - ورجلان يستبان، وأحدهما قد احمر وجهه، وانتفخت أوداجه، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد" فقالوا له إن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "تعوذ بالله من الشيطان الرجيم" متفق عليه.

وعن معاذ بن أنس أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه، دعاه الله سبحانه وتعالى على رؤس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره من الحور العين ما شاء" [رواه الترمذي].

رد الأمانة

إذا فقد الأب ولده فإن الملك استرد عبده، وإذا قال الوالد: ولدي، قال الله: عبدي، أنا قبل غيري أولى به وأحق.

روي مالك عن القاسم بن محمد: هلكت امرأة لي فأتاني محمد بن كعب القرظي يعزيني بها فقال: إنه كان في بني إسرائيل رجل فقيه، عالم عابد مجتهد، وكانت له امرأة كان بها معجبا، فماتت فوجد عليها وجدا -أي حزنا شديدا- حتى دخل في بيت وأغلق على نفسه واحتجب، فلم يكن يدخل عليه أحد، فسمعت به امرأة من بني إسرائيل فجاءته فقالت: إن لي حاجة أستفتيه فيها، ليس يجزيني إلا أن أشافهه بها، ولزمت بابه، فأخبر بها، فأذن لها فقالت: أستفتيك في أمر، قال: وما هو؟ قالت: إني استعرت من جارية لي حليا، فكنت ألبسه زمانا، ثم إنها أرسلت تطلبه، أفأرده إليها؟ قال: نعم والله!! قالت: إنه قد مكث عندي زمانا!! فقال: ذاك أحق لردك إياه! فقالت له: يرحمك الله، أفتأسف على ما أعارك الله ثم أخذه منك، وهو أحق به منك؟! فأبصر ما كان فيه، ونفعه الله بقولها.

كمال الرضا عن الله

كان للتابعي الجليل عمر بن ذر الهمداني ولد فمات، وجاء أهل بيته يبكونه أشد البكاء وينتحبون عليه أشد النحيب، ورآهم عمر فقال لهم: ما لكم. إنا والله ما ظلمنا ولا قهرنا ولا ذهب لنا بحق ولا أخطئ بنا ولا أريد غيرنا وما لنا على الله معتب.." (٢)

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٠٦٢/٢

(٢) موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق، ياسر عبد الرحمن ٣٥/١

"فقد تصرف أرحم الراحمين بمماليكه وأموالهم، فلا اعتراض عليه، بل من كمال عبودية العبد: علمه بأن وقوع البلية من المالك الحكيم الذي هو أرحم بعبده من نفسه ووالدته، فيوجب له ذلك **الرضا عن الله**، والشكر له على تدبيره؛ لما هو خير لعبده وإن لم يشعر بذلك، ومع أننا مملوكون لله فإنا إليه راجعون يوم المعاد، فمجاز كل عامل بعمله، فإن صبرنا واحتسبنا وجدنا أجرنا موفرا عنده، وإن جزعنا وسخطنا لم يكن حظنا إلا السخط وفوات الأجر، فكون العبد لله وراجع إليه من أقوى أسباب الصبر ﴿أولئك﴾ الموصوفون بالصبر المذكور ﴿عليهم صلوات من ربهم﴾ أي ثناء من الله عليهم ﴿ورحمة﴾ عظيمة، ومن رحمته إياهم أن وفقهم للصبر الذي ينالون به كمال الأجر ﴿وأولئك هم المهتدون﴾ الذين عرفوا الحق، وهو في هذا الموضع علمهم بأنهم لله، وأنهم إليه راجعون، وعملوا به، وهو هنا: صبرهم لله (١).

قال أمير المؤمنين عمر – رضي الله عنه –: ((نعم العدلان ونعمة العلاوة ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة﴾، فهذان العدلان، ﴿وأولئك هم المهتدون﴾، فهذه العلاوة، وهي ما توضع بين العدلين، وهي زيادة في الحمل، فكذلك هؤلاء أعطوا ثوابهم وزيدوا أيضا)) (٢).

٢ – الاستعانة بالصبر من أسباب السعادة، قال الله تعالى: ﴿واستعينوا

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للعلامة السعدي، ص٧٦، وتفسير ابن كثير، ص١٣٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ص١٣٥، وهو في صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الصبر عند الصدمة الأولى، الباب رقم ٤٢، قبل الحديث رقم ١٣٠٢.." (١)

"وقوله: (فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله عز وجل ولرسوله – صلى الله عليه وسلم – ورد عِلم ما اشتبه عليه إلى عالمه).

هذا فيه تقرير وجوب التسليم لله، والانقياد لحكمه، وحكم الله نوعان:

حكم كوني.

وحكم شرعي.

ويجب على العبد **الرضا عن الله** في تدبيره وحكمه الكوني وحكمه الشرعي، فلا يعارض حكم الله برأي ولا ذوق ولا استحسان، هذا بالنسبة للحكم والقضاء الكوني.

وأما الأمور المكونة والمقضية فهذه يجب أن يعمل فيها من حيث الاستسلام والدفع والطلب بموجب الشرع، فيحكم شرع الله، فما أمره الله بفعله فعله، وما أمره بتركه تركه، فيحب ما أحبه الله، ويبغض ما أبغضه الله، ويأتي ما أمره الله به، ويذر ما نهاه الله تعالى عنه، ويصبر على ما أوجب الله عليه فيه الصبر، ويدفع ما أوجب الله عليه دفعه من المكروهات.

وهذه الأعمال من طلب أو دفع للمقدرات تجري فيها الأحكام التكليفية: الواجب والمحرم والمكروه والمستحب والمباح.

---

(١) عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ٢/٨٩٧

فلا بد من التسليم لحكم الله؛ بالرضا بحكمه وتدبيره، وأنه حكيم عليم، وذلك بعدم الاعتراض عليه في قضائه الكوني وقضائه الشرعي.." (١)

"كما أفادت هذه الآيات: أن الرحمة المضافة إليه سبحانه تنقسم إلى قسمين:

قسم يضاف إليه سبحانه من إضافة الصفة إلى الموصوف كقوله سبحانه: «ورحمتي». أضافها إلى نفسه، «ورحمتي وسعت كل شيء»، وكما في الحديث «برحمتك أستغيث». هذا مضاف إلى الباري جل وعلا، فهي صفة له، وحينئذ لا نقول: هذه مخلوقة.

الثاني: يضاف إليه سبحانه وتعالى من باب إضافة المخلوق إلى خالقه، وهي الرحمة المخلوقة كما في الحديث «إن الله خلق مائة رحمة» هذه نقول: هذه مخلوقة، والجنة رحمة، والحديث الآخر أنه قال سبحانه للجنة: «أنت رحمتي أرحم بك من أشاء». إذا هذه الرحمة مخلوقة، وليست صفة للباري جل وعلا، وإضافتها للباري جل وعلا من إضافة المخلوق إلى خالقه كقوله: ﴿ناقة الله وسقياها﴾ [الشمس: ١٣].

قال المصنف رحمه الله تعالى: (وقوله: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾).

شرع المصنف في ذكر الآيات المثبتة للصفات الاختيارية، أفعال الله الاختيارية، وهي المتعلقة بمشيئته وقدرته مع قيامها بذاته، فهي قائمة بذاته ومتعلقة بالمشيئة، قوله: (﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾). لما ذكر أعمالهم الصالحة ذكر أنه أثابهم عليها رضاه الذي هو أعظم وأجل من كل نعيم، قال تعالى: ﴿ورضوان من الله أكبر﴾ [التوبة: ٧٢]. يعني أكبر من الجنة، وأكبر من كل نعيم، أفادت هذه الآية إثبات صفة الرضا لله سبحانه، فالله تعالى يرضى ويغضب كما يليق بجلاله.

وفي هذه الآية دليل على إثبات أفعال الله الاختيارية، وأدلة ذلك من الكتاب والسنة لا تحصر.

وفيها دليل على إثبات فعل العبد وأن له فعلا اختياريا (﴿رضي الله عنهم﴾)، يعني لما عملوا صالحا رضي، حينئذ فعل العبد وهذا الفعل اختياري حينئذ ينسب للعبد ولا ينسب إلى الباري جل وعلا، وإنما الذي ينسب إلى الباري الصفة القائمة به وهو الفعل الاختياري منه، وهو رضاه جل وعلا.

وفيها دليل على أن الجزاء من جنس العمل.

وفيها فضل **الرضا عن الله**، والرضا لغة ضد السخط والكراهة، يعني من حيث المعنى اللغوي هذه الألفاظ لا تفسر، يعني ليس لها حد اصطلاحي لا بد من ذكره، وإنما نقول: الرضا هو الرضا، كل واحد إذا قيل: رضيت عن زيد. علم أن المراد بالرضا ما يقوم بالقلب، وهو مقابل للسخط والكراهية والمقت والبغض، قال بعضهم: سكون القلب حتى مجاري الأحكام.." (٢)

"قال في ((فتح المجيد)): هو أن يسلم العبد أمره إلى الله ويحسن الظن به ويرضى عنه في ثوابه، ورضا الله تعالى متعلق بالعمل وبالعامل. يعني يرضى عن العمل ويرضى عن العامل، ثم آيات ونصوص تدل على أن متعلق الرضا هو العمل، وثم

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية للبراك، عبد الرحمن بن ناصر البراك ص/١٢٤

(٢) شرح العقيدة الواسطية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٨/٢٢

آيات ونصوص تدل على أن متعلق الرضا هو العامل الشخص نفسه، حينئذ نقول: رضا الله تعالى متعلق بالعمل وبالعامل، أما بالعمل فكقوله تعالى: ﴿وإن تشكروا يرضه لكم﴾ [الزمر: ٧]. يرضى ماذا؟ الشكر وهو فعل، وليس بفاعل فيرضى الشكر لكم، والشكر فعل، وقوله تعالى: ﴿ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ [المائدة: ٣]. فالإسلام رضي الله تعالى عنه، حينئذ قال: العمل وليس بشخص، وفي الحديث الصحيح: «إن الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا». هذا الرضا متعلق بالعمل، ويتعلق الرضا أيضا بالعامل مثل هذه الآية التي ساقها المؤلف (﴿رضي الله عنهم﴾) عن الذوات عن الأشخاص (﴿ورضوا عنه﴾) والرضا صفة لله عز وجل حقيقية متعلقة بمشيئته جل وعلا فهي من الصفات الفعلية، وكل صفة تعلقت بالمشيئة فهي صفة فعلية، يعني لم يكن ثم كان، يرضى عن المؤمنين لإيمانهم، إذا الإيمان وجد بعد أن لم يكن فتعلق به الرضا، إذا لم يكن الرضا ثم كان، كما أن الإيمان لم يكن ثم كان، فيرضى عن المؤمنين، ويرضى عن المتقين، وعن المقسطين، وعن الشاكرين، ولا يرضى عن القوم الكافرين، يرضى ولا يرضى، إذا وجد الرضا وانتفى الرضا، ولا يرضى عن القوم الكافرين، ولا يرضى عن القوم الفاسقين، ولا يرضى عن المنافقين، فهو سبحانه وتعالى يرضى عن أناس ولا يرضى عن أناس، ويرضى أعمالا ويكره أعمالا أخرى.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: الرضا ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

- الرضا بالله. لكونه معبودا إلها.
- **والرضا عن الله** عن صفاته وأفعاله وما يقوم به جل وعلا.
- والرضا بقضاء الله. بما يقضي به الباري جل وعلا.

فالرضا بالله فرض لازم، والرضا عنه وإن كان من أجل الأمور وأشرفها فلم يطالب به العموم - يعني عموم الناس - لعجزهم عنه ومشقته عليهم وأوجبه بعضهم، وأما الرضا بكل مقضي فلا يجب، بل المقضي ينقسم إلى ما يجب الرضا به، مقضي يعني أفعال الله تعالى في الكون، ما أوجده الله تعالى في الكون منه ما يجب الرضا به، ومنه ما يجب عدم الرضا به، فيحرم الرضا به، بل المقضي ينقسم إلى ما يجب الرضا به وهو المقضي الديني، ما قضاه الله تعالى دينا وشرعا وإسلاما هذا يجب الرضا به. قال تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾ [النساء: ٦٥] الآية.." (١)

"من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله.

وقول الله تعالى: ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾ [التغابن:١١] قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت).

ولهما عن ابن مسعود مرفوعا: (ليس منا من ضرب الخدود، أوشق الجيوب، أو دعا بدعوى الجاهلية).

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٢٣/١٨

وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط).

حسنه الترمذي.

] هذا الباب يتعلق بموضوع الصبر على أقدار الله سبحانه وتعالى، والصبر ينقسم إلى ثلاثة أقسام: الصبر على طاعة الله، والصبر عن معصية الله، والصبر على أقدار الله المؤلمة.

وعكس الصبر على أقدار الله: السخط من أقدار الله، فالصبر على أقدار الله من الإيمان، والسخط يدخل في الكفر، وسيأتي الحديث عن أنواع السخط، وما يترتب عليها من الأحكام.

فأما الصبر على أقدار الله عز وجل فلا شك في أنه من الإيمان، والصبر عموما كما قال النبي صلى الله عليه وسلم نصف الإيمان يقول الله عز وجل: ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾ [التغابن: ١١]، والمقصود بالإيمان هنا: الإيمان بالقدر، ولهذا فسرها علقمة بذلك كما سيأتي، فقوله تعالى: ((يهد قلبه)) يعني: يجعل قلبه مهتديا مطمئنا؛ لأن الإنسان إذا صبر على قدر الله عز وجل المؤلم فإنه يطمئن قلبه بذلك.

وعلقمة هو ابن وقاص، وهو من علماء الكوفة، ومن أصحاب ابن مسعود رضي الله عنه، قيل: إنه صحابي، وقيل: إنه تابعي، والصحيح أنه تابعي.

يقول رحمه الله تعالى: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم.

فالإنسان إذا أصابته المصيبة فإنه يجب عليه الصبر، ويستحب له الرضا، والفرق بين الرضا والصبر.

أن الصبر يكون مع وجود الألم والتعب والمشقة النفسية.

وأما الرضا فإنه درجة عالية في الإيمان تجعل الإنسان راضيا بما قدره الله عز وجل وقضاه من هذه المصيبة التي جاءته، ويمكن أن يسمى **الرضا عن الله** سبحانه وتعالى في أقداره.

وأما الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اثنتان في الناس هما بهم كفر) فإن كلمة (كفر) هنا جاءت نكرة، وقد سبق أن بينا أنه إذا وصف العمل أو القول بأنه كفر وكان اللفظ معرفا بـ (أل) فإنما يقصد به الكفر والشرك الأكبر، وأما إذا كان نكرة فإنه يقصد به الكفر الأصغر والشرك الأصغر.

فالأولى: (الطعن في النسب)، والمقصود بالطعن في النسب عيب الأنساب، كأن يعير قبيلة كذا بكذا، أو يعير هذا الشخص بوالده أو بوالدته أو بجد له، فهذا كله طعن في نسبه.

الثانية: (والنياحة على الميت) والنياحة على الميت نوع من أنواع السخط، والنياحة على الميت تكون بالقول، وسميت نياحة

أخذا من نوح القمري، وهو صوت للحمامة عندما تغرد، وذلك أن الشخص إذا مات له ميت فبدأ بالبكاء والصياح واستمر فإنه يخرج صوتا كهذا.." (١)

"أثر الإيمان بصفة الرضا لله تعالى

وإذا علم المرء أن ربه يرضى فإنه سيسارع في مرضاة الله، كما قال تعالى: ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ [المطففين:٢٦]

وإذا علم أن ربه يرضى ويسخط فإنه سيتجنب السخط، ويتلمس طريق الرضا، فيأخذ بكل أسباب الرضا.

والأخت المسلمة سترضي زوجها لترضي ربها، وتطيع بعلها لترضي ربها، وتؤدي فرضها لترضي ربها، وتتصدق لترضي ربها، وتصوم لترضي ربها، وتقوم الليل لترضي ربها، وتحسن إلى الأخريات لترضي ربها، ولا تغتاب أحدا، ولا تدخل في النميمة، ولا تعصي ربها؛ لأنها تخشى من سخط الله.

والله إذا رضي كافأ وأثاب، فإذا رضي الله عن عبد أحبه، وينادي في السماء: أن يا جبريل! إني قد رضيت عن فلان وأحببت فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، وينادي في أهل السماء فيحبوه، ويكتب له القبول في الأرض.

أما أهل البدعة والضلالة من الجهمية والمعتزلة الذين قالوا: لا رضا، وإن الله لا يرضى، وإن هذه الصفة منفية عن الله فتجدهم لا تشتاق قلوبهم إلى رضا الله جل في علاه، فهم يعيشون حيارى؛ لأنهم نفوا صفة **الرضا عن الله**.

ثم جاء المتحذلقون الذين قالوا: إنهم هم أهل السنة والجماعة، فقالوا: نثبت الصفة، لكن الرضا معناه: الثواب.

كما حرفوا مجيء الله إلى مجيء أمر الله، فقالوا: لا يجيء الله، وإنما يجيء أمره، وقالوا في قول الله تعالى: ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ [الفجر:٢٢].

أي: وجاء أمر ربك والملك صفا صفا كما قالوا.." (٢)

"الرد على من نفى صفة **الرضا عن الله**

ونرد على هؤلاء بأن نقول لهم: لقد خالفتم ظاهر القرآن، فقد كلمنا الله بما نعلم باللغة العربية، وأنتم خالفتم ظاهر القرآن، وخالفتم ظاهر السنة، وهذا أولا: قدح في حكمة الله كأنه يكلمنا بما لا نعلم، وثانيا: قدح في رسالة النبي، وقدح في تبيين النبي، وقدح في التبليغ؛ لأن الله قال: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك﴾ [المائدة:٦٧].

وقولهم: أن الرضا ليس بالرضا الحقيقي بل هو الثواب، نرد عليهم بأن نقول لهم: لقد خالفتم ظاهر القرآن، وخالفتم ظاهر السنة، وخالفتم إجماع الأمة.

ونقول: هل أنتم أعلم بالله من الله؟ إذ لو كان هذا هو الثواب لقاله الله تعالى.

ونقول لهم أيضا: أنتم أثبتم لازم الصفة، فإن الله جل وعلا إذا رضي عن عبد فإنه سيثيبه، فلازم الرضا الثواب، فهذا لازم

---

(١) شرح كتاب التوحيد - عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ٤/٦

(٢) شرح لمعة الاعتقاد - محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٦/٥

الصفة، ونحن نوافقكم على إثبات اللازم، نثبت لازم الصفة، ونثبت الصفة أيضا، وقد أعملنا الأدلة كلها فأثبتنا الصفة أولا لأن الله أثبتها لنفسه، وأثبتها له رسوله، ثم أثبتنا لازم الصفة وهو الثواب، هذا هو الرد على الأشاعرة.." (١)

"فالصابرون هم الذين فازوا بالبشارة العظيمة، والمنحة الجسيمة، ثم وصفهم بقوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾، وهي كلّ ما يُؤلم القلب أو البدن، أو كليهما، كما تقدم في الآيات، ومن ذلك موت الأحباب، والأولاد، والأقارب، والأصحاب، ومن أنواع الأمراض في بدن العبد، أو بدن من يحبه، ﴿قَالُواْ إِنَّا للهِ﴾ أي مملوكون لله، مُدَبَّرون تحت أمره، وتصريفه، فليس لنا من أنفسنا وأولادنا، وأموالنا شيء، فإذا ابتلانا بشيء فقد تصرَّف أرحم الراحمين بمماليكه وأموالهم، فلا اعتراض عليه، بل من كمال عبودية العبد: علمه بأن وقوع البليَّة من المالك الحكيم الذي هو أرحم بعبده من نفسه ووالدته، فيوجب له ذلك **الرضا عن الله**، والشكر له على تدبيره؛ لِمَا هو خير لعبده وإن لم يشعر بذلك، ومع أننا مملوكون لله فإنا إليه راجعون يوم المعاد، فمجاز كل عامل بعمله، فإن صبرنا واحتسبنا وجدنا أجرنا موفرًا عنده، وإن جزعنا وسخطنا لم يكن حظنا إلا السخط وفوات الأجر، فكون العبد لله وراجع إليه من أقوى أسباب الصبر ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بالصبر المذكور ﴿عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أي ثناء من الله عليهم ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ عظيمة، ومن رحمته إياهم أن وفقهم للصبر الذي ينالون به كمال الأجر ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ الذين عرفوا الحق، وهو في هذا الموضع علمهم بأنهم لله، وأنهم إليه راجعون، وعملوا به، وهو هنا: صبرهم لله (١).

قال أمير المؤمنين عمر – رضي الله عنه –: ((نعم العدلان ونعمة العلاوة ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾، فهذان العدلان، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للعلامة السعدي، ص٧٦، وتفسير ابن كثير، ص١٣٥.." (٢)

"واتباع سنن نبيه صلى الله عليه وسلم وان يحب ان يطاع فلا يعصى وان يذكر فلا ينسى

وعلامة النصح للناس ان تحب لهم ما تحب لنفسك من طاعة الله تعالى وان تكره لهم ما تكره لنفسك من معصية الله تعالى

وعلامة الصبر الا تشكو من جميع المصائب الى احد من المخلوقين شيئا

والصبر هو الصبر على الطاعة والصبر عن المعصية والصبر على كتمان المصيبة وهو من كنوز البر والصبر على كتمان الطاعة والصبر حبس النفس عن ذلك كله

ومن علامة **الرضا عن الله** الرضا بقضاء الله وهو سكون القلب الى احكام الله والتفويض الى الله قبل الرضا والرضا بعد التفويض

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد – محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٧/٥

(٢) تبريد حرارة المصيبة عند موت الأحباب وفقد ثمرات الأفئدة وفلذات الأكباد في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/٧

ومن علامة صدق الرجاء شدة الطلب والجد والاجتهاد ليدرك ما رجا

ومن علامة معرفة النفس سوء الظن بها." (١)

"المحب مسارع الى القربات

وقال المحب ينازع الى القربة ابدا ما عاش والخائف يتعرض للنجاة فلما استيقن بالرحيل صار مخادعا لنفسه ومؤثرا لما قدم على ما خلف

ولا اعلم في الناس شيئا اقل من الغضب لله والرضا لله والحب لله والبغض لله واقل من ذلك **الرضا عن الله** تعالى والتسليم لأمره وتفويض الامور الى الله

واكثر سلامة الناس من الشر بالصبر واكثر طلبهم للخير بما وافق الهوى والانسان في اكثر النعم مخالف الشكر واقرب خصال الخير من الله اثقلها على العبد ولو قبلها بشكر كان اقربها الى الله احبها اليه

فهذا العبد يرجو رحمة الله باليسير من البر كما يرجوه بالكثير من البر سواء ويخاف سخط الله باليسير من الذنوب كما يخاف سخطه بالكثير من الذنوب سواء ولا يكون حسن الرغبة في كثير من الحسنات الا كان في القليل كذلك

وقال اذا اردت ان تصلح من امرك شيئا فاشتد عليك فخل عن جميع اعمال البر من التطوع كلها واجعل شغلك كله فيه فإنك تعان عليه ان شاء الله." (٢)

"٢٣ – حدثنا أحمد بن محمد، قال: محمد بن حميد ثنا زافر بن سليمان، ثنا عبد الله بن رجاء بن واقد، عن عباد بن منصور، قال: ﷺسئل الحسن عن التوكل، فقال: «**الرضا عن الله**، عز وجل»." (٣)

"فاستقبله ملاح آخر من البصرة فسأله ما الخبر قال مات أمير المؤمنين قلت يا ملاح قرب فقرب وأنشدني منصور بن محمد الكريزي ... تجري المقادير إن عسرا وإن يسرا ... وللمقادير أسباب وأبواب

ما اشتد عسر ولا انسدت مذاهبه ... إلا تفتح من مسروره باب ...

وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي ... ألا رب عسر قد أتى اليسر بعده ... وغمرة كرب فرجت لكظيم

هو الدهر يوم يوم بؤس وشدة ... ويوم سرور للفتى ونعيم ...

أنبأنا أبو عوانة يعقوب بن إبراهيم حدثنا محمد بن عبد الوهاب النيسابوري حدثنا بشر بن عبد الحكم عن علي بن عثام قال رئي إبراهيم بن أدهم متنفط الرجلين رافعهما على ميل وهو يقول ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين

---

(١) آداب النفوس للمحاسبي الحارث المحاسبي ص/١٥١

(٢) آداب النفوس للمحاسبي الحارث المحاسبي ص/١٥٨

(٣) الفوائد والزهد والرقائق والمراثي جعفر الخلدي ص/٣٢

ونبلو أخباركم﴾

أنبأنا القطان بالرقة حدثنا أحمد بن أبي الحواري حدثنا عبد العزيز بن عمير عن عطاء الأزرق عن عبد الواحد بن زيد قال قلت للحسن يا أبا سعيد من أين أتي هذا الخلق قال من قلة **الرضا عن الله** قلت ومن أين أوتى قلة **الرضا عن الله** قال من قلة المعرفة بالله." (١)

"ثم الرضا وهو النهاية في الحالات

ولقد أنبأنا محمد بن عثمان العقبي حدثنا شعيب بن عبد الله البزار حدثنا غيلان عن معبد عن أبي المليح عن ميمون بن مهران قال ما نال عبد شيئا من جسم الخير من نبي أو غيره إلا بالصبر

وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري ... فما شدة يوما وإن جل خطبها ... بنازلة إلا سيتبعها يسر

وإن عسرت يوما على المرء حاجة ... وضاقت عليه كان مفتاحها الصبر ...

وأنشدني علي بن محمد البسامي ... تعز فإن الصبر بالحر أجمل ... وليس على ريب الزمان معول

فإن تكن الأيام فينا تبدلت ... بنعمى وبؤسى والحوادث تفعل

فما لينت منا قناة صليبة ... ولا ذللتنا للذي ليس يجمل

ولكن رحلناها نفوسا كريمة ... تحمل مالا تستطيع فتحمل ...

وأنشدنا عمرو بن محمد الأنصاري أنشدنا الغلابي ... إني رأيت الخير في الصبر مسرعا ... وحسبك من صبر تحوز به أجرا

عليك بتقوى الله في كل حالة ... فإنك إن تفعل تصيب به ذخرا ...

قال أبو حاتم رضي الله عنه الصبر على ضروب ثلاثة فالصبر عن المعاصي والصبر على الطاعات والصبر عند الشدائد المصيبات فأفضلها الصبر عن المعاصي

فالعاقل يدبر أحواله بالتثبت عند الأحوال الثلاثة التي ذكرناها بلزوم الصبر على المراتب التي وصفناها قبل حتى يرتقي بها إلى درجة **الرضا عن الله** جل وعلا في حال العسر واليسر معا أسأل الله الوصول إلى تلك الدرجة بمنه." (٢)

"له أو تسليما أو تفويضا إليه وهو السكون تحت جريان الأقدار وشهودها من الأنعام، ومن حسن تدبير الأقسام في شهود المسألة والحكمة فيها والقصد بالابتلاء بها وهو داخل في قوله تعالى: (ولربك فاصبر) المدثر: ٧، وفي قوله تعالى: (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا) الطور: ٤٨ وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وغيره من الأئمة: أصبحت وما لي سرور إلا في مواضع القدر، وروي أيضا إلا انتظار القضاء، ويقال: من علامة اليقين تسليم القضاء بحسن الصبر والرضا،

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ابن حبان ص/١٦٠

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ابن حبان ص/١٦٢

وهو مقام العارفين، وقال سهل في تأويل قول علي رضي الله عنه: إن الله تعالى يحب كل عبد نومة قال: هو الساكن تحت جريان الأحكام يعني من غير كراهة، ولا اعتراض، فأما اشتراط الصبر في المصيبة عند الصدمة الأولى في قول النبي صلى الله عليه وسلم: إنما الصبر عند الصدمة الأولى فلأنه يقال: إن كل شيء يبدو صغيرا ثم يكبر إلا المصيبة، فإنها تبدو كبيرة ثم تصغر، فاشترط لعظم الثواب لها عند أول كبرها قبل صغرها وهي في صدمة القلب أول ما يبغته الشيء، فينظر إلى نظر الله تعالى فيستحي فيحسن الصبر كما قال: فإنك بأعيننا وهذا مقام المتوكلين على الله تعالى، والصبر أيضا عن إظهار الكرامات وعن الإخبار بكشف القدرة والآيات داخل في حسن الأدب من المعاملات، وهو من معنى الحياء من الله تعالى، وهذا طريق المحبين لله تعالى وهو حقيقة الزهد، ومن فضائل الصبر حبس النفس عن حب المدح والحمد والرياسة.

وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا مقطوعا: الصبر في ثلاث، الصبر في تزكية النفس، والصبر عن شكوى المصيبة، والصبر على الرضا بقضاء الله تعالى على خيره وشره، ومن الصبر حبس النفس عن الخمول والتواضع والذلة إيثارا للآخرة على الدنيا وهربا إلى الله تعالى وتحققا بوصف العبودية وترك المنازعة والتشبه بمعاني أوصاف الربوبية تسليما للإلهية واستسلاما للأحدية فلا يخرجك قلة الصبرعن ذلك إلى الطلب بشيء منه فتزل قدم بعد ثبوتها نعوذ بالله من ذلك، ومن الصبر صبر على العيال في الكسب لهم والإنفاق عليهم والاحتمال للأذى منهم، فإن في العيال طرقات إلى الله تعالى أدناها الإهتمام بهم، وأعلاها **الرضا عن الله** تعالى والتوكل عليه فيهم، وأوسطها الإنفاق وحبس النفس عليهم، واعلم أن أكثر معاصي العباد في شيئين: قلة الصبر عما يحبون، أو قلة الصبر على ما يكرهون، وقد قرن الله تعالى الكراهة بالخير والمحبة بالشر في قوله تعالى: (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم) البقرة: ٢١٦ وحد الصبر وهو أوله فريضة بمثل أول الإخلاص، والصبر أيضا حيلة من لا حيلة له لأن الأمر إذا كان بيد غيرك لم يكن إلا الصبر عليه ولأن الشيء إذا كان لا يأتيك إلا قليلا قليلا وأنت محتاج إليه لم يكن إلا الصبر عليه وإلا انقطع ذلك القليل،." (١)

"ذكر أحكام مقام الرضا

الرضا عن الله سبحانه وتعالى من أعلى مقامات اليقين بالله، وقد قال تعالى: (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) الرحمن: ٦٠، فمن أحسن **الرضا عن الله** جازاه الله بالرضا عنه، فقابل الرضا بالرضا، وهذا غاية الجزاء ونهاية العطاء، وهو قوله عز وجل: (رضي الله عنهم ورضوا عنه) التوبة١٠٠ وقد رفع الله الرضا على جنات عدن، وهي من أعلى الجنات، كما فضل الذكر على الصلاة فقال تعالى: (ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر) التوبة: ٢٧ كما قال تعالى: (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر) العنكبوت: ٤٥ والذكر عند الذاكرين المشاهدة، فمشاهدة المذكور في الصلاة أكبر من الصلاة وهو أحد الوجهين من الآية، والوجه الثاني ذكر الله للعبد أكبر من ذكر العبد لله، وقال أبو عبد الله الساجي: من خلق الله عباد يستحيون من الصبي يتلقفون مواقع أقداره بالرضا تلقفا، وقد كان عمر بن عبد العزيز يقول: أصبحت وما لي سرور إلا في مواقع القضاء، فالراضون عن الله عز وجل هم الذاكرون لله بما يحب ويرضى، فالراضون

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٣٣٣/١

الأكبر جزاء أهل الذكر الأكبر، وهذا أحد المعاني في قوله: من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين؛ أي الرضا عنه، لأن السائلين يسألونه لهم فأعطاهم العفو، والذاكرون ذكروه فأعطاهم الرضا عنه عز وجل، ويكون أيضا معناه: أعطيته النظر إلي لأن الذكر يدخل في المشاهدة، فقابل النظر إليه اليوم بالنظر إليه غدا كما قابل الوصف بالوصف في قوله عز وجل: (وجوه يومئذ مسفرة) (ضاحكة مستبشرة) عبس: ٣٨ - ٣٩ وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: يتجلى لنا ربنا ضاحكا، والذكر قرب السمع.

والسمع يخرج إلى النظر، والرضا هو حال الموفق، واليقين هو حقيقة الإيمان، وإلى هذا ندب النبي صلى الله عليه وسلم ابن عباس في وصيته له فقال: إعمل لله باليقين في الرضا، فإن لم يكن فإن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا، فرفعه إلى أعلى المقامات ثم رده إلى أوسطها، كذلك قال لابن عمرو: اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، فند المشاهدة وهو الإحسان لأنه سأل: ما الإحسان؟ قال: تعبد الله كأنك تراه، ثم رده إلى الصبر والمجاهدة وهو الإيمان، وهذا مكان العلم بأن الله يراه، وليس بعد هذا مكان يوصف، وقد رفع الله تعالى الرضا منه فوق ما أعطي من النظر، ففي الخبر أن الله تعالى يتجلى للمؤمنين فيقول: سلوني، فيقولون: رضاك، فسؤالهم الرضا بعد النظر تفضيل." (١)

"الله له، وفي الخبر المشهور: طوبى لمن هدي إلى الإسلام وكان رزقه كفافا ورضي به، وفي مثله أيضا من رضي من الله عز وجل بالقليل من الرزق رضي الله منه بالقليل من العمل، وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا: من طرق أهل البيت إذا أحب الله عبدا ابتلاه، فإن صبر اجتباه وإن رضي اصطفاه، **فالرضا عن الله** عز وجل والرحمة للخلق وسلامة القلب والنصيحة للمسلمين وسخاوة النفس مقام الأبدال من الصديقين، وقد روينا في أخبار موسى عليه السلام أن بني إسرائيل قالوا: سل ربك أمرا إذا فعلناه يرضى به عنا، قال موسى: إلهي قد سمعت ما يقولون، فقال: يا موسى قل لهم يرضون عني حتى أرضى عنهم، ويشهد لهذا الخبر المروي عن نبينا صلى الله عليه وسلم: من أحب أن يعلم ما له عند الله فلينظر ما لله عنده، فإن الله ينزل العبد منه بحيث أنزله من نفسه، وقد روينا حديثا حسنا كالمسند عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك: إذا كان يوم القيامة أنبت الله لطائفة من أمتي أجنحة فيطيرون من قبورهم إلى الجنان، يسرحون فيها ويتنعمون كيف شاؤوا قال: فتقول لهم الملائكة: هل رأيتم الحساب؟ فيقولون: ما رأينا حسابا فيقولون: هل جزتم الصراط فيقولون: ما رأينا الصراط فيقال لهم: رأيتم جهنم؟ فيقولون: ما رأينا شيئا فتقول الملائكة: من أمة من أنتم؟ فيقولون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيقولون: نشدناكم الله، حدثونا ما كانت أعمالكم في الدنيا فيقولون: خصلتان كانتا فينا فبلغنا الله هذه المنزلة بفضل رحمته فيقولون: وما هما؟ فيقولون كنا إذا خلونا نستحي أن نعصيه ونرضى باليسير مما قسم الله لنا، فتقول الملائكة: يحق لكم هذا، هكذا كان في كتاب شيخنا عن أنس، وقال فيه لطائفة من أمتي ففيه دليل على المسند، وقد جاء الأثر: من رضي من الله بالقليل من الرزق رضي الله عنه بالقليل من العمل، وقال بعض علمائنا: أعرف في الموتى عالما ينظرون إلى منازلهم من الجنان، في قبورهم بغدى عليهم ويراح من الجنة بكرة وعشيا، وهم في غموم وكروب في البرزخ، لو قسمت على أهل البصرة لماتوا أجمعين، قيل: وما كانت أعمالهم؟ قال: كانوا مسلمين، إلا أنهم لم يكن

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٦٣/٢

لهم التوكل ولا من الرضا نصيب، وقد جاء في فرض الرضا قول النبي صلى الله عليه وسلم: أعطوا الله الرضا من قلوبكم تطفروا بثواب فقركم، وإلا فلا، وقرن لقمان الرضا بالتوحيد فقال في وصيته لابنه: أوصيك بخصال تقربك إلى الله وتباعدك من سخطه: الأولى تعبد الله لا تشرك به شيئا، والثانية الرضا بقدر الله فيما أحببت وكرهت، وقال في وصيته: ومن يتوكل على الله ويرضى بقدر الله فقد أقام الإيمان وفرغ يده ورجليه لكسب الخير، وأقام الأخلاق الصالحة التي تصلح للعبد أمره." (١)

"بعض إخوان بشر الحافي: دخلت عليه وهو يأكل فقال لي: كل، فقلت: إني صائم، فناولني كسرة وقال لي: كل، فأكلتها، فقال: سلمت من آفة الصوم وأدخلت علي السرور، وكان بشر رحمه الله قد أصبح ذات يوم صائما فزاره فتح الموصلي، قال حسين المغازلي: فدفع إلي كفا من دراهم فقال: اشتر لنا أطيب ما تجد من الطعام وأطيب ما تجد من الحلاوة وأطيب ما تجد من الطيب، قال: وما قال لي مثل ذلك قط، ففعلت فوضعت الطعام بين أيديهم فجعل يأكل معه وما رأيته أكل مع غيره، وكان بعض هذه الطائفة يقول: إذ أعطاك مولاك بقطعة فقد شهاك أن تشتري ما تشاء وتشتهي، وإن أعطاك مأكولا بعينه فكل ذاك ولا تتخير سواه، ودفع إبراهيم بن أدهم إلى بعض أخوانه دراهم فقال: خذ لنا بهذه زبدا وعسلا وخبزا حورانيا، فقلت: يا أبا إسحاق بهذا كله؟ فقال: ويحك إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال، وإذا عدمنا صبرنا صبر الرجال، وأصلح ذات يوم طعاما فأكثر ودعا نفرا يسيرا منهم الثوري والأوزاعي فقال له: أما تخاف أن يكون هذا إسرافا؟ فقال: ليس في الطعام إسراف، إنما الإسراف في الأثاث واللباس، وهكذا حكي عن سيرة السلف، قال: كانوا في الرجال مخاصيب وكان في الزي والثياب تقصير، وفي الخبر أن رجلا صنع طعاما فدعا إليه بعض أخوانه فقال: إني صائم، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: صنع لك أخوك طعاما فلم تأكل ألا أفطرت يوما مكانه.

وحدثونا عن بعض العلماء أنه كان قاضيا بصنعاء فدخل على أمير صنعاء فحضر وقت غدائه فعرض عليه الأكل فقال: إني صائم، فلما أخذ الأمير في الأكل وهو يحدثه إذ نظر القاضي فإذا قد جاؤوا بجمل مشوي، فجعل القاضي يزحف ويتقدم إلى المائدة، ثم مد يده يأكل، فقال له الأمير: ألم تقل إني صائم، فقال: أيها الأمير أنا على قضاء يوم أصومه أقدر مني على قضاء مثل هذا الجمل، وكان أبو سليمان الداراني يقول: لا تضر الشهوات من لم يتكلفها إنما تضر من حرص عليها، وكان يدعو أصحابه فيقدم إليه م الطيبات فيقولون له تنهانا عنها وتقدمها إلننا؟ فال: لأني أعلم أنكم تشتهونها فتأكلونها عندي خيرا، ولو جاءني من يزهد ما زدته على الملح شيئا، وكان يقول: أكل الطيبات يورث **الرضا عن الله** تعالى، وقال بعض الخلفاء: شرب الماء بثلج يخلص الشكر لله تعالى وأوحى الله سبحانه إلى بعض أوليائه: أدرك لي لطف الفطنة وخفي اللطف فإني أحب ذلك، قال: يارب وما ألطف الفطنة؟ قال: إذا وقعت عليك ذبابة فاعلم أني أوقعتها فسلني حتى أدفعها، قال: وما خفي اللطف؟ قال: إذا أتاك فولة مسوسة فأعلم إني ذكرتك بها فاشكرني عليها وأوحي إلى بعض الأنبياء:

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٦٥/٢

لا تنظر إلى قلة الهدية، وانظر إلى عظمة مهديها، ولا تنظر إلى صغر الخطيئة وانظر إلى كبرياء من واجهته بها؛ فإذا أصابك فقر وضر فلا تشكني إلى خلقي كما إذا صعدت مساوئك لم أشكك إلى ملائكتي.." (١)

"بعض الرؤساء إخوانه فأنفق مائتي درهم، فقال له بعض الحكماء: لم تكن تحتاج إلى هذا كله إذا كان خبزك جيدا وخلك حامضا وماؤك باردا فهو كفاية، وقال بعضهم: الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الألوان، والتمكن على المائدة خير من زيادة لونين، وقال آخر: شرب الماء البارد على الطعام خيرمن زيادة الألوان، وقال أبو سليمان الداراني: أكل الطيبات يورث **الرضا عن الله** عز وجل، وقال المأمون رحمه الله: شرب الماء بثلج يخلص الشكر لله عزو جل.

وقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن إكرام الضيف تعجيل الطعام لهم، وأفضل ما قدم إليهم اللحم، وخير اللحم السمين النضيج؛ فإن كان بعد اللحم حلاوة فقد جمع لهم الطيبات، ينتظم هذه المعاني قوله عز وجل: (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين) الذاريات: ٢٤، قيل في المكرمين قولان؛ أحدهما: خدمته إياهم بنفسه، والثاني أكرمهم بتعجيل الطعام إليه م، قوله تعالى: (فما لبث أن جاء بعجل حنيذ) هود: ٦٩ أي فما احتبس ولا أقام والحنيذ النضيج، وقال تعالى: (فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين) الذاريات: ٢٦، الروغان: الذهاب بسرعة، وقيل: الذهاب بخفية، وقيل: إنه جاء بفخذ من لحم فسمى عجلا لأنه عجله ولم يلبث به، ثم وصف بأنه سمين نضيج، يقال: حنيذ ومحنوذ أيضا، قال: كان نضيجا، وقال في وصف الطيبات: (وأنزلنا عليكم المن والسلوى) البقرة: ٥٧ المن: العسل، والسلوى: اللحم، سمي سلوى لأنه يسلى به عن جميع الأدام، إن فيه غنية عن جميعها، وليس في كلها مقامه، ثم قال تعالى: (كلوا من طيبات ما رزقناكم) البقرة: ٥٧، فاللحم والحلاوة من طيبات الرزق، وليأكل الرجل في منزل أخيه سجية أكله في منزله بغير تكلف ولاتزين، لأنه قد يدخل من الرياء والتزين في الطعام مثل ما يدخل في سائر الأعمال من الصلاة والصيام؛ والأكل عمل وكل عمل يحتاج إلى نية وإخلاص، فلتكن نيته في أكله الاستعانة على الطاعة، ولتكن نيته مع إخوانه إكرامهم بذلك وإدخال السرور عليهم والتبرك بالجماعة، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: الجماعة بركة، وينوي إقامة السنة في إجابة الدعوة ليكون مأجورا في أكله، عاملا في جميع ذلك بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وهذا كله داخل في حسن الخلق، وهو في معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم: إن العبد ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم، وقد قال بعضهم: هو الرجل يسأل إخوانه أن يفطر معهم نهارا، أو يسهر معهم ليلا، ويكون من عادته الصيام والقيام، فيساعدهم تخلقا معهم فيدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم.

وقال بعض العلماء من أهل الأدب: ليس من السنة والمروءة أن يزور الرجل إخوانه فيتشاغل عنهم بالصلاة النافلة، أو يستزيره إخوانه فيقدمون إليه الطعام فلا يساعدهم عليه لأجل الصيام ولايقصر عن بغيته من الأكول فيترك الأكل مع حاجته إليه، فإنه غير محمود." (٢)

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٢٩٨/٢

(٢) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٣٠٢/٢

"أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الرازي قال سمعت محمدا بن نصر بن منصور الصائغ قال سمعت مردويه الصائغ قال سمعت الفضيل بن عياض يقول من يجلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة
قال وسمعت الفضيل يقول في آخر الزمان أقوام يكونون إخوان العلانية أعداء السريرة
وبه قال سمعت الفضيل يقول أحق الناس **بالرضا عن الله** أهل المعرفة بالله عز وجل
قال وسمعت الفضيل يقول لا ينبغي لحامل القرآن أن يكون له إلى خلق حاجة لا إلى الخلفاء فمن دونهم ينبغي أن تكون حوائج الخلق كلهم إليه
قال وسمعت الفضيل يقول لم يدرك عندنا من أدرك بكثرة صيام ولا صلاة وإنما أدرك بسخاء الأنفس وسلامة الصدر والنصح للأمة
قال وسمعت الفضيل يقول لم يتزين الناس بشيء أفضل من الصدق وطلب الحلال
قال وسمعت الفضيل يقول أصل الزهد **الرضا عن الله** تعالى." (١)

"قال قلت علمني اسم الله الأعظم فسأل الشيخ ما هو فقلت إنه يتعاظم علي أن أنطق به فإني سألت به مرة فإذا برجل آخذ بحجزتي وقال سل تعطه فراعني فقال لا روع عليك أنا أخوك الخضر إن أخي داود علمك إياه فإياك أن تدعو به إلا في بر ثم قال يا غلام إن الزاهدين في الدنيا قد اتخذوا **الرضا عن الله** لباسا وحبه دثارا والأثرة له شعارا فتفضل الله تعالى عليهم ليس كتفضله على غيرهم ثم ذهب عني فتعجب الشيخ من قولي
ثم قال إن الله سيبلغ بمن كان في مثالك ومن تبعك من المهتدين ثم قال يا غلام إنا قد أفدناك ومهدناك وعلمناك علما ثم قال بعضهم لا تطمع في السهر مع الشبع ولا تطمع في الحزن مع كثرة النوم ولا تطمع في الخوف لله مع الرغبة في الدنيا ولا تطمع في الأنس بالله مع الأنس بالمخلوقين ولا تطمع في إلهام الحكمة مع ترك التقوى ولا تطمع في الصحة في أمورك مع موافقة الظلمة ولا تطمع في حب الله مع محبة المال والشرف ولا تطمع في لين القلب مع الجفاء لليتيم والأرملة والمسكين ولا تطمع في الرقة مع فضول الكلام ولا تطمع في رحمة الله مع ترك الرحمة للمخلوقين ولا تطمع في الرشد مع ترك مجالسة العلماء ولا تطمع في الحب لله مع حب المدحة ولا تطمع في الورع مع الحرص في الدنيا ولا تطمع في الرضا والقناعة مع قلة الورع ثم قال بعضهم يا إلهنا احجبه عنا واحجبنا عنه قال إبراهيم فما أدري أين ذهبوا
سمعت أحمد بن علي بن الحسن المقرئ يقول سمعت محمد بن غالب التمتام يقول كتب إبراهيم بن أدهم إلى سفيان الثوري من عرف ما." (٢)

"الله فى فعله، استكمل جزيل الأجر، وقد جاء أنه ليس شىء من الأعمال يبلغ مبلغ **الرضا عن الله** فى جميع النوازل، وهذا معنى قوله: (رضى الله عنهم ورضوا عنه) [المائدة: ١١٩] يريد رضى أعمالهم، ورضوا عنه بما أجرى عليهم من قضائه، وما أجزل لهم من عطائه. وقوله: (لم يبلغوا الحنث) يريد لم يبلغوا أن تجرى عليهم الأقلام بالأعمال، والحنث: الذنب العظيم.

---

(١) طبقات الصوفية للسلمي ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات أبو عبد الرحمن السلمي ص/٢٤

(٢) طبقات الصوفية للسلمي ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات أبو عبد الرحمن السلمي ص/٤٠

وقوله (صلى الله عليه وسلم) فى حديث أنس: (أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم) ، هو دليل قاطع أن أولاد المسلمين فى الجنة، لأنه لا يجوز أن يرحم الله الآباء من أجل من ليس بمرحوم، ويشهد لصحة هذا قوله (صلى الله عليه وسلم) فى ابنه إبراهيم: (إن له مرضعا فى الجنة) ، وعلى هذا القول جمهور علماء المسلمين أن أطفال المسلمين فى الجنة إلا المجبرة، فإنهم عندهم فى المشيئة، وهو قول مجهول مردود بإجماع الحجة الذين لا يجوز عليهم الغلط، ولا يسوغ مخالفتهم.

٧٣ - باب أولاد المشركين

/ ١٠٦ - فيه: ابن عباس، وأبو هريرة، أن النبى، (صلى الله عليه وسلم) ، سئل عن أولاد المشركين، فقال: (الله إذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين) . / ١٠٧ - وفيه: أبو هريرة، قال: قال النبى، (صلى الله عليه وسلم) : (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترى فيها جدعاء) .." (١)

"- باب الدعاء بالموت والحياة

/ ٤٣ - فيه: خباب، أنه اكتوى سبعا، قال: لولا أن النبى (صلى الله عليه وسلم) نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به. / ٤٤ - وفيه: أنس، قال النبى (صلى الله عليه وسلم) : (لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان لا بد متمنيا للموت، فليقل، اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرا لى، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيرا لى) . معنى هذين الحديثين على الخصوص، وقد بين (صلى الله عليه وسلم) ذلك فى الحديث فقال: (لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به) . فقد يكون له فى ذلك الضر خير لدينه ودنياه، إما تمحيص لذنوب سلفت له وطهور من سيئات، كما قال (صلى الله عليه وسلم) للشيخ الذى زاره فى مرضه وقد أصابته الحمى فقال (صلى الله عليه وسلم) : (لا بأس طهور إن شاء الله) . وقد يكون له فى المرض منافع، منها: أن يكون المرض سببا إلى امتناعه من سيئات كان يعملها لو كان صحيحا، أو بلاء يندفع عنه فى نفسه وماله، فالله أنظر لعبده المؤمن فينبغى له **الرضا عن الله** تعالى فى مرضه وصحته ولا يتهم قدره، ويعلم أنه أنظر له من نفسه، ولا يسأله الوفاة عند ضيق نفسه بمرضه أو تعذر أمور دنياه عليه. وقد جاء وجه سؤال الموت فيه مباح، وهو خوف فتنة تكون سببا لإتلاف الدين، فقد قال (صلى الله عليه وسلم) : (وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون) . وجه آخر وهو عند خوف المؤمن أن يضعف عن القيام بما قلده." (٢)

"الحائط ليس منسوبا إلى الذكور ولو حرم هذا لحرم تزيين الكعبة بل الأولى إباحته لموجب قوله ﴿قل من حرم زينة الله﴾ لا سيما في وقت الزينة إذا لم يتخذ عادة للتفاخر

وإن تخيل أن الرجال ينتفعون بالنظر إليه ولا يحرم على الرجال الانتفاع بالنظر إلى الديباج مهما لبسه الجواري والنساء والحيطان في معنى النساء إذ لسن موصوفات بالذكورة

وأما إحضار الطعام فله آداب خمسة

الأول تعجيل الطعام فذلك من إكرام الضيف وقد قال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه

---

(١) شرح صحيح البخارى لابن بطال ابن بطال ٣/٣٦٨

(٢) شرح صحيح البخارى لابن بطال ابن بطال ١٠/١١١

(١)
ومهما حضر الأكثرون وغاب واحد أو اثنان وتأخروا عن الوقت الموعود فحق الحاضر في التعجيل أولى من حق أولئك في التأخير إلا أن يكون المتأخر فقيرا أو ينكسر قلبه بذلك فلا بأس في التأخير وأحد المعنيين في قوله تعالى ﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين﴾ أنهم أكرموا بتعجيل الطعام إليهم دل عليه قوله تعالى ﴿فما لبث أن جاء بعجل حنيذ﴾ وقوله ﴿فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين﴾ والروغان الذهاب بسرعة وقيل في خفية وقيل جاء بفخذ من لحم وإنما سمي عجلا لأنه عجله ولم يلبث

قال حاتم الأصم العجلة من الشيطان إلا في خمسة فإنها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إطعام الضيف وتجهيز الميت وتزويج البكر وقضاء الدين والتوبة من الذنب (٢)

ويستحب التعجيل في الوليمة قيل الوليمة في أول يوم سنة وفي الثاني معروف وفي الثالث رياء

الثاني ترتيب الأطعمة بتقديم الفاكهة أولا إن كانت فذلك أوفق في الطب فإنها أسرع استحالة فينبغي أن تقع في أسفل المعدة

وفي القرآن تنبيه على تقديم الفاكهة في قوله تعالى وفاكهة مما يتخيرون ﴿ثم قال﴾ ولحم طير مما يشتهون ثم أفضل ما يقدم بعد الفاكهة اللحم والثريد فقد قال صلى الله عليه وسلم فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام فإن جمع إليه حلاوة بعده فقد جمع الطيبات

ودل على حصول الإكرام باللحم قوله تعالى في ضيف إبراهيم إذ أحضر العجل الحنيذ أي المحنوذ وهو الذي أجيد نضجه وهو أحد معنى الإكرام أعني تقديم اللحم

وقال تعالى في وصف الطيبات وأنزلنا عليكم المن والسلوى المن العسل والسلوى اللحم سمي سلوى لأنه يتسلى به عن جميع الإدام ولا يقوم غيره مقامه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم سيد الإدام اللحم ثم قال بعد ذكر المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم فاللحم والحلاوة من الطيبات

قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه أكل الطيبات يورث **الرضا عن الله**

وتتم هذه الطيبات بشرب الماء البارد وصب الماء الفاتر على اليد عند الغسل

قال المأمون شرب الماء بثلج يخلص الشكر

وقال بعض الأدباء إذا دعوت إخوانك فأطعمتهم حصرمية وبورانية وسقيتهم ماء باردا فقد أكملت الضيافة

وأنفق بعضهم دراهم في ضيافة فقال بعض الحكماء لم نكن نحتاج إلى هذا إذا كان خبزك جيدا وماؤك باردا وخلك حامضا فهو كفاية

وقال بعضهم الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الألوان والتمكن على المائدة خير من زيادة لونين

---

(١) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه متفق عليه من حديث أبي سريج

(٢) حديث حاتم الأصم العجلة من الشيطان إلا في خمسة فإنها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إطعام الطعام وتجهيز الميت وتزويج البكر وقضاء الدين والتوبة من الذنب أخرجه الترمذي من حديث سهل بن سعد الأناة من الله والعجلة من الشيطان وسنده ضعيف وأما الاستثناء فروى أبو داود من حديث سعد بن أبي وقاص التؤدة في كل شيء إلا في عمل الآخرة قال الأعمش لا أعلم إلا أنه رفعه وروى المزي في التهذيب في ترجمة محمد بن موسى بن نفيع عن مشيخة من قومه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الأناة في كل شيء إلا في ثلاث إذا صيح في خيل الله وإذا نودي بالصلاة وإذا كانت الجنازة الحديث مرس والترمذي من حديث علي ثلاثة لا تؤخرها الصلاة إذا أتت والجنازة إذا حضرت والأيم إذا وجدت كفؤا وسنده حسن." (١)

"وبذل الندى وكف الأذى وقال الواسطي هو أن لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله تعالى وقال شاه الكرماني هو كف الأذى واحتمال المؤن وقال بعضهم هو أن يكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا وقال الواسطي مرة هو إرضاء الخلق في السراء والضراء وقال أبو عثمان هو **الرضا عن الله** تعالى وسئل سهل التستري عن حسن الخلق فقال أدناه الاحتمال وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه وقال مرة أن لا يتهم الحق في الرزق ويثق به ويسكن إلى الوفاء بما ضمن فيطيعه ولا يعصيه في جميع الأمور فيما بينه وبينه وفيما بينه وبين الناس وقال علي رضي الله عنه حسن الخلق في ثلاث خصال اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسعة على العيال وقال الحسين بن منصور هو أن لا يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق وقال أبو سعيد الخراز هو أن لا يكون لك هم غير الله تعالى فهذا وأمثاله كثير وهو تعرض لثمرات حسن الخلق لا لنفسه ثم ليس هو محيطا بجميع الثمرات أيضاوكشف الغطاء عن الحقيقة أولى من نقل الأقاويل المختلفة فنقول الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معا يقال فلان حسن الخلق والخلق أي حسن الباطن والظاهر فيراد بالخلق الصورة الظاهرة ويراد بالخلق الصورة الباطنة وذلك لأن الإنسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة ولكل واحد منهما هيئة وصورة إما قبيحة وإما جميلة فالنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر ولذلك عظم الله أمره بإضافته إليه إذ قال تعالى إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فنبه على أن الجسد منسوب إلى الطين والروح إلى رب العالمين والمراد بالروح والنفس في هذا المقام واحد فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا وإنما قلنا إنها هيئة راسخة لأن من يصدر منه بذل المال على الندور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ وإنما اشترطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية لأن من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم

فههنا أربعة أمور

أحدها فعل الجميل والقبيح

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ١٦/٢

والثاني القدرة عليهما

والثالث المعرفة بهما

والرابع هيئة للنفس بها تميل إلى أحد الجانبين ويتيسر عليها أحد الأمرين إما الحسن وإما القبيح

وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل إما لفقد المال أو لمانع وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل إما لباعث أو لرياء وليس هو عبارة عن القوة لأن نسبة القوة إلى الإمساك والإعطاء بل إلى الضدين واحد وكل إنسان خلق بالفطرة قادر على الإعطاء والإمساك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء وليس هو عبارة عن المعرفة فإن المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعا على وجه واحد بل هو عبارة عن المعنى الرابع وهو الهيئة التي بها تستعد النفس لأن يصدر منها الإمساك أو البذل فالخلق إذا عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة وكما أن حسن الصورة الظاهرة مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الأنف والفم والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر فكذلك في الباطن أربعة أركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق فإذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهو قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث." (١)

"لا رؤية النعمة وقال الخواص رحمه الله شكر العامة على المطعم والملبس والمشرب وشكر الخاصة على واردات القلوب وهذه رتبة لا يدركها كل من انحصرت عنده اللذات في البطن والفرج ومدركات الحواس من الألوان والأصوات وخلا عن لذة القلب فإن القلب لا يلتذ في حال الصحة إلا بذكر الله تعالى ومعرفته ولقائه وإنما يلتذ بغيره إذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس بأكل الطين وكما يستبشع بعض المرضى الأشياء الحلوة ويستحلي الأشياء المرة كما قيل

ومن يك ذا فم مر مريض ... جد مرا به الماء الزلالا

فإذن هذا شرط الفرح بنعمة الله تعالى فإن لم تكن إبل فمعزى فإن لم يكن هذا فالدرجة الثانية أما الأولى فخارجة عن كل حساب فكم من فرق بين من يريد الملك للفرس ومن يريد الفرس للملك وكم من فرق بين من يريد الله لينعم عليه وبين من يريد نعم الله ليصل بها إليه

الأصل الثالث العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم وهذا العمل يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح أما بالقلب فقصد الخير وإضماره لكافة الخلق وأما باللسان فإظهار الشكر لله تعالى بالتحميدات الدالة عليه وأما بالجوارح فاستعمال نعم الله تعالى في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته حتى إن شكر العينين أن تستر كل عيب تراه لمسلم وشكر الأذنين أن تستر كل عيب تسمعه فيه فيدخل هذا في جملة شكر نعم الله تعالى بهذه الأعضاء والشكر باللسان لإظهار **الرضا عن الله** تعالى وهو مأمور به فقد قال صلى الله عليه وسلم لرجل كيف أصبحت قال بخير فأعاد صلى الله عليه وسلم وسلم السؤال حتى قال في الثالثة بخير أحمد الله وأشكره فقال صلى الله عليه وسلم وسلم هذا الذي أردت منك // حديث قال صلى الله عليه وسلم لرجل كيف أصبحت فقال بخير فأعاد السؤال حتى قال في الثالثة بخير أحمد الله واشكره فقال هذا الذي اردت منك اخرجه الطبراني في الدعاء من رواية الفضيل بن عمرو مرفوعا نحوه قال في الثالثة احمد الله وهذا معضل

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٥٣/٣

ورواه في المعجم الكبير من حديث عبد الله بن عمرو ليس فيه تكرار السؤال وقال احمد الله اليك وفيه راشد بن سعد ضعفه الجمهور لسوء حفظه ورواه مالك في الموطأ موقوفا على عمر بإسناد صحيح وكان السلف يتساءلون ونيتهم استخراج الشكر لله تعالى ليكون الشاكر مطيعا والمستنطق له به مطيعا وما كان قصدهم الرياء بإظهار الشوق وكل عبد سئل عن حال فهو بين أن يشكر أو يشكو يسكت فالشكر طاعة والشكوى معصية قبيحة من أهل الدين وكيف لا تقبح الشكوى من ملك الملوك وبيده كل شيء إلى عبد مملوك لا يقدر على شيء فالأحرى بالعبد إن لم يحسن الصبر على البلاء والقضاء وأفضى به الضعف إلى الشكوى أن تكون شكواه إلى الله تعالى فهو المبلي والقادر على إزالة البلاء وذل العبد لمولاه عز والشكوى إلى غيره ذل وإظهار الذل للعبد مع كونه عبدا مثله ذل قبيح قال الله تعالى ﴿إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له﴾ وقال تعالى ﴿إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم﴾ فالشكر باللسان من جملة الشكر وقد روي أن وفدا قدموا على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقام شاب ليتكلم فقال عمر الكبر الكبر فقال يا أمير المؤمنين لو كان الأمر بالسن لكان في المسلمين من هو أسكن منك فقال تكلم فقال لسنا وفد الرغبة ولا وفد الرهبة أما الرغبة فقد أوصلها إلينا فضلك وأما الرهبة فقد آمننا منها عدلك وإنما نحن وقد الشكر جئناك نشكرك باللسان وننصرف فهذه هي أصول معاني الشكر المحيطة بمجموع حقيقته

فأما قول من قال إن الشكر هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع فهو نظر إلى فعل اللسان مع بعض أحوال القلب وقول من قال إن الشكر هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه نظر إلى مجرد عمل اللسان وقول القائل." (١)

"والأرض وهكذا سبق لك مني وهكذا قضيت عليك قبل أن أخلق الدنيا أفتريد أن أعيد خلق الدنيا من أجلك أم تريد أن أبدل ما قدرته عليك فيكون ما تحب فوق ما أحب ويكون ما تريد فوق ما أريد وعزتي وجلالي لئن تلجلج هذا في صدرك مرة أخرى لأمحونك من ديوان النبوة

وروي أن آدم عليه السلام كان بعض أولاده الصغار يصعدون على بدنه وينزلون يجعل أحدهم رجله على أضلاعه كهيئة الدرج فيصعد إلى رأسه من ينزل على أضلاعه كذلك وهو مطرق إلى الأرض لا ينطق ولا يرفع رأسه فقال له بعض ولده يا أبت أما ترى ما يصنع هذا بك لو نهيته عن هذا فقال يا بني إني رأيت ما لم تروا وعلمت ما لم تعلموا إني تحركت حركة واحدة فأهبطت من دار الكرامة إلى دار الهوان ومن دار النعيم إلى دار الشقاء

فأخاف أن أتحرك أخرى فيصيبنى مالا أعلم

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء لم أفعله لم لا فعلته ولا قال في شيء كان ليته لم يكن ولا في شيء لم يكن ليته كان وكان إذا خاصمني مخاصم من أهله يقول دعوه لو قضي شيء لكان (١)

ويروى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام يا داود إنك تريد وأريد وإنما يكون ما أريد فإن سلمت لما أريد كفيتك ما تريد وإن لم تسلم لما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٨٤/٤

وأما الآثار فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما

أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله تعالى على كل حال

وقال عمر بن عبد العزيز ما بقي لي سرور إلا في مواقع القدر وقيل له ما تشتهي فقال ما يقضي الله

وقال ميمون بن مهران من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء

وقال الفضيل إن لم تصبر على تقدير الله لم تصبر على تقدير نفسك وقال عبد العزيز بن أبي رواد ليس الشأن في أكل خبز الشعير والخل ولا في لبس الصوف والشعر ولكن الشأن في **الرضا عن الله** عز وجل وقال عبد الله بن مسعود لأن الحس جمرة أحرقت ما أحرقت وأبقت ما أبقت أحب إلي من أن أقول لشئ كان ليته لم يكن أو لشيء لم يكن ليته كان

ونظر رجل إلى قرحة في رجل محمد بن واسع فقال إني لأرحمك من هذه القرحة فقال إني لأشكرها منذ خرجت إذ لم تخرج في عيني

وروي في الإسرائيليات أن عابدا عبد الله دهرا طويلا فأري في المنام فلانة الراعية رفيقتك في الجنة فسأل عنها إلى أن وجدها فاستضافها ثلاثا لينظر إلى عملها فكان يبيت قائما وتبيت نائمة ويظل صائما وتظل مفطرة

فقال أما لك عمل غير ما رأيت فقالت ماهو والله إلا ما رأيت لا أعرف غيره فلم يزل يقول تذكري حتى قالت خصيلة واحدة هي في إن كنت في شدة لم أتمن أن أكون في رخاء وإن كنت في مرض لم أتمن أن أكون في صحة وإن كنت في الشمس لم أتمن أن أكون في الظل فوضع العابد يده على رأسه وقال أهذه خصيلة هذه والله خصلة عظيمة يعجز عنها العباد

وعن بعض السلف أن الله تعالى إذا قضى في السماء قضاء أحب من أهل الأرض أن يرضوا بقضائه

وقال أبو الدرداء ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر وقال عمر رضي الله عنه

ما أبالي على أي حال أصبحت وأمسيت من شدة أو رخاء

وقال الثوري يوما عند رابعة اللهم ارض عني فقالت أما تستحي من الله أن تسأله الرضا وأنت عنه غير راض فقال أستغفر الله فقال جعفر بن سليمان الضبعي فمتى يكون العبد راضيا عن الله

---

(١) حديث أنس خدمت النبي صلى الله عليه وسلم فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته الحديث متفق عليه وقد تقدم." [١]

"خاتمة الكتاب بكلمات متفرقة تتعلق بالمحبة ينتفع بها

قال سفيان المحبة إتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غيره دوام الذكر وقال غيره إيثار المحبوب وقال بعضهم كراهية البقاء في الدنيا

وهذا كله إشارة إلى ثمرات المحبة فأما نفس المحبة فلم يتعرضوا لها

وقال بعضهم المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب عن إدراكه وتمتنع الألسن عن عبارته

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤/٣٤٦

وقال الجنيد حرم الله تعالى المحبة على صاحب العلاقة

وقال كل محبة تكون بعوض فإذا زال العوض زالت المحبة

وقال ذو النون قل لمن أظهر حب الله احذر أن تذل لغير الله

وقيل للشبلي رحمه الله صف لنا العارف والمحب فقال العارف إن تكلم هلك والمحب إن سكت هلك وقال الشبلي رحمه الله

يا أيها السيد الكريم ... حبك بين الحشا مقيم

يا رافع النوم عن جفوني ... أنت بما مر بي عليم

عجبت لمن يقول ذكرت إلفي ... وهل أنسى فأذكر ما نسيت

أموت إذا ذكرتك ثم أحيا ... ولولا حسن ظني ما حييت

فأحيا بالمنى وأموت شوقا ... فكم أحيا عليك وكم أموت

شربت الحب كأسا بعد كأس ... فما نفد الشرب وما رويت

فليت خياله نصب لعيني ... فإن قصرت في نظري عميت

وقالت رابعة العدوية يوما من يدلنا على حبيبنا فقالت خادمة لها حبيبنا معنا ولكن الدنيا قطعتنا عنه

وقال ابن الجلاء رحمه الله تعالى أوحى الله إلى عيسى عليه السلام إني إذا اطلعت على سر عبد فلم أجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبي وتوليته بحفظي وقيل تكلم سمنون يوما في المحبة فإذا بطائر نزل بين يديه فلم يزل ينقر بمنقاره الأرض حتى سال الدم منه فمات

وقال إبراهيم بن أدهم إلهي إنك تعلم أن الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة في جنب ما أكرمتني من محبتك وآنستني بذكرك وفرغتني للتفكر في عظمتك وقال السري رحمه الله من أحب الله عاش ومن مال إلى الدنيا طاش والأحمق يغدو ويروح في لاش والعاقل عن عيوبه فتاش

وقيل لرابعة كيف حبك للرسول صلى الله عليه وسلم فقالت والله إني لأحبه حبا شديدا ولكن حب الخالق شغلني عن حب المخلوقين

وسئل عليه السلام عن أفضل الأعمال فقال **الرضا عن الله** تعالى والحب له

وقال أبو يزيد المحب لايحب الدنيا ولا الآخرة إنما يحب من مولاه مولاه

وقال الشبلي الحب دهش في لذة وحيرة في تعظيم

وقيل المحبة أن تمحو أثرك عنك حتى لا يبقى فيك شيء راجع منك إليك وقيل المحبة قرب القلب من المحبوب بالاستبشار والفرح

وقال الخواص المحبة محو الإرادات واحتراق الصفات والحاجات وسئل سهل عن المحبة فقال عطف الله بقلب عبده لمشاهدته بعد الفهم للمراد منه

وقيل معاملة المحب على أربع منازل على المحبة والهيبة والحياء والتعظيم وأفضلها التعظيم والمحبة لأنهاتين المنزلتين تبقيان مع

أهل الجنة في الجنة ويرفع عنهم غيرهما وقال هرم بن حبان المؤمن إذا عرف ربه عز وجل أحبه وإذا أحبه أقبل عليه وإذا وجد حلاوة الإقبال عليه لم ينظر إلى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر إلى الآخرة بعين الفترة وهي تحسره في الدنيا وتروحه في الآخرة وقال عبد الله بن محمد سمعت امرأة من المتعبدات تقول وهي باكية والدموع على خدها جارية والله لقد سئمت من الحياة حتى لو وجدت الموت يباع لاشتريته شوقا إلى الله تعالى وحبا للقائه قال." (١)

"قال الفضيل: أصل الزهد الرضا عن الله عز وجل وقال: إني لا أعتقد أخا الرجل في الرضا، ولكن أعتقد أخاه في الغضب إذا أغضبته.

وقال: من عرف الناس استراح.

باب الميم

ذكر محمد بن النضر الحارثي كوفي رضي الله عنه

كان من أعبد أهل زمانه، قال أبو أسامة: كان محمد بن النضر من أعبد أهل الكوفة.

وقال عبد الله بن محمد الكرماني: دخلت على محمد بن النضر الحارثي ، فقلت له: كأنك تكره مجالسة الناس، قال: أجل، قلت:." (٢)

"" ورزق ربك خير وأبقى " (١) وذكر عنده رجل يوما فقال يا بني الفائز من فاز غدا ولم يكن لأحد عنده تبعة وذكرت له ابن أبي شيبة (٢) وعبد الأعلى النرسي ومن قدم إلى العسكر من المحدثين فقال إنما كانت أيام قلائل ثم تلاحقوا وما تحلوا منها بكبير (٣) شئ قال (٤) ونا الحسن بن محمد قال سمعت شاكر بن جعفر يقول سمعت جعفر بن محمد بن يعقوب يقول جاءه يوما رسول من داره يعني أحمد بن حنبل يذكر له أن أبا عبد الرحمن عليل واشتهى الزبد فناول رجلا من أصحابه قطعة وقال اشتر له بهذا زبدا فجاء به على ورق سلق فلما أن نظر إليه قال من أين هذا الورق قال أخذته من عند البقال فقال استأذنته في ذلك قال لا قال رده أخبرنا أبو المظفر أنا أبو بكر أنبأني محمد بن الحسين نا أبو العباس محمد بن الحسن نا أبو القاسم بن أبي موسى نا محمد بن أحمد نا أبو يوسف يعقوب بن إسحاق قال سمعت أحمد بن حنبل وسئل عن التوكل فقال قطع الاستشراف بالإياس من الخلق قيل له فما الحجة فيه قال قول إبراهيم عليه السلام لما وضع في المنجنيق ثم طرح في النار اعترض له جبريل عليه السلام فقال هل من حاجة فقال أما إليك فلا قال فسل من لك إليه الحاجة فقال أحب الأمرين إلي أحبهما إليه أخبرنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم أنا أبو بكر البيهقي قال وأنبأني أبو عبد الرحمن السلمي نا أبو عبد الله بن حمدان نا ابن مخلد نا المروروذي قال سمعت أحمد بن حنبل يقول إن لكل شئ كرما وكرم القلوب الرضا عن الله عز وجل قال وأنبأني أبو عبد الرحمن السلمي نا القاسم بن غانم بن حموية الطويل نا

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٣٦٠/٤

(٢) سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني إسماعيل الأصبهاني ص/١٠٣٧

(١) سورة طه الاية: ١٣١

(٢) الحلية: " ابن ابي رسته "كذا

(٣) في حلية الاولياء: بكثير شئ

(٤) حلية الاولياء ٩ / ١٨١." (١)

"محمد بن أحمد بن محمد (١) بن عبد الله البغدادي سنة ثمان وخمسين وحدثني عنه أولا عثمان بن محمد العثماني سنة أربع وخمسين ثنا عباس بنأحمد الشاشي (٢) ثنا أبو عقيل الرصافي ثنا أحمد بن عبد الله الزاهد قال قال علي بن محمد بن شقيق كان لجدي ثلاثمائة قرية يوم قتل بواشكرد (٣) ولم يكن له كفن فيه قدمه كله بين يديه وثيابه وسيفه إلى الساعة معلق يتبركون به قال وقد كان خرج إلى بلاد الترك لتجارة وهو حدث إلى قوم يقال لهم الخلوجية (٤) وهم يعبدون الأصنام فدخل إلى بيت أصنامهم وعالمهم (٥) قد حلق رأسه ولحيته ولبس ثيابا حمراء أرجوانية فقال له شقيق إن هذا الذي أنت فيه باطل ولهؤلاء ولك لهذا الخلق خالق وصانع ليس كمثله شئ فقال له الدنيا والآخرة قادر على كل شئ رازق كل شئ له الخادم ليس يوافق قولك فعلك فقال له شقيق كيف ذاك قال زعمت أن لك خالقا قادرا على كل شئ وقد تعنيت (٦) إلى ها هنا لطلب الرزق ولو كان كما تقول فإن الذي يرزقك ها هنا يرزقك ثم فتربح العناء قال شقيق فكان سبب زهدي كلام التركي فرجع فتصدق بجميع ما ملك فطلب العلم قال (٧) وثنا مخلد بن جعفر بن محمد ثنا جعفر الفريابي نا المثنى بن جامع قال قال أبو عبد الله سمعت شقيق بن إبراهيم يقول كنت رجلا شاعرا فرزقني الله التوبة وإني خرجت بثلاثمائة ألف درهم وكنت مرائيا ولبست الصوف عشرين سنة وأنا لا أعلم حتى لقيت عبد العزيز بنأبي رواد فقال يا شقيق ليس الشأن في أكل الشعير الشأن (٨) في المعرفة أن يعرف الله عز وجل يعبده ولا يشرك به شيئا والثانية **الرضا عن الله** والثالثة تكون بما في يد الله أوثق منك بما في أيدي المخلوقين قال

---

(١) سقطت اللفظة من الحلية

(٢) الحلية: الشامي

(٣) مهملة بالأصل بدون نقط والمثبت عن الحلية

(٤) الحلية: الخصوصية

(٥) عن الحلية وبالأصل: وعاملهم

(٦) الحلية: تغيبت

(٧) القائل هو أبو نعيم أحمد بن عبد الله

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٣٠٨/٥

والخبر في الحلية ٨ / ٥٩

(٨) في الحلية: البيان." (١)

"روى عن أبي سليمان الداراني وحجاج بن محمد وعطاء الأزرق وعبد العزيز الراسبي وزيد بن أبي الزرقاء وأم هارون المتعبدة روى عنه أحمد بن أبي الحواري وأبراهيم بن أيوب الحوراني (١) أخبرنا أبو القاسم زاهر بن طاهر أنا أبو بكر البيهقي أنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي أنا أبو عمرو بن حمدان وأبو بكر الريونجي قالا أنا الحسن بن سفيان أنا إبراهيم بن الحوراني (٢) ح وأخبرنا أبو سعد إسماعيل بن أبي صالح أحمد بن عبد الملك الكرماني (٣) أنا أبي أنا أبو عبد الرحمن السلمي أنا محمد بن أحمد بن حمدان وأبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن قريش وجماعة قالوا أنا الحسن بن سفيان نا إبراهيم بن الحوراني نا أبو الفقير عبد العزيز بن عمير من أهل خراسان نزيل دمشق نا زيد أبي الزرقاء نا جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران عن يزيد بن الأصم عن عمر قال نظر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وفى حديث إسماعيل عن ابن عمر وهو الصواب قال نظر النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى مصعب بن عمير مقبلا عليه إهاب كبش قد تنطق به فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) انظروا إلى هذا الذي نور الله قلبه لقد رأيته بين أبوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب ولقد رأيت عليه حلة شراؤها بمائتي درهم فدعاه حب الله ورسوله إلى ما ترون وقال البيهقي حب الله وحب رسوله

[٧٣٥٩] أخبرنا أبو علي بن السبط وأبو غالب بن البنا وأبو الأعز قراتكين بن الأسعد قالوا أنا أبو محمد الجوهري أنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح الأبهري الفقيه نا أبو عثمان سعيد بن عبد العزيز الحلبي بدمشق نا أحمد بن أبي الحواري (٤) نا عبد العزيز بن عمير (٥) عن عطاء الأزرق عن عبد الواحد بن زيد قال قلت للحسن يا أبا سعيد من أين أتي هذا الخلق قال من قلة **الرضا عن الله** عز وجل قلت فكيف (٦) أتوا

---

(١) الاصل وم: " الحواربي " تصحيف والصواب عن الانساب ذكره السمعاني وترجمه وترجمة قصيرة

(٢) في م: الخواوبي " تصحيف

(٣) المشيخة ٢٦ / ب

(٤) بالاصل: الحوراني تصحيف والصواب عن م

(٥) الاصل: عمر تصحيف والصواب عن م

(٦) الاصل: فمن تصحيف والمعنى غير مستقيم ولعل الصواب ما ارتأيناه وبما أثبتناه يستقيم المعني." (٢)

"من قلة **الرضا عن الله** عز وجل قال من قلة المعرفة بالله عز وجل اخبرنا أبو القاسم زاهر بن طاهر أنا أبو بكر البيهقي أنا أبو عبد الله الحافظ أنا الحسن بن محمد بن إسحاق نا أبو عثمان الخياط نا أحمد بن أبي الحواري حدثني عبد

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١٣٦/٢٣

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٣٣٣/٣٦

العزيز بن عمير قال وكانت رابعة تسميه سيد العابدين قال لعبد العزيز الراسبي ما بقي مما تلذذ به فقال سرداب أخلوا فيه فلا ارى أحد حتى أموت أخبرنا أبو القاسم بن الحصين أنا أبو القاسم التنوخي نا عمر بن أحمد الأحوي أنا أبو عبد الله أحمد بن علي بن العلاء نا زياد بن أيوب نا أحمد يعني ابن أبي الحواري حدثني عبد العزيز بن عمير قال سمعت أبا سليمان الواسطي يقول ذكر النعم تورث الحب لله عز وجل أخبرنا أبو عبد الله الخلال شفاها أنا أبو القاسم بن منده أنا أبو علي إجازة ح قال وأنا أبو طاهر بن سلمة أنا علي بن محمد قالا أنا أبو محمد بن أبي حاتم قال (١) عبد العزيز بن عمير (٢) الدمشقي روى عن أبي سليمان الداراني وحجاج بن محمد وأم هارون المتعبدة روى عنه أحمد بن أبي الحواري أنبانا أبو الحسن الفارسي أنا أبو بكر المزكي قال قال لنا أبو عبد الرحمن السلمي عبد العزيز بن عمير وكنيته أبو الفقير من أقران سليمان الداراني وهو من أستاذي أحمد بن أبي الحواري وهو من أهل خراسان أنا أبو عمرو بن حمدان أنا الحسن بن سفيان نا إبراهيم بن الحوراني الدمشقي نا أبو الفقير عبد العزيز بن عمير من أهل خراسان سكن دمشق قال وأنا محمد بن الحسن البغدادي أخبرني محمد بن عبد الله الفراغاني نا أبو علي المعمري نا أحمد بن أبي الحواري سمعت عبد العزيز بن عمير يقول إن في القلوب قلوبا مرتصدة فإذا وجدت بغيتها طارت إليه

---

(١) الجرح والتعديل ٥ / ٣٩١

(٢) في الجرح والتعديل: عمر تصحيف." (١)

"طلحة اليربوعي حدثنا بعض (١) يسمى طلحة مكتوب في كتابي قال كنا مع فضيل بن عياض على جبل من جبال منى (٢) على القرآن ورغبنا وقال لو أن وليا من أولياء الله أمر هذا الجبل أن يميل لمال فتحرك الجبل فقال الفضيل يرحمك الله إنا لم نرد هذا فسكن الجبل أنبأنا أبو علي الحسن بن أحمد أنبأنا أبو نعيم الحافظ (٣) حدثنا عبد الله بن محمد ابن جعفر حدثنا جعفر بن أحمد بن فارس حدثنا إبراهيم بن الجنيد حدثنا مليح بن وكيع قال سمعتهم يقولون خرجنا من مكة في طلب فضيل بن عياض في رأس الجبل فقرأنا القرآن فإذا هو قد خرج علينا من شعب لم نره فقال لنا أخرجتموني من منزلي ومنعتموني الصلاة والطواف أما إنكم لو أطعتم الله ثم شئتم أن تزول الجبال معكم زالت ثم دق الجبل بيده فرأينا الجبال أو الجبل قد اهتزت وتحركت أخبرنا أبو القاسم زاهر بن طاهر أنبأنا أبو بكر البيهقي أنبأنا أبو علي الروذباري أنبأنا الحسين بن الحسن بن أيوب الطوسي حدثنا أبو خالد العقيلي بمكة حدثنا معاذ بن أسد قال سمعت الفضيل بن عياض يقول أصل الإيمان عندنا وفرعه وداخله وخارجه بعد الشهادة بالتوحيد وبعد الشهادة للنبي (صلى الله عليه وسلم) بالبلاغ وبعد إداء الفرائض صدق الحديث وحفظ الأمانة وترك الخيانة ووفاء بالعهد وصلة الرحم والنصيحة لجميع المسلمين قال معاذ قلت يا أبا علي (٤) من رأيك تقوله أو سمعته قال لا بل سمعناه ونقلناه من أصحابنا ولو لم آخذه عن أهل الثقة والفضل لم أتكلم به قال معاذ وكانت سبعا فنسيت واحدة أخبرنا أبو القاسم علي بن إبراهيم أنبأنا رشأ بن نظيف أنبأنا الحسن بن إسماعيل أنبأنا أحمد بن مروان حدثنا محمد بن عبد العزيز حدثنا عبد الصمد قال سمعت الفضيل يقول أصل

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٣٣٤/٣٦

---

(١) كلمة غير واضحة بالاصل

(٢) كلمة غير واضحة بالاصل

(٣) رواه أبو نعيم الحافظ في حلية الاولياء ٨ / ١١٢

(٤) بالاصل: " قلت: يا أبي من رأيك " صوبنا الجملة عن المختصر." (١)

"أخبرنا أبو غالب بن البنا أنبأنا أبو علي الحسين بن محمد بن فهد العلاف أنبأنا أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن حماد الموصلي حدثنا أحمد بن سلمان حدثنا إسماعيل بن بكر السكوني حدثنا محمد بن مكرم حدثني عبد الرحمن بن عفان حدثني بشر بن الحارث قال قال لي الفضيل بن عياض يا بشر الرضا عن الله أكبر من الزهد في الدنيا قلت يا أبا علي كيف ذاك قال يكون العطاء والمنع في قلبك والمنع بمنزلة واحدة أخبرنا (١) أبو القاسم الشحامي أنبأنا أبو بكر البيهقي أنبأنا أبو (٢) الحسين بن بشران أنبأنا أبو عمرو بن السماك قال قال أبو بكر بن عبد الرحمن بن عفان اخبرني بشر ابن الحارث قال قال فضيل بن عياض يا بشر الرضا الاكبر عن الله عز وجل الزهد في الدنيا قال قلت كيف هذا يا ابا علي قال يكون العطاء في قلبك والمنع بمنزلة واحدة (٣) اخبرنا أبو القاسم الشحامي أنبأنا أحمد بن الحسين الحافظ أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا الحسن بن محمد بن إسحاق أنبأنا أبو عثمان الخياط قال سمعت السري يقول سمعت رجلا يسأل الفضيل قال له يا أبا علي علمني الرضا قال له الفضيل يا بن أخي ارض عن الله فرضاك عن الله يهب لك الرضا قال وحدثنا أبو عثمان الخياط قال سمعت محمد بن الحسن الهمداني يقول توفي للرشيد ابن فكتب إليه الفضيل بن عياض أما بعد يا أمير المؤمنين فإن استطعت أن يكون شكرك له حين أخذه منك أفضل من شكرك له حين وهبه لك يا أمير المؤمنين إنه جل ثناؤه لما وهبه لك أخذ هبته ولو بقي لم تسلم من فتنته أرأيت جزعك عليه وتلهفك على فراقه أرضيت الدنيا لنفسك أفترضاها لابنك أما هو فقد خلص من الكدر وبقيت أنت في الخطر أخبرنا (٤) أبو القاسم الحسيني أنبأنا رشأ بن نظيف المقرئ أنبأنا الحسين بن

---

(١) كتب فوقها بالاصل: ملحق

(٢) كتبت فوق الكلام بين السطرين بالاصل

(٣) كتب فوقها بالاصل: إلى

(٤) كتب فوقها في الاصل: ملحق." (٢)

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٣٩٩/٤٨

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٤٠٠/٤٨

"سيدي من كان ذلك الرجل الذي دخل عليك البارحة وسلم عليك وسلمت أنت عليه فقال الخضر عليه السلام فأخذ الكتاب فزاد فيه شيئا ثم قدمت على أستاذي قاسم الجوعي فقال لي إيش الذي منعك أن يمضي بكتابي فقلت له قد مضيت وهذا جواب الكتاب فقرأه ثم قال لي أبشر فإن الشيخ قد كتب إلي يوصيني بك ويقول إن هذا الغلام قد رأى أخانا الخضر عليه السلام فقلت هذا ببركتك ودعا لي أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الواحد بن أحمد بن العباس حدثنا علي بن عمر بن محمد بن الحسن بن القزويني الزاهد إملاء حدثنا علي بن عمرو بن سهل الحريري حدثنا سعيد بن عبد العزيز الحلبي بدمشق قال سمعت القاسم بن عثمان الجوعي يقول التوبة رد المظالم وترك المعاصي وطلب الحلال وأداء الفرائض كتب إلي أبو بكر عبد الغفار بن محمد وأخبرني أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد ابن حبيب وأبو محمد عبد الواحد بن عبد الماجد بن عبد الواحد القشيري عنه أنبأنا شيخ الشيوخ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن باكوية الشيرازي أنبأنا أحمد بن علي بن حسان قال سمعت القاسم بن عثمان يقول (١) رأس الأعمال كلها الرضا عن الله والورع عماد الدين والجوع مخ العبادة والحصن الحصين ضبط اللسان (٢) ومن شكر الله حشر من ميدان الزيادة (٣) ومن تم عمله عرف المصائب وقال القشيري عد (٤) المصائب نعما وشكر الله على ما زوى عنه من الدنيا (٥) أخبرنا أبو غالب بن البنا أنبأنا محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن حسنون أنبأنا عبد الوهاب وأخبرنا أبو القاسم علي بن إبراهيم وأبو محمد هبة الله بن أحمد الأكفاني وعبد

---

(١) من طريق آخر رواه أبو نعيم الحافظ في حلية الاولياء ٩ / ٣٢٣ وسير أعلام النبلاء ١٢ / ٧٩

(٢) في الحلية: " والحصن ضبط اللسان " وفي سير أعلام النبلاء: والحصن الحصين الصمت

(٣) في الحلية: ومن شكر الله جلس في ميدان الزيادة

(٤) الاصل: " عند " تصحيف والمثبت عن م و " ز "

(٥) الذي في الحلية: ومن حمده عد المصائب نعما وشكر الله على ذلك ولو زويت عنه الدنيا." (١)

"٢١٥- فصل: رضا الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربه.

٩٩١- من أراد أن يعلم حقيقة الرضا عن الله عز وجل في أفعاله، وأن يدري من أين ينشأ الرضا، فليتفكر في أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فإنه لما تكاملت معرفته بالخالق سبحانه، رأى أن الخالق مالك، وللمالك التصرف في مملوكه، ورآه حكيما لا يصنع شيئا عبثا، فسلم تسليم مملوك لحكيم؛ فكانت العجائب تجري عليه، ولا يوجد منه تغير، ولا من الطبع تأفف، ولا يقول بلسان الحال: لو كان كذا! بل يثبت للأقدار ثبوت الجبل لعواصف الرياح.

٩٩٢- هذا سيد الرسل صلى الله عليه وسلم بعث إلى الخلق وحده، والكفر قد ملأ الآفاق، لجعل يفر من مكان إلى مكان، واستتر في دار الخيزران١، وهم يضربونه إذا خرج، ويدمون عقبه٢، وألقى٣ السلى على ظهره، وهو ساكت ساكن

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١٢٢/٤٩

ويخرج كل موسم فيقول:"من يؤويني؟ من ينصرني؟ " ... ثم خرج من مكة، فلم يقدر على العود إلا في جوار كافر٤.

ولم يوجد من الطبع تأفف، ولا من الباطن اعتراض، إذ لو كان غيره، لقال: يا رب! أنت مالك الخلق، وقادر على النصر، فلم أذل؟! كما قال عمر رضي الله عنه يوم صلح الحديبية: ألسنا على الحق؟! فلم نعطي الدنية في ديننا؟! ولما قال هذا، قال له الرسول صلى الله عليه وسلم: "إني عبد الله، ولن يضيعني" ٥. فجمعت الكلمتان الأصلين اللذين ذكرناهما: فقوله: "إني عبد الله": إقرار بالملك، وكأنه قال: أنا مملوك يفعل بي ما يشاء. وقوله: "لن يضيعني": بيان حكمته، وأنه لا يفعل شيئا عبثا.

ثم يبتلى بالجوع، فيشد الحجر٦، ﴿ولله خزائن السماوات والأرض﴾ [المنافقون: ٧] .

---

١ هي دار الأرقم بن أبي الأرقم، ثم تملكتها الخيزران زوجة الخليفة العباسي محمد المهدي وأم ابنيه موسى الهادي وهارون الرشيد، وكانت حازمة متفقهة، توفيت سنة "١٧٣هـ".

٢ رواه ابن هشام في السيرة "١/ ٢٦٠" عن ابن إسحاق.

٣ في الأصل: وشق.

٤ هو مطعم بن عدي.

٥ رواه البخاري "٣١٨٢"، ومسلم "١٧٨٥" عن سهل بن حنيف رضي الله عنه.

٦ كما في غزوة الخندق رواه البخاري "٤١٠٢"، و "٤١٠١"، ومسلم "٢٠٣٩" عن جابر رضي الله عنه.." (١)

"من هول يوم عبوس قمطرير وجالت قلوبهم خوف العلي الكبير فعما قليل ينجون من الفزع الهائل الخطير ويجاورون السيد النذير البشير في جنة ليس فيها شمس ولا زمهرير رجال اطمأنت قلوبهم بذكر الرحمن ولزموا الطاعة وتجنبوا العصيان وحفظوا ألسنتهم من العيب والبهتان واتبعوا السنة وأحكام القرآن ولم يقبلوا من خدع العدو الشيطان وطلبوا الزيادة ولم يرضوا بالنقصان فأثابهم الجبار بجنة الرضوان ومتعهم بالحور الغنجات الحسان كأنهن الياقوت والمرجان فأخبرنا الجليل جل جلاله في محكم القرآن عما أتاهم به من الجود والامتنان فقال تعالى ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ الرحمن ٦٠ فالإحسان من العبد في الدنيا قول لا إله إلا الله والإحسان من الله في الآخرة الجنة

فمن أحسن الرضا عن الله جل ثناؤه جازاه الله بالرضا عنه فقابل الرضا بالرضا وهذا غاية الجزاء ونهاية العطاء

٤٣٢ - صفة المؤمنين

روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لطائفة من المؤمنين ما أنتم قالوا نحن المؤمنون فقال ما علامة إيمانكم قالوا نصبر عند البلاء ونشكر عند الرجاء ونرضى بمواقع القضاء

فقال مؤمنون ورب الكعبة وقيل أحسن الأشياء أن يكون العبد رقيبا على باطنه وظاهره لأن الله تعالى رقيب عليه وهو قوله

---

(١) صيد الخاطر ابن الجوزي ص/٣٠٧

تعالى ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾ الرعد ٣٣ فتكون أنت أيها العبد تراقبه في سرائرك وعلانيتك وظاهرك وباطنك وحركاتك وسكناتك وتعلم أنه رقيب عليك وتستحي ممن هو معك ولا تستحي ممن هو أقرب إليك من حبل الوريد

وقيل المحمود من الدنيا المساجد والمحاريب وذلك أن شركاءك فيها الملائكة والنبيون والصديقون وحسن أولئك رفيقا

والمذموم من الدنيا البطن والفرج والكنيف والمزابل وشركاؤنا فيها اليهود والنصارى والمجوس والمشركون والزنادقة وغيرهم

فيدعوك الرب جل جلاله وهو قوله تعالى ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾ يونس ٢٥ الآية

وتأبى أنت عليه فيقول الله سبحانه يا عبدي لا تذنب في الدنيا رأفة منه لعبده فيقول العبد لا بد لي من الذنوب فيقول الرب جل جلاله عبدي فتب إلي أقبلك على ما كان منك فيقول العبد لا أفعل لأنني مبتلي بالأهل والبطن والفرج فيقول الرب جل جلاله عبدي فكن مكانك حتى أوتيك." (١)

"منه فلا أزال الدهر أرتاح لريح الجنوب كلما نسب إلى الجنون فهو جنون وكلما إدى إلى المطلوب مطلوب جميع الذي يعزى إليكم وينسب على كريم وهو عندي مجيب جنوني غرقته بانسفاح مدامعي وقلبي على جمر الخصا يتقلب إذا كان هجري مدنيا من رضاكم فهجركم عندي من الوصل أطيب الرضا عن الله لازم لكل مخلوق ولو حمله الله ما لا يطيق لأنه سبحانه لا يقضي إلا بالحق ومن لا يرضيه الحق فهو بالغصب والعقوبة محقوق سخط المقدور يزيد في المحذور ومنازعة القضاء تزيد في الشقاء والتواضع رفعة واليأس راحة والإساءة وحشة إذا استحوذت الغفلة فقد استحكمت الشقوة كراهية العبد لقاء الرب دليل على ألا خبية بينه وبينه أفضل العباد صحة الإرادة أعرف الخلق بالله أقربهم منه وأطوعهم له أعرفهم به العبادة بغير المعرفة كسر على غير جادة لو انتبهت من رقادك لوصلت إلى مرادك ولو أيقنت بمعادك لاستكثرت من زادك أين ما أعددت من زاد قد حدا بالأنيق الحادي ما بقي إلا القليل وقد جد سير الرائد الغادي." (٢)

"ومن الطبقة الرابعة:

٢١٥- عبد العزيز بن أبي رواد

مولى المغيرة بن المهلب بن أبي صفرة.

عن شقيق البلخي قال ذهب بصر عبد العزيز بن أبي رواد عشرين سنة لم يعلم به أهله ولا ولده فتأمله ابنه ذات يوم فقال له يا أبت ذهبت عينك قال نعم يا بني الرضا عن الله تعالى اذهب عين أبيك منذ عشرين سنة.

وعن شعيب بن حرب قال جلست إلى عبد العزيز بن أبي رواد خمسمائة مجلس فما احسب صاحب الشمال كتب شيئا.

وعن يوسف بن اسباط قال مكث عبد العزيز بن أبي رواد أربعين سنة لم يرفع طرفه إلى السماء فبينما هو يطوف حول الكعبة إذ طعنه المنصور أبو جعفر في خاصرته بإصبعه، فالتفت إليه فقال: قد علمت أنها طعنة جبار.

وعن خلاد بن يحيي قال: حدثنا عبد العزيز بن أبي رواد قال كان يقال من رأس التواضع الرضابالدون من شرف المجالس

---

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين ابن الجوزي ص/٢٧٨

(٢) التذكرة في الوعظ ابن الجوزي ص/١٧٨

وكان يقول في رأس كل إنسان حكمة أخذ بها ملك فإن تواضع لربه رفعه.

وقال انتعش رحمك الله وإن تكبر قمعه وقال: اخسأ خسأك الله.

وعن محمد بن يزيد بن خنيس قال قال رجل لعبد العزيز بن أبي رواد كيف أصبحت فبكى وقال أصبحت والله في غفلة عظيمة عن الموت مع ذنوب كثيرة قد أحاطت بي واجل يسرع كل يوم في عمري وموئل لست ادري علام اهجم؟ ثم بكى.

وعن سعيد بن سألم القداح قال سمعت عبد العزيز بن أبي رواد يقول لرجل: ومن لم يتعظ بثلاث لم يتعظ بشيء الإسلام والقرآن والمشيب.

اسند عبد العزيز بن أبي رواد عن جماعة من كبار التابعين كعطاء وعكرمة ونافع.

وتوفي بمكة سنة تسع وخمسين ومائة.

٢١٥- هو: عبد العزيز بن أبي رواد صدوق عابد ربما وهم ورمى بالإرجاء من السابعة.." (١)

"٢٧٥- ابو عبد الله بن ابي جعفر البراثي

عن ابي مريم قال قلت لابي عبد الله البراثي كم تبكي كم هذا البكاء فاخرج الي يده واذا على اصبعه شعرة ملفوفة فنشرها ثم قال اذا كان المجاز على مثل هذه فاي قدم يثبت على مثل هذا ثم بكى.

وعن حكيم بن جعفر قال سمعت ابا عبد الله البراثي يقول لن يرد القيامة ارفع درجة من الراضين عن الله على كل حال ومن وهب له الرضا فقد بلغ افضل الدرجات ومن زهد على حقيقة كانت مؤنته خفيفة ومن لم يعرف ثواب الاعمال ثقلت عليه في جميع الاحوال.

وعنه قال سمعت ابا عبد الله البراثي يقول كرمك اطعمنا سيدي في عفوك وجودك اطعمن في فضلك وذنوبنا قد تؤيسنا من ذلك وتابى قلوبنا لمعرفتها بك ان تقطع رجاءها بك منك فتفضل ايها الكريم وجد بعفوك يا رحيم.

وعنه قال سمع ابا عبد الله البراثي يقول بالمعرفة هانت على العاملين العبادة **وبالرضا عن الله** عز وجل في تدبيره زهدوا في الدنيا ورضوا منها لانفسهم بتقديره.

وعنه قال سمعت ابا عبد الله البراثي يقول من كرمت نفسه عليه رغب بها عن الدنيا.

وعن البرجلاني قال سمعت ابا عبد الله البراثي يقول حملتنا المطامع على اسوا

٢٧٥- هو: أبو عبد الله البراثي صاحب النكت المغرية والأحوال الزكية من كبار المشايخ ومتقدميهم.." (٢)

"ومن الطبقة الثامنة:

٧٦٣ - القاسم بن عثمان الجوعي

---

(١) صفة الصفوة ابن الجوزي ١/٤٢٣

(٢) صفة الصفوة ابن الجوزي ١/٥٠٤

أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت القاسم الجوعي الكبير يقول: شبع الأولياء بالمحبة عن الجوع ففقدوا لذاذة الطعام والشهوات ولذات الدنيا لأنهم تلذذوا بلذة ليس فوقها لذة فقطعتهم عن كل لذة، وإنما سميت قاسما الجوعي لأن الله تعالى قواني على الجوع، فلو تركت ما تركت ولم أوت بالطعام لم أبال رضت نفسي حتى لو تركت شهرا وما زاد لم تأكل ولم تشرب، لم تبال، أنا عنها راض أسوقها حيث شئت، اللهم أنت فعلت بي ذلك فأتمه علي.

أحمد بن عبد الله الحافظ قال: كان القاسم يقول: حب الرياسة أصل كل موبقة، وقليل العمل مع المعرفة خير من كثير العمل بلا معرفة، ورأس الأعمال **الرضا عن الله** عز وجل والورع عماد الدين، والجوع مخ العبادة، والحصن الحصين ضبط اللسان.

سعيد بن عبد العزيز الحلبي قال: سمعت قاسما الجوعي يقول: أصل الدين الورع، وأفضل العبادة مكابدة الليل، وأفضل طرق الجنة سلامة الصدر.

عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي قال: دخلت دمشق على كتبة الحديث فمررت بحلقة قاسم الجوعي فرأيت نفرا جلوسا حوله وهو يتكلم عليهم، فهالني منظرهم، فتقدمت إليه فسمعته يقول: اغتنموا من زمانكم خمسا: إن حضرتم لم تعرفوا، وإن غبتم لم تفتقدوا، وإن شهدتم لن تشاوروا وإن قلتم شيئا لم يقبل قولكم، وإن عملتم شيئا لم تعطوا به. أوصيكم بخمس أيضا، إن ظلمتم لم تظلموا، وإن مدحتم لم تفرحوا، وإن ندمتم لم تجزعوا، وإن كذبتم فلا تغضبوا، وإن خانوكم فلا تخونوا. قال: فجعلت هذا فائدتي في دمشق.

أسند قاسم عن سفيان بن عيينة وغيره.

---

٧٦٣ – هو: الجوعي، الإمام، القدوة الولي المحدث، أبو عبد الملك القاسم بن عثمان العبدي الدمشقي، شيخ الصوفية انظر: سير أعلام النبلاء ١٠/٧٩.." (١)

"٨٠٣ – أبو عبد الله النباجي

واسمه سعيد بن يزيد.

قال محمد بن أبي الورد: قال أبو عبد الله النباجي من خطرت الدنيا بباله لغير القيام بأمر الله حجب عن الله.

وقال ابن أبي الورد: صلى أبو عبد الله النباجي يوما بأهل طرسوس فصيح النفير، فلم يخفف الصلاة، فلما فرغوا قالوا: أنت جاسوس. قال: ولم؟ قالوا: صيح بالنفير وأنت في الصلاة فلم تخفف. قال: ما حسبت أن أحدا يكون في الصلاة فيقع في سمعه غير ما يخاطبه الله عز وجل.

الحسين بن عبد الرحمن، عن أبي عبد الله النباجي قال: قال لي قائل في منامي: أو يحسن بالحر المريد أن يتذلل للعبيد، وهو واجد عند مولاه كل ما يريد؟

أحمد بن أبي الحواري عن أبي عبد الله النباجي قال: إن في خلق الله عز وجل خلقا يستحيون من الصبر لو يعلمون أقداره تلقفوها تلقفا.

---

(١) صفة الصفوة ابن الجوزي ٣٨٩/٢

أحمد بن محمد بن بكر القرشي قال: سمعت أبا عبد الله النباجي يقول: اطلبوا النظر في **الرضا عن الله** عز وجل وتساءلوا عنه بينكم إنكم إن ظفرتم منه بشيء علوتم به الأعمال كلها، قال: وسمعته يقول: لا تستكثروا الجنة للمؤمن، فإنه قد وافى بأعظم قدر عنده من الجنة: معرفة الله والإيمان به.

وسمعته يقول: الذي جعل الله عز وجل المعرفة عنده يتنعم مع الله عز وجل في كل أحواله.

أبو عبيد الله الإمام قال: سمعت أبا عبد الله النباجي يقول: إذاكان عندك ما أعطى الله عز وجل نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدا صلى الله عليه وسلم لا تراه شيئا وإنما تريد ما أعطى الله نمرود وفرعون وهامان فمتى تفلح؟.

لا نعرف للنباجي مسندا، وإنماكان مشغولا بالزهد والتعبد، وقد حكى عن الثوري والفضيل وغيرهما.

---

٨٠٣ - هو: العجاج الناجي، أبو عبد الله الساجي سعيد بن يزيد، كان يعج من نفسه إلى ربه عجيجا، ويشتاق إليه شاكيا أنينا وضجيجا، انظر حلية الأولياء ٢٢٣/٩.." (١)

"٩٢٤ - عابد آخر حجازي

أبو عبد الرحمن المغازلي قال: دخلت على رجل مبتلى بالحجاز فقلت: كيف تجدك؟ قال: أجد عافيته أكثر مما ابتلاني به، وأجد نعمه علي أكثر من أن أحصيها. قلت: أتجد لما أنت فيه ألما شديدا؟ فبكى ثم قال: سلي نفسي ألم ما بي: ما وعد عليه سيدي أهل الصبر من كمال الأجور في شدة يوم عسير. قال: ثم غشي عليه. فمكث مليا ثم أفاق فقال: إني لأحسب أن لأهل الصبر غدا في القيامة مقاما شريفا لا يتقدمه من ثواب الأعمال شيء، إلا ما كان من **الرضا عن الله** تعالى.

٩٢٥ - عابد آخر

الخلدي قال: خرجت سنة من السنين إلى البادية فبقيت أربعة وعشرين يوما لم أطعم فيها طعاما، فلما كان بعد ذلك رأيت كوخا وفيه غلام فقصدت الكوخ فرأيت الغلام قائما يصلي فقلت في نفسي: بالعشي يجيء إلى هذا طعام فآكل معه. فبقيت تلك الليلة والغد وبعد غد، ثلاثة أيام لم يجئه أحد بطعام ولا رأيت أحدا. فقلت: هذا شيطان ليس هذا من الناس. فتركته وانصرفت. فلما كان بعد أشهر، أنا قاعد في منزلي إذا داق يدق الباب. قلت: من هذا؟ أدخل، فدخل الغلام وقال لي: يا جعفر أنت كما سميت، جاع فر.." (٢)

"الباب الثاني والثلاثون

في ذكر كلامه في فنون مختلفة

أخبرنا المحمدان: ابن عبد الملك، وابن ناصر، قالا: أخبرنا أحمد بن الحسن المعدل، قال: أخبرنا أبو الحسين محمد بن الحسن الأهوازي، قال: سمعت علي بن محمد البصري.

وأخبرنا ابن ناصر، قال: أخبرنا المبارك بن عبدالجبار، قال: أخبرنا إبراهيم ابن عمر، قال: حدثنا أبو عبدالله بن بطة، قال:

---

(١) صفة الصفوة ابن الجوزي ٤١٩/٢

(٢) صفة الصفوة ابن الجوزي ٤٩٧/٢

حدثني عبدالله بن جعفر، قالا: سمعنا أبا يوسف يعقوب بن إسحاق، يقول: سمعت أحمد بن حنبل يقول: يؤكل الطعام بثلاث: مع الإخوان بالسرور، ومع الفقراء بالإيثار، ومع أبناء الدنيا بالمروءة.

أخبرنا ابن ناصر، قال: أخبرنا الحسن بن أحمد إذنا، قال: حدثنا محمد ابن أحمد، قال: حدثنا عبد الله بن محمد قال: حدثنا محمد بن حفص، قال: حدثنا أبو بكر المروذي، قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: إن لكل شيء كرما، وكرم القلب الرضا عن الله عز وجل.

أخبرنا ابن ناصر، قال: سمعت أبا محمد التميمي، يقول: سمعت عمي أبا الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز، يقول: سمعت المطيع لله يقول – وهو على المنبر، وقد أحدق به كثير من الحنابلة حزروا ثلاثين ألف رجل، فأراد أن يتقرب." (١)

"إلى كل خير. وثانيها: المهتدون إلى الجنة، الفائزون بالثواب. وثالثها: المهتدون لسائر ما لزمهم، والأقرب فيه ما يصير داخلا في الوعد حتى يكون عطفه على ما ذكره من الصلوات والرحمة صحيحا، ولا يكون كذلك إلا والمراد به أنهم الفائزون بالثواب والجنة، والطريق إليها لأن كل ذلك داخل في الاهتداء، وإن كان لا يمتنع أن يراد بذلك أنهم المتأدبون بآدابه المتمسكون بما ألزم وأمر، قال أبو بكر الرازي: اشتملت الآية على حكمين:

فرض ونفل، أما الفرض فهو التسليم لأمر الله تعالى، والرضا بقضائه، والصبر على أداء فرائضه، لا يصرف عنها مصائب الدنيا وأما النفل فإظهارا لقوله: إنا لله وإنا إليه راجعون فإن في إظهاره فوائد جزيلة منها أن غيره يقتدي/ به إذا سمعه، ومنها غيظ الكفار وعلمهم بجده واجتهاده في دين الله والثبات عليه وعلى طاعته، وحكي عن داود الطائي قال: الزهد في الدنيا أن لا يحب البقاء فيها، وأفضل الأعمال الرضا عن الله ولا ينبغي للمسلم أن يحزن لأنه يعلم أن لكل مصيبة ثوابا.

ولنختم تفسير هذه الآية ببيان الرضا بالقضاء فنقول: العبد إنما يصبر راضيا بقضاء الله تعالى بطريقين: إما بطريق التصرف، أو بطريق الجذب، أما طريق التصرف فمن وجوه. أحدها: أنه متى مال قلبه إلى شيء والتفت خاطره إلى شيء جعل ذلك الشيء منشأ للآفات فحينئذ ينصرف وجه القلب عن عالم الحدوث إلى جانب القدس فإن آدم عليه السلام لما تعلق قلبه بالجنة جعلها محنة عليه حتى زالت الجنة، فبقي آدم مع ذكر الله، ولما استأنس يعقوب بيوسف عليهما السلام أوقع الفراق بينهما حتى بقي يعقوب مع ذكر الحق، ولما طمع محمد عليه السلام من أهل مكة في النصرة والإعانة صاروا من أشد الناس عليه حتى

قال: «ما أوذي نبي مثل ما أوذيت» .

وثانيها: أن لا يجعل ذلك الشيء بلاء ولكن يرفعه من البين حتى لا يبقى لا البلاء ولا الرحمة فحينئذ يرجع العبد إلى الله تعالى. وثالثها: أن العبد متى توقع من جانب شيئا أعطاه الله تعالى بلا واسطة خيرا من متوقعه فيستحي العبد فيرجع إلى باب رحمة الله.

وأما طريق الجذب فهو كما

قال عليه السلام: «جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين» .

---

(١) مناقب الإمام أحمد ابن الجوزي ص/٢٧٦

ومن جذبه الحق إلى نفسه صار مغلوبا لأن الحق غالب لا مغلوب، وصفة الرب الربوبية، وصفة العبد العبودية، والربوبية غالبة على العبودية لا بالضد، وصفة الحق حقيقة، وصفة العبد مجاز، والحقيقة غالبة على المجاز لا بالضد، والغالب يقلب المغلوب من صفة إلى صفة تليق به، والعبد إذا دخل على السلطان المهيب نسي نفسه وصار بكل قلبه وفكره وحسه مقبلا عليه ومشتغلا به وغافلا عن غيره، فكيف بمن لحظ نصره حضرة السلطان الذي كان من عداه حقير بالنسبة إليه، فيصير العبد هنالك كالفاني عن نفسه وعن حظوظ نفسه فيصير هنالك راضيا بأقضية الحق سبحانه وتعالى وأحكامه من غير أن يبقى في طاعته شبهة المنازعة.

[سورة البقرة (٢) : آية ١٥٨]

إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم (١٥٨)

وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: اعلم أن تعلق هذه الآية بما قبلها من وجوه. أحدها: أن الله تعالى بين أنه إنما حول القبلة إلى الكعبة ليتم إنعامه على محمد صلى الله عليه وسلم وأمته بإحياء شرائع إبراهيم/ ودينه على ما قال: ولأتم نعمتي عليكم [البقرة:." (١)

"ومما أنشد له:

فإن شئت حرمت النساء سواكم ... وإن شئت لم أشرب لقاحا ولابردا

وروي عن رجل قال: رأيت عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز على ثلاثة أحوال: رأيته في زمن أبيه بمكة وهو مسند ظهره إلى المنبر، وهو يدعو لبني أمية، ويثني عليهم، ثم رأيته أيام أبي جعفر المنصور بمكة، وهو مسند ظهره إلى المنبر، وهو يشتم بني أمية، ويثلبهم، ثم رأيته بعد ذلك بالسراقة، ومعه جملان يستقي عليهما.

كذا، ولعله أرادا بالسوارقية.

عبد العزيز بن عمير

أبو الفقير الخراساني الزاهد روى عن زيد بن أبي الزرقاء بسنده عن عمر قال: نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم – وفي رواية: نظر النبي صلى الله عليه وسلم – مصعب بن عمير مقبلا، عليه إهاب كبش، قد تنطق به، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " انظروا إلى هذا الذي نور الله قلبه، قد رأيته بين أبوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب، ولقد رأيت عليه حلة شراؤها بمائتي درهم، فدعاه حب الله ورسوله إلى ما ترون – وفي رواية: حب الله، وحب رسوله " وروى عن عطاء الأزرق،

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٣٤/٤

عن عبد الواحد بن زيد قال: قلت للحسن: يا أبا سعيد، من أين أتى هذا الخلق؟ قال: من قلة **الرضا عن الله** – عز وجل – قلت: فكيف أتوا من قلة **الرضا عن الله** – عز وجل – قال: من قلة المعرفة بالله – عز وجل." (١)

"قال بشر بن الحارث: قال لي الفضيل: يا بشر، **الرضا عن الله** أكبر من الزهد في الدنيا، قلت: يا أبا علي! كيف ذلك؟ قال: يكون العطاء والمنع في قلبك بمنزلة واحدة.

سأل رجل الفضيل فقال له: يا أبا علي، علمني الرضا. قال له الفضيل: يا بن أخي ارض عن الله، فرضاك عن الله يهب لك الرضا.

توفي للرشيد ابن فكتب إليه الفضيل: أما بعد يا أمير المؤمنين فإن استطعت أن يكون شكرك له حين أخذه منك أفضل من شكرك له حين وهبه لك؛ يا أمير المؤمنين إنه جل ثناؤه لما وهبه لك أخذ هبته، ولو بقي لم تسلم من فتنته، أرأيت جزعك عليه، وتلهفك على فراقه؟ أرضيت الدنيا لنفسك فترضاها لابنك؟ أما هو فقد خلص من الطدر، وبقيت أنت في الخطر.

رأى فضيل بن عياض رجلا يسأل في الموقف فقال له: أفي هذا الموضع تسأل غيرالله.

قال عبد الصمد بن يزيد: سمعت فضيل بن عياض يقول – وشكى إليه أهل المدينة القحط فقال: مدبرا غيرالله تريدون.

نظر الفضيل بن عياض إلى رجل يشكو إلى رجل حاله فقال: يا هذا! تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك!.

قال الشري: سمعت فضيلا يقول عن ابنة له توجعت كفها فعادها فقال لها: يا بنية، كيف كفك هذه؟ فقالت له: يا أبه قد بسط لي من ثوابها مالا أؤدي شكره عليه أبدا. فتعجب من حسن يقينها، قال الفضيل: فأنا عندها قاعد إذ أتاني ابن لي له ثلاث سنين، فقبلته وضممته إلى صدري، فقالت لي: يا أبه، سألتك بالله أتحبه؟ فقلت: إي والله يا بنية إني لأحبه، فقالت: يا سوأتاه! لك من الله يا أبه، إني ظننت أنك لا تحب مع الله غير الله، فقلت لها: أي بنية أفلا تحبون الأولاد؟ فقالت: المحبة للخالق والرحمة للأولاد.." (٢)

"طرح في النار، اعترض له جبريل عليه السلام فقال: هل من حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، قال: فسل من لك إليه الحاجة. فقال: أحب الأمرين إلي أحبهما إليه.

وقال أحمد بن حنبل: إن لكل شيء كرما، وكرم القلوب **الرضا عن الله** عز وجل.

كان أبو إبراهيم المزني يقول: أحمد بن حنبل أبو بكر يوم الردة، وعمر يوم السقيفة، وعثمان يوم الدار، وعلي يوم صفين.

قال الربيع: إن الشافعي خرج إلى مصر وأنا معه فقال لي: يا ربيع، خذ كتابي هذا وامض به، وسلمه إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل، وائتني بالجواب. قال الربيع: فدخلت بغداد، ومعي الكتاب، فلقيت أحمد بن حنبل صلاة الصبح، فصليت معه الفجر. فلما انفتل من المحراب سلمت إليه الكتاب وقلت له: هذا كتاب أخيك الشافعي من مصر، فقال أحمد: نظرت فيه؟ قلت: لا، فكسر أبو عبد الله الختم، وقرأ الكتاب، فتغرغرت عيناه بالدموع فقلت: إيش فيه يا أبا عبد الله؟! قال:

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ١٥٠/١٥

(٢) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ٣٠٩/٢٠

يذكر أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال له: اكتب إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل واقرأ عليه مني السلام وقل: إنك ستمتحن وتدعى إلى خلق القرآن فلا تجبهم، فسيرفع الله لك علما إلى يوم القيامة. قال الربيع: فقلت: البشارة، فخلع أحد قميصيه الذي يلي جلده ودفعه إلي فأخذته، وخرجت إلى مصر، وأخذت جواب الكتاب، فسلمته إلى الشافعي، فقال لي الشافعي: يا ربيع، إيش الذي دفع إليك؟ قلت: القميص الذي يلي جلده. قال الشافعي: ليس نفجعك به ولكن بله وادفع إلي الماء لأتبرك به. وفي رواية: حتى أشركك فيه.

قال أبو جعفر الأنصاري:

لما حمل أحمد بن حنبل يراد به المأمون، اجتزت فعبرت الفرات إليه، فإذا هو في الخان، فسلمت عليه فقال: يا أبا جعفر تعنيت! فقلت: ليس هذا عناء. قال: فقلت له: يا هذا أنت اليوم رأس والناس يقتدون بك، فوالله إن أجبت إلى خلق." (١)

"معهم على دعواهم فيها سوى ظن وخيال، ولا وجود لتلك الأحوال من الفناء والمحو والصحو والسكر إلا مجرد خطرات ووساوس، ما تفوه بعباراتهم صديق، ولا صاحب، ولا إمام من التابعين.

فان طالبتهم بدعاويهم مقتوك، وقالوا: محجوب، وإن سلمت لهم قيادك تخبط ما معك من الإيمان، وهبط بك الحال على الحيرة والمحال، ورمقت العباد بعين المقت، وأهل القرآن والحديث بعين البعد، وقلت: مساكين محجوبون.

فلا حول ولا قوة إلا بالله.

فإنما التصوف والتأله والسلوك والسير والمحبة ما جاء عن أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - من **الرضا عن الله**، ولزوم تقوى الله، والجهاد في سبيل الله، والتأدب بآداب الشريعة من التلاوة بترتيل وتدبر، والقيام بخشية وخشوع، وصوم وقت، وإفطار وقت، وبذل المعروف، وكثرة الإيثار، وتعليم العوام، والتواضع للمؤمنين، والتعزز على الكافرين، ومع هذا فالله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

والعالم إذا عري من التصوف والتأله، فهو فارغ، كما أن الصوفي إذا عري من علم السنة، زل عن سواء السبيل.

وقد كان ابن الأعرابي من علماء الصوفية، فتراه لا يقبل شيئا من اصطلاحات القوم إلا بحجة.

توفي بمكة في شهر ذي القعدة سنة أربعين وثلاث مائة.

وله أربع وتسعون سنة وأشهر.

أخبرنا علي بن أحمد العلوي، ومحمد بن الحسين القرشي، قالا:

أخبرنا محمد بن عماد، أخبرنا عبد الله بن رفاعة، أخبرنا علي بن الحسن." (٢)

"والعسل، ويحب جبل أحد، ويحب وطنه، ويحب الأنصار، إلى أشياء لا تحصى مما لا يغني المؤمن عنها قط.

وقال في "السير" "١٢/ ٢٨":

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ٣/٢٥٠

(٢) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ١٥/٤١٠

قال الحافظ شيخ الإسلام أبو سعيد بن الأعرابي البصري الصوفي: علم المعرفة غير محصور لا نهاية له ولا لوجوده، ولا لذوقه إلى أن قال –ولقد أحسن في المقال: فإذا سمعت الرجل يسأل عن الجمع أو الفناء، أو يجيب فيهما، فاعلم أنه فارغ، ليس من أهل ذلك إذ أهلهما لا يسألون عنه لعلمهم أنه لا يدرك بالوصف.

فعقب الذهبي –رحمه الله– "١٢/ ٢٨-٢٩":

قلت: إي والله، دققوا وعمقوا، وخاضوا في أسرار عظيمة، ما معهم على دعواهم فيها سوى ظن وخيال، ولا الوجود لتلك الأحوال من الفناء والمحو والصحو والسكر إلا مجرد خطرات ووساوس، وما تفوه بعباراتهم صديق ولا صاحب، ولا إمام من التابعين. فإن طالبتهم بدعاويهم مقتول، وقالوا: محجوب، وإن سلمت لهم قيادك تخبط ما معك من الإيمان، وهبط بك الحال على الحيرة والمحال، ورمقت العباد بعين المقت، وأهل القرآن، والحديث بعين البعد، وقلت: مساكين محجوبون فلا حول ولا قوة إلا بالله.

فإنما التصوف والتأله والسلوك والسير والمحبة ما جاء عن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من **الرضا عن الله**، ولزوم تقوى الله، والجهاد في سبيل الله، والتأدب بآداب الشريعة من التلاوة بترتيل وتدبر والقيام بخشية وخشوع، وصوم وقت، وإفطار وقت، وبذل المعروف، وكثرة الإيثار، وتعليم العوام، والتواضع للمؤمنين، والتعزز على الكافرين، ومع هذا فالله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

والعالم إذا عري من التصوف والتأله، فهو فارغ، كما أن الصوفي إذا عري من علم السنة، زل سواء السبيل.

وقد كان ابن الأعرابي من علماء الصوفية، فتراه لا يقبل شيئا من اصطلاحات القوم إلا بحجة.." (١)

"منه، والمعاملة كلها استعمال الأولى فالأولى، والرضى كله ترك الاعتراض، والعافية كلها سقوط التكلف بلا تكلف.

وكان –رحمه الله– قد صحب الجنيد، وأبا أحمد القلانسي.

وعمل تاريخا للبصرة لم أره، أما كتابه في طبقات النساك فنقلت منه.

ومن كلامه في ترجمة أبي الحسين النوري قال: مات وهم يتكلمون عنده في شيء، سكوتهم عنه أولى؛ لأنه شيء يتكهنون فيه، ويتعسفون بظنونهم، فإذا كان أولئك كذلك، فكيف بمن حدث بعدهم قال أيضا: إنما كانوا يقولون: جمع، وصورة الجمع عند كل أحد بخلافها عند الآخر، وكذلك صورة الفناء، وكانوا يتفقون في الأسماء، ويختلفون في معناها؛ لأن ما تحت الاسم غير محصور؛ لأنها من المعارف.

قال: وكذلك علم المعرفة غير محصور، لا نهاية له ولا لوجوده ولا لذوقه، إلى أن قال: ولقد أحسن في المقال، فإذا سمعت الرجل يسأل عن الجمع أو الفناء، أو يجيب فيهما، فاعلم أنه فارغ ليس من أهل ذلك؛ إذ أهلهما لا يسألون عنه؛ لعلمهم أنه لا يدرك بالوصف.

قلت: إي والله، دققوا وعمقوا وخاضوا في أسرار عظيمة، ما معهم على دعواهم فيها سوى ظن وخيال، ولا وجود لتلك الأحوال من الفناء والمحو والصحو والسكر إلا مجرد خطرات ووساوس، ما تفوه بعباراتهم صديق ولا صاحب ولا إمام من

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الحديث الذهبي، شمس الدين ٦٩/١

التابعين، فان طالبتهم بدعاويهم مقتوك وقالوا: محجوب، وإن سلمت لهم قيادك تخبط ما معك من الإيمان، وهبط بك الحال على الحيرة والمحال، ورمقت العباد بعين المقت، وأهل القرآن والحديث بعين البعد، وقلت: مساكين محجوبون. فلا حول ولا قوة إلا بالله.

فإنما التصوف والتأله والسلوك والسير والمحبة ما جاء عن أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم؛ من **الرضا عن الله،** ولزوم تقوى الله، والجهاد في سبيل الله، والتأدب بآداب الشريعة من التلاوة بترتيل وتدبر، والقيام بخشية وخشوع، وصوم وقت وإفطار وقت، وبذل المعروف، وكثرة الإيثار، وتعليم العوام، والتواضع للمؤمنين، والتعزز على الكافرين، ومع هذا، فالله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

والعالم إذا عري من التصوف والتأله فهو فارغ، كما أن الصوفي إذا عري من علم السنة زل عن سواء السبيل.." (١)

"[فصل في أخبار العابدات والعابدين والزهاد]

) قال الحسن بن الليث الرازي قيل لأحمد يجيئك بشر يعنون ابن الحارث قال لا، تعنون الشيخ نحن أحق أن نذهب إليه قيل له نجيء بك قال لا أكره أن يجيء إلي أو أذهب إليه فيتصنع لي وأتصنع له فنهلك.

وقال المروذي سمعت أبا عبد الله وذكر بشر بن الحارث فقال لقد كان فيه أنس، وقال ما كلمته قط نقلته من الورع.

وقد قال البيهقي في مناقب الإمام أحمد أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو بكر بن أبي درام الحافظ بالكوفة حدثني أبو محمد المقري البغدادي ثنا جعفر بن محمد صاحب بشر قال: اعتل بشر بن الحارث فعادته آمنة الرملية من الرملة فإنها لعنده إذ دخل أحمد بن حنبل يعوده فقال من هذه؟ فقال: هذه آمنة الرملية بلغها علتي فجاءت من الرملة تعودني، فقال: فسلها تدعو لنا.

فقالت: اللهم إن بشر بن الحارث وأحمد بن حنبل يستجيرانك من النار فأجرهما قال أحمد: فانصرفت فلما كان في الليل طرحت إلي رقعة فيها مكتوب: باسم الله الرحمن الرحيم، قد فعلنا ولدينا مزيد.

وقال المروذي قال أبو عبد الله: جاءتني امرأة من هؤلاء المتعبدات فأخبرتني عن امرأة أخرى أنها عمدت إلى بيتها ففوتته على نفسها واقتصرت على قرصين وتركت الدنيا وهي تسألك أن تدعو لها قال: فقلت لها قولي لصاحبة القرصين تدعو لي.

وقال المروذي: سمعت أبا عبد الله يقول: ما أعدل بفضل الفقر شيئا أتدري إذا سألك أهلك حاجة لا تقدر عليها أي شيء لك من الأجر؟ ما قل من الدنيا كان أقل للحساب.

وقال المروذي سمعت أحمد يقول إن لكل شيء كرما وكرم القلب **الرضا عن الله** تعالى، سمعت أبا عبد الله يقول لشجاع بن مخلد يا أبا الفضل إنما هو طعام دون طعام ولباس دون لباس، وإنها أيام قلائل.." (٢)

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الحديث الذهبي، شمس الدين ١٢/٢٨

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح، شمس الدين ٢/٢٤٩

"وقال ابن مسعود: لأن أخر من السماء أحب إلي من أن أقول لشيء قضاه الله: ليته لم يكن] .

قال أبو بكر الرازي: اشتملت الآية الكريمة على حكمين فرض ونفل.

أما الفرض فهو التسليم لأمر الله تعالى، والرضا بقضائه، والصبر على أداء فرائضه، لا يصرف عنها مصائب الدنيا.

وأما النفل فإظهارا لقول: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ .

[ذكروا من قول هذه الكلمة فوائد.

منها: الاشتغال بهذه الكلمة عن كلام لا يليق.

ومنها: أنها تسلي قلب المصاب، وتقلل حزنه.

ومنها: تقطع طمع الشيطان في أن يوافقه في كلام لا يليق.

ومنها أنه إذا سمعه غيره اقتدى به.

ومنها: أنه إذا قال بلسانه في قلبه الاعتقاد الحسن، فإن الحساب عند المصيبة، فكان هذا القول مذكرا له التسليم لقضاء الله وقدره] .

فإن في إظهاره فوائد جزيلة:

مناه أن غيره يقتدي به إذا سمعه.

ومنها غبط الكفار، وعلمهم بجده واجتهاد في دين الله، والثبات عليه وعلى طاعته.

وحكي عن بعضهم أنه قال: الزهد في الدنيا ألا يحب البقاء فيها، وأفضل الأعمال **الرضا عن الله**، ولا ينبغي للمسلم أن يحزن؛ لأنه يعلم أن لكل مصيبة ثوابا.

قوله تعالى: «أولئك» مبتدأ، و «صلوات» مبتدأ ثان، و «عليهم» خبره مقدم عليه، والجملة خبر قوله: «أولئك» .

ويجوز أن تكون «صلوات» فاعلا بقوله: «عليهم» .

قال أبو البقاء: لأنه قد قوي بوقوعه خبرا.

والجملة من قوله «أولئك» وما بعده خبر «الذين» على أحد الأوجه المتقدمة، أو لا محل لها على غيره من الأوجه.

و «قالوا» هو العامل في «إذا» ؛ لأنه جوابها وتقدم الكلام في ذلك وأنها هل تقتضي التكرار أم لا؟." (١)

"صلى الله عليه وسلم فيما أمره به، وفيما نهاه عنه، وكان مما جاء به تحريم هذه الأفعال والأقوال المنكرة التي تقدم ذكرها: بل «العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول ما يسخط ربنا» .

فإذا سمع المصاب ذلك، فأطاع وانقاد، حصلت له السعادة الأبدية باتباعه الرسول في أقواله وأفعاله، لقوله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا..

﴾ الآية.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٨٨/٣

فصل ـ فيما يفعله الإنسان إذا أحس بدنو أجله

والذي ينبغي أولا، لمن غاب على الظن أنه يصاب بالموت في مرضه، أن يعامل بأحسن المعاملات، بما ينفعه في قبره ويوم معاده، فيذكره الآخرة، ويأمره بالوصية والتوبة، ويلقنه شهادة أن لا إله إلا الله، لتكون آخر كلامه.

ويكون قبل ذلك قد نهى من لطم الخدود وشق الثياب وتمزيقها، ونتف الشعر، ورفع الصوت بالندب والنياحة، وغير ذلك من قول وفعل منكر، ويكون مع ذلك، في هذه الحالة، رجاؤه بالله أكثر من خوفه، وهو كثير الحمد والاسترجاع **والرضا عن الله** عز وجل.

وقد روى ابن أبي الدنيا بإسناده، «عن محمد بن مسلمة، قال: بلغني أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، أوصني ولا تكثر علي، قال: لا تتهم الله عز وجل في شيء قضاه لك» .

وروى أيضا بإسناده، «قال لعائشة ـ رضي الله عنها ـ: ما كان أكثر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته إذا خلا؟ قالت: كان أكثر كلامه إذا خلا في بيته: ما يقضى من أمر يكن» .

فهذا رسول رب العالمين يقول هذه المقالة، وهو أعرف الخلق، وأعلمهم بالله، فإذا وطن العبد نفسه على أن ما يقضي من أمر يكن لا محالة، فإتعاب النفس والبدن في ما لا يجدي شيئا ليس من حصافة العقل، ويعلم أن الدنيا موضوعة على الكدر، فالبناء إلى نقض، والجميع إلى تفريق، ومن رام بقاء ما لا يبقى كان." (١)

"تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي الرب» ، وكذلك الحمد والاسترجاع.

وقد تقدم.

ومن سنته: **الرضا عن الله** في المصيبة وغيرها، ولم يكن ذلك منافيا لدمع العين وحزن القلب.

وأشد الناس حرصا على رضى مولاهم الأنبياء، فقد روى ابن أبي الدنيا بإسناده، «عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إنا معشر الأنبياء يضاعف علينا البلاء تضعيفا، قال: فقلنا سبحان الله! قال: أفعجبتم؟ إن أشد الناس بلاء الأنبياء والصالحون، الأمثل فالأمثل.

قلنا سبحان الله! قال: أفعجبتم؟ إن كان النبي من الأنبياء، ليتدرع العباءة من الحاجة، لا يجد غيرها، قلنا: سبحان الله! قال: أفعجبتم؟ إن كانوا ليفرحون بالبلاء، كما تفرحون بالرخاء» .

ولهذا كان أرضاهم، وأرضى الخلق عن الله، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في قضائه وقدره، وأعظمهم له حمدا، ولم يمكنني حصر ما وقع له في ذلك لكثرته وشهرته، ومع ذلك بكى يوم مات ابنه إبراهيم ـ عليه السلام ـ رأفة ورحمة منه للولد، ورقة عليه، وقلبه صلى الله عليه وسلم ممتلئ **بالرضا عن الله** تعالى وشكره له، واللسان مشتغل بحمده وذكره.

ولما ضاق هذا المشهد والجمع بين الأمرين ـ يعني رحمة الولد والرقة عليه **والرضا عن الله** تعالى ـ على أن بعض العارفين من السلف، يوم مات ولده، جعل يضحك، فقيل له: تضحك في مثل هذه الحال؟ فقال: إن الله تعالى قضى بقضاء فأحببت أن أرضى بقضائه.

---

(١) تسلية أهل المصائب المنبجي ص/٥٤

فأشكل هذا على جماعة من العلماء وأرباب الأحوال والتصوف، وقالوا: كيف يبكي رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم يوم مات ولده، وهو أرضى الخلق عن الله، ويبلغ الرضا بهذا العارف إلى أن ضحك يوم مات ولده؟!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: هدي نبينا صلى الله عليه وسلم أكمل من هدي هذا العارف، فإنه أعطى صلى الله عليه وسلم العبودية حقها، فاتسع قلبه للرضا عن الله ورحمة الولد والرقة عليه، فحمد الله ورضي عنه في قضائه، وبكى رحمة ورقة، فحملته الرحمة على البكاء، وعبوديته لله ومحبته له على الرضا والحمد، وهذا العارف ضاق قلبه عن." [1]

"وقيل له: أما تخاف الفقر؟ فقال: أنا أخاف الفقر ومولاي له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى؟!

ودفع إلى علي بن الموفق ورقة، فقرأها فإذا فيها: يا علي بن الموفق أتخاف الفقر وأنا ربك؟

وقال الفضيل بن عياض (١) : أصل الزهد **الرضا عن الله** – عز وجل –. وقال: القنوع هو الزهد، وهو الغنى.

فمن حقق اليقين، وثق بالله في أموره كلها، ورضي بتدبيره له، وانقطع عن التعلق بالمخلوقين رجاء وخوفا، ومنعه ذلك من طلب الدنيا بالأسباب المكروهة، ومن كان كذلك، كان زاهدا في الدنيا حقيقة، وكان من أغنى الناس، وإن لم يكن له شيء من الدنيا كما قال عمار: كفى بالموت واعظا، وكفى باليقين غنى، وكفى بالعبادة شغلا (٢) .

وقال ابن مسعود: اليقين: أن لا ترضي الناس بسخط الله، ولا تحمد أحدا على رزق الله، ولا تلم أحدا على ما لم يؤتك الله، فإن الرزق لا يسوقه حرص حريص، ولا يرده كراهة كاره، فإن الله تبارك وتعالى – بقسطه وعلمه وحكمه – جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط (٣) .

وفي حديث مرسل أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يدعو بهذا الدعاء: ((اللهم إني أسألك إيمانا يباشر قلبي، ويقينا (٤) صادقا (٥) حتى أعلم أنه لا يمنعني رزقا قسمته لي، ورضني من المعيشة بما قسمت لي)) (٦) .

---

(١) أخرجه: الدينوري في " المجالسة " (٩٦٠) و (٣٠٤٥) ، وأبو عبد الرحمان السلمي في " طبقات الصوفية ": ١٠.

(٢) أخرجه: البيهقي في " شعب الإيمان " (١٠٥٥٦) عن عمار بن ياسر، مرفوعا.

(٣) أخرجه: ابن أبي الدنيا في " اليقين ": ١١٨، والبيهقي في " شعب الإيمان " (٢٠٩) .

(٤) في (ص) : ((ولسانا)) .

(٥) ((صادقا)) سقطت من (ص) .

(٦) أخرجه: ابن أبي الدنيا في " اليقين ": ١١٢.." [2]

---

[1] تسلية أهل المصائب المنبجي ص/١٥٧

[2] جامع العلوم والحكم ت ماهر الفحل ابن رجب الحنبلي ٢/٨٥٩

"ودفع إلى علي بن الموفق ورقة، فقرأها فإذا فيها: يا علي بن الموفق أتخاف الفقر وأنا ربك؟ .

وقال الفضيل بن عياض: أصل الزهد الرضا عن الله عز وجل. وقال: القنوع هو الزاهد وهو الغني.

فمن حقق اليقين، وثق بالله في أموره كلها، ورضي بتدبيره له، وانقطع عن التعلق بالمخلوقين رجاء وخوفا، ومنعه ذلك من طلب الدنيا بالأسباب المكروهة، ومن كان كذلك كان زاهدا في الدنيا حقيقة، وكان من أغنى الناس، وإن لم يكن له شيء من الدنيا كما قال عمار: كفى بالموت واعظا، وكفى باليقين غنى، وكفى بالعبادة شغلا.

وقال ابن مسعود: اليقين أن لا ترضي الناس بسخط الله، ولا تحمد أحدا على رزق الله، ولا تلم أحدا على ما لم يؤتك الله، فإن الرزق لا يسوقه حرص حريص، ولا يرده كراهة كاره، فإن الله تبارك وتعالى - بقسطه وعلمه وحكمه - جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط.

وفي حديث مرسل أن «النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك إيمانا يباشر قلبي، ويقينا [صادقا] حتى أعلم أنه لا يمنعني رزقا قسمته لي، ورضني من المعيشة بما قسمت لي» .

وكان عطاء الخراساني لا يقوم من مجلسه حتى يقول: اللهم هب لنا يقينا منك حتى تهون علينا مصائب الدنيا، وحتى نعلم أنه لا يصيبنا إلا ما كتبت." (١)

"الجنائز (١)، وحديث البراء أخرجه (٢).

إذا عرفت ذلك فالكلام عليه من أوجه:

أحدها:

الثلاثة داخلة في حيز الكثرة، وقد يصاب المؤمن فيكون في إيمانه من القوة ما يصبر للمصيبة، ولا يصبر لترادادها عليه، فلذلك صار من تكررت عليه المصائب صبره أولى بجزيل الثواب، والولد من أجل ما يسر به الإنسان، لقد يرضى أن يفديه بنفسه، هذا هو المعهود في الناس والبهائم، فلذلك قصد الشارع إلى إعلاء المصائب والحض على الصبر عليها، وقد روي عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم إلا كانوا له جنة من النار" (٣) ومعنى الحسبة: الصبر لما ينزل به، والاستسلام لقضاء الله عليه، فإذا طابت نفسه على الرضا عن الله في فعله استكمل جزيل الأجر.

وقد جاء أنه ليس شيء من الأعمال يبلغ مبلغ الرضا عن الله في جميع النوازل، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [المائدة: ١١٩] يريد: رضي أعمالهم، ورضوا عنه بما أجرى عليهم من قضائه وما أجزل لهم من عطائه.

ثانيها:

معنى: "لم يبلغوا الحنث": لم يبلغوا أن تجري عليهم الأقلام

---

(١) سلف برقم (١٢٤٨) باب: فضل من مات له ولد فاحتسب.

---

(١) جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط ابن رجب الحنبلي ١٨١/٢

(٢) بياض في الأصل بمقدار نصف سطر.

(٣) رواه مالك في "موطئه" من حديث أبي النضر السلميص ١٦٢ (٣٩) كتاب: الجنائز، باب: الحسبة بالمصيبة بالولد وغيره، وابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" ٤/ ١٨٥ (٢١٦٦).." (١)

"حقيقته: أن ترى الأمور كلها من الله - تعالى - رؤية تقطع الالتفات إلى الأسباب والوسائط، فلا ترى الخير والشر إلا منه تعالى، وهذا المقام يثمر التوكل، وترك شكاية الخلق، وترك لومهم، والرضا عن الله - تعالى -، والتسليم لحكمه.

وإذا عرفت ذلك فاعلم أن الربوبية منه تعالى لعباده، والتأله من عباده له سبحانه، كما أن الرحمة هي الوصلة بينهم وبينه عز وجل.

واعلم أن أنفس الأعمال وأجلها قدرا: توحيد الله - تعالى -، غير أن التوحيد له قشرتان:

الأولى: أن تقول بلسانك: لا إله إلا الله، ويسمى هذا." (٢)

"جدك يزيد بن أسد كان مع معاوية بصفين، وعرض دونه دمه وديته، فما اصطنع عنده، ولا أولاه ما اصطنع إليك أمير المؤمنين.

وقال أبو الفرج الأصبهاني: خرج يزيد بن أسد في أيام عمر في بعوث المسلمين إلى الشام، فكان بها، وكان مطاعا في أهل اليمن، عظيم الشأن، وجهه معاوية لنصرة عثمان في أربعة آلاف، فجاء إلى المدينة، فوجد عثمان قد قتل، فلم يحدث شيئا، وشهد صفين مع معاوية، ولم يكن لعبد الله بن يزيد نباهة كأبيه.

وقال المبرد: كان عبد الله بن يزيد في الثقات من عقلاء الرجال، قال له عبد الملك ابن مروان: ما مالك؟ قال: شيئان لا عيلة علي معهما: الرضا عن الله تعالى، والغنى عن الناس.

وذكر ابن حبان عبد الله بن يزيد في الثقات.

وقال ابن سعد: لم ينزل يزيد بن الأسود الكوفة، ولا اختط بها، وإنما اختط بها خالد.

وقال ابن المبارك في «الزهد» : أنبأنا أبو بكر بن عياش، قال: دخل عبد الله بن يزيد بن أسد على معاوية وهو في مرضه الذي مات فيه، فرأى منه جزعا، فقال: يا أمير المؤمنين، ما يجزعك؟ إن مت فإلى الجنة، وإن عشت فقد علمت حاجة الناس إليك.

فقال: رحم الله أباك، إنه كان لنا لناصحا، نهاني عن قتل ابن الأدبر يعني حجر بن عدي.

٩٢٥٠- يزيد بن الأسود:

ويقال ابن أبي «١» الأسود العامري، ويقال الخزاعي، حليف قريش.

قال ابن سعد: مدني. وقال خليفة: سكن الطائف.

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ١٦٧/١٠

(٢) تجريد التوحيد المفيد المقريزي ص/٦

روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه صلى خلفه، فكان إذا انصرف انحرف.

روى عنه جابر بن يزيد ولده، وحديثه في السنن الثلاثة بهذا وغيره. وصححه الترمذي.

٩٢٥١- يزيد بن الأسود:

بن سلمة بن حجر بن وهب الكندي.

---

(١) أسد الغابة ت (٥٥٢٤) ، تجريد أسماء الصحابة ٢/ ١٣٤، الاستيعاب ت (٢٧٩٢) ، الثقات ٣/ ٤٤٢- ٥/ ٥٣٢، العقد الثمين ٧/ ٤٦٠، الطبقات ٢٨٥، تهذيب التهذيب ١١/ ٣١٣، الأعلمي ٣٠/ ١٢٤، تقريب التهذيب ٢/ ٣٦٢، الجرح والتعديل ٤/ ٢٥٠- ٩/ ١٠٤٧، الكاشف ٣/ ٢٧٤، خلاصة تذهيب ٣/ ١٦٦، الأنساب ٣/ ٢٤٦، تهذيب الكمال ٣/ ٦٥٢٩، تلقيح فهوم أهل الأثر ٣٧٢، التاريخ الكبير ٨/ ٣١٨، بقي بن مخلد ٢٩٠، علوم الحديث لابن الصلاح ٣٣٤، البداية والنهاية ٨/ ٣٢٤، المعرفة والتاريخ ٢/ ٣١٦، ٣٨٠، مشاهير علماء الأمصار ٩١٥.." (١)

"الحسن، والحسين، ومحمدا، فقال: أوصيكم بتقوى الله في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، والعدل على الصديق والعدو، والعمل في النشاط والكسل، **والرضا عن الله** في الشدة والرخاء يا بني، ما شر بعده الجنة بشر، ولا خير بعده النار بخير، وكل نعيم دون الجنة حقير، وكل بلاء دون النار عافية، من أبصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره، ومن رضي بقسم الله لم يحزن على ما فاته، ومن سل سيف بغي قتل به، ومن حفر لأخيه بئرا وقع فيها، ومن هتك حجاب أخيه، كشف الله عورات بنيه، ومن نسي خطيئته، استعظم خطيئة غيره، ومن استغنى بعقله زل، ومن تكبر على الناس ذل، ومن أعجب برأيه ضل. ومن جالس العلماء وقر، ومن خالط الأنذال احتقر، ومن دخل مداخل السوء اتهم، ومن مزح استخف به، ومن أكثر من شيء عرف به، ومن كثر كلامه كثر خطؤه، ومن كثر خطؤه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار، يا بني، الأدب خير ميراث، وحسن الخلق خير قرين، يا بني، العافية عشرة أجزاء: تسعة منها في الصمت إلا عن ذكر الله، وواحد في ترك مجالسة السفهاء، يا بني، زينة الفقر الصبر، وزينة الغنى الشكر، يا بني، لا شرف أعز من الإسلام، ولا كرم أعز من التقوى، يا بني، الحرص مفتاح البغي، ومطية النصب، طوبى لمن أخلص لله عمله وعلمه، وحبه وبغضه، وأخذه وتركه، وكلامه وصمته، وقوله وفعله. انتهى.
والوكيل: القائم بالأمور، المنفذ فيها ما رآه، وقوله: أيها الناس: مخاطبة للحاضرين من العرب، وتوقيف للسامعين لتحضر أذهانهم، وقوله: بآخرين يريد من نوعكم، وتحتمل الآية أن تكون وعيدا لجميع بني آدم، ويكون الآخرون من غير نوعهم كالملائكة، وقول الطبري «١» : «هذا الوعيد والتوبيخ للشافعين والمخاصمين في قصة بني أبيرق» - بعيد، واللفظ إنما يظهر حسن رصفه بعمومه وانسحابه على العالم جملة، أو العالم الحاضر.

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ابن حجر العسقلاني ٥٠٧/٦

[سورة النساء (٤) : الآيات ١٣٤ الى ١٣٥]

من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا (١٣٤) يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا (١٣٥)

---

(١) ينظر الطبري (٤/ ٣١٨) .." (١)

"فبكت الملائكة فقال الله تعالى قل له يلقي التراب من فمه فقد غفرت له وأذنت بالبكاء ولكن لا يشكون إلى غيري وقال بعض العارفين الصبر له باب مفتوح إلى الثناء والثناء له باب مفتوح إلى العطاء والعطاء له باب مفتوح إلى الجزاء والجزاء له باب مفتوح إلى البقاء والبقاء له باب مفتوح إلى اللقاء وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ومن نظر إلى الله فقد رضي الله عنه ... حكاية قال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه رأيت رب العزة في المنام فقال قل اللهم أرضني برضائك وصبرني على بلائك وأوزعني أي ألهمني شكر نعمائك وخرج يوما إلى الحج ماشيا فرآه رجل على ناقته فقال له إلى أين يا إبراهيم قال أريد الحج قال أين الراحلة فإن الطريق بعيد قال لي مراكب كثيرة ولكن لا تراها قال ما هي قال إذا نزلت مصيبة ركبت مركب الصبر وإذا نزلت نعمة ركبت مركب الشكر وإذا نزل القضاء ركبت مركب الرضاء وإذا دعتني نفسي إلى شيء علمت أن ما في من الأجل أقل مما مضى فقال سر بإذن الله فأنت الراكب وأنا الماشي وقال الفضيل رضي الله عنه **الرضا عن الله** درجة المقربين إلى الله ليس بينها وبين الله إلا روح وريحان وقال قتادة الروح الرحمة وقرا يعقوب من العشرة فروح بضم الراء أي يخرج روح المؤمن في الريحان والباقون في فروح بفتح الراء أي الراحة قيل هو الريحان الذي يشم وقال ابن عباس كل ريحان في القرآن فهو الرزق قال بعضهم من حسن الرضا بقضاء الله أن لا يقول هذا يوم حار في معرض الشكاية وقول أيوب مسني الضر فيه إظهار الافتقار لن عدم المبالاة بالبلاء مقاومة للمقدور ... فائدة عن بعض الصالحين أنه حبسه بعض الخلفاء وأقسم أن يضرب عنقه فقال له رجل في النوم اكتب ورقة فيها بسم الله الرحمن الرحيم من العبد إلى الرب الجليل أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فبحق محمد وآل محمد اكشف همي وحزني وفرج عنى واطرح الورقة في اليم ... مسألة الرضا بقضاء الله واجب وبغض المعصية واجب ولا شك أنها بقضاء الله فكراهتها كراهة لقضاء الله فكيف السبيل إلى الجمع بين الرضا والكراهية في شيء واحد فالجواب يتضح بمثال ذكره الإمام الغزالي رضي الله عنه في الأحياء فهو أن يكون لك عدوان أحدهما عدو للآخر فيموت أحدهما فتكره موته لأنه ساع في هلاك عدوك الآخر وترضاه لأنه عدوك فكذلك المعصية لها وجهان وجه إلى الله لكونها بقضائه فترضى بها من هذا الوجه تسلما لقضائه ورجه إلى العبد لكونها من كسبه وسببا لبعده عن ربه فهذا الوجه تكره المعصية.

فصل في الأدب

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٢/٣١١

قال الله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا قال الإمام علي رضي الله عنه أي أدبوهم وعلموهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم رواه ابن ماجه وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأن يؤدب أحدكم ابنه خير له من أن يتصدق بصاع طعام فجعل تأديب الابن أعلى من الصدقة حكاه ابن أبي جمرة في شرح البخاري ... فائدة قال الرازي في قوله تعالى وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني الآية أسئلة: الأولى: أأنت استفهام وهو على الله لا يجوز لأنه علام الغيوب جوابه أن الاستفهام بمعنى الإنكار.. الثاني: أنه سبحانه يعلم أن عيسى." (١)

"١٥١- سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، بدون تاريخ.

أبو داود الطيالسي: سليمان بن داود بن الجارود (ت ٢٠٤هـ) :

١٥٢- المسند، دار المعرفة، بيروت، توزيع دار الباز، بدون تاريخ.

ابن أبي داود: أبو بكر عبد الله بن أبي داود (ت ٣١٦هـ) :

١٥٣- المصاحف، دارالكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

الدردير: أحمد بن محمد (ت ١٢٠١هـ) :

١٥٤- الشرح الصغير مع بلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأخيرة، ١٣٧٢هـ.

ابن أبي الدنيا: أبو بكر عبد الله بن محمد البغدادي (ت ٢٨١هـ) :

١٥٥- الإشراف في منازل الأشراف، تحقيق مجدي السيد، مكتبة القرآن، القاهرة، بدون تاريخ.

١٥٦- إصلاح المال، تحقيق مصطفى مفلح القضاة، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

١٥٧- الأهوال، تحقيق مجدي فتحي السيد، مكتبة آل ياسر، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

١٥٨- التواضع والخمول، تحقيق لطفي محمد الصغير، دار الاعتصام، القاهرة، بدون تاريخ.

١٥٩- **الرضا عن الله** بقضائه، تحقيق ضياء الحسن السلفي، بومباي، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

١٦٠- الصمت وآداب اللسان، تحقيق نجم عبد الرحمن خلف، دار الغرب الإسلام، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٦١- الغيبة والنميمة، تحقيق عمرو علي عمر، الدار السلفية، بومباي، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.." (٢)

"عنه- "ولأحدهم كان أشد فرحا بالبلاء من أحدكم بالعطاء". وروى أحمد١ وغيره٢، عن رجل من بني سليم٣ مرفوعا: "إن الله تعالى يبتلي العبد فيما أعطاه، فإن رضي بما قسم الله له بورك له، ووسعه الله، وإن لم يرضى لم يبارك له، ولم يزد على ما كتب له". وفي الحديث القدسي، والكلام الإنسي: "من لم يرضى بقضائي، ولم يصبر على بلائي، ولم يشكر على نعمائي، فليلتمس ربا سواي"٤.

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس الصفوري ٧٩/١

(٢) محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ابن المِبْرَد ١١٠٧/٣

١ مسند أحمد٥/٢٤.

٢ رواه أيضا: ابن أبي الدنيا في كتابه: **الرضا عن الله** بقضائه ص ٨٢ رقم (٥٤) ، وأبو نعيم في الحلية٢/٢١٣، والبيهقي في الشعب/ باب الصبر على المصائب٧/١٢٥-١٢٦، رقم (٩٧٢٥) . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٢٥٧، ورجاله رجال الصحيح، ورمز له السيوطي في: الجامع الصغير١/٧٤ بالصحة.

٣ جهالة الصحابي الراوي لا تقدح في صحة الحديث، إذ أن الصحابة عدول كلهم.

قال ابن كثير – رحمه الله – في كتابه: اختصار علوم الحديث ص ١٨١: والصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة، لما أثنى الله عليهم في كتابه العزيز، وبما نطقت به السنة النبوية في المدح لهم في جميع أخلاقهم وأفعالهم، وما بذلوه من الأرواح والأموال بين يدي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رغبة فيما عند الله – عز وجل– من الثواب الجزيل، والجزاء الجميل.

٤ الحديث ورد من طريق أبي هند الداري. رواه الطبراني في الكبير٢٢/٣٢٠، رقم (٨٠٧) ، وابن حبان في كتاب المجروحين١/٣٢٧، والديلمي في مسند الفردوس٣/١٦٩، رقم (٤٤٤٩) .

قال الهيثمى في مجمع الزوائد ٧/٢٠٧: فيه سعيد بن زياد بن هند، وهو متروك، ورمز له السيوطي في الجامع الصغير٢/٨١ بالضعف، وضعفه الحافظ ابن حجر، انظر: الإصابة ٤/٢١٢، كما أورده المصنف في كتابه الأحاديث القدسية ٣٨، وضعف إسناده.." (١)

"**الرضا عن الله** بقضائه لابن أبي الدنيا: الطبعة الأولى (١٤١٠هـ) . الدار السلفية. روح المعاني. للآلوسي. دار الفكر: بيروت (١٣٩٨ هـ) .

زاد المسير في علم التفسير. لابن الجوزي: الطبعة الرابعة (١٤٠٧ هـ) . المكتب الإسلامي.

زاد المعاد في هدى خير العباد. للعلامة ابن القيم: الطبعة السابعة (١٤٠٥هـ) .

الزهد، للإمام هناد بن السري الطبعة الأولى (١٤٠٦هـ) .

سلسلة الأحاديث الصحيحة. للألباني: الطبعة الأولى (١٤١٢ هـ) .

سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، للألباني. الطبعة الخامسة (١٤١٢ هـ) . سمط النجوم العوالي، للعصامي: الطبعة الأولى. المطبعة السلفيه.

سنن ابن ماجة. بيروت (١٣٩٥هـ) : تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

سنن أبي داود، الطبعة الأولى (١٣٨٩هـ) . دمشق.

سنن الترمذي. ستة (١٤٠٠ هـ) . بيروت.

سنن الدارقطني. مطبعة الأنصاري: الهند. (١٣١٠هـ) .

سنن الدارمي: تحقيق عبد الله هاشم، الباكستان.

السنن الكبرى، للإمام البيهقي. دار الفكر، (١٣٥٤ هـ) .

---

(١) تسلية الأعمى عن بلية العمى الملا على القاري ص/٢٢

سنن النسائي (الكبرى) : الطبعة الأولى (١٤١١ هـ) . بيروت.

سير أعلام النبلاء للإمام للذهبي: الطبعة الثانية (١٤٠٢هـ) . مؤسسة الرسالة.

شأن الدعاء، للإمام الخطابي: الطبعة الأولى.

شرح السنة. للإمام البغوي: الطبعة الأولى، (١٣٩٠ هـ) .

شعب الإيمان. للإمام البيهقي: الطبعة الأولى. (١٤١٥هـ) .

الشكر. لابن أبي الدنيا: تحقيق طارق الطنطاوي. مكتبة القرآن. القاهرة.

صحيح ابن حبان: الإحسان.

صحيح البخاري. مع حاشية السندي: (١٩٧٨م) . بيروت.

صحيح الجامع الصغير. للألباني: الطبعة الثالثه (١٤٠٨هـ) .

صحيح مسلم: تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت.." (١)

"-[١٤٦]- ١٥٣٧ - (اللهم بعلمك الغيب) الباء للاستعطاف والتذلل أي أنشدك بحق علمك ما خفي على خلقك مما استأثرت به (وقدرتك على الخلق) أي جميع المخلوقات من إنس وجن وملك وغيرها (أحيني ما علمت الحياة خيرا لي وتوفني إذا علمت الوفاة خيرا لي) عبر بما في الحياة لاتصافه بالحياة حالا وبإذا الشرطية في الوفاة لانعدامها حال التمني أي إذا آل الحال أن تكون الوفاة بهذا الوصف فتوفني (اللهم وأسألك خشيتك) عطف على محذوف واللهم معترضة (في الغيب والشهادة) أي في السر والعلانية أو المشهد والمغيب فإن خشية الله رأس كل خير والشأن في الخشية في الغيب لمدحه تعالى من يخافه بالغيب (وأسألك كلمة الإخلاص) أي النطق بالحق (في الرضا والغضب) أي في حالتي رضا الخلق مني وغضبهم علي فيما أقوله فلا أداهن ولا أنافق أو في حالتي رضاي وغضبي بحيث لا تلجئني شدة الغضب إلا النطق بخلاف الحق ككثير من الناس إذا اشتد غضبه أخرجه من الحق إلى الباطل (وأسألك القصد) أي التوسط (في الغنى والفقر) وهو الذي ليس معه إسراف ولا تقصير فإن الغنى يبسط اليد ويطغيء النفس والفقر يكاد أن يكون كفرا فالتوسط هو المحبوب المطلوب (وأسألك نعيما لا ينفد) أي لا ينقضي وذلك ليس إلا نعيم الآخرة (وأسألك قرة عين) بكثرة النسل المستمر بعدي أو بالمحافظة على الصلاة لقوله وجعلت قرة عيني في الصلاة (لا تنقطع) بل تستمر ما بقيت الدنيا وقيل أراد قرة عينه أي بدوام ذكره وكمال محبته والأنس به. قال بعضهم: من قرت عينه بالله قرت به كل عين (وأسألك الرضا بالقضاء) أي بما قدرته لي في الأزل لأتلقاه بوجه منبسط وخاطر منشرح وأعلم أن كل قضاء قضيته خير فلي فيه خير. قال العارف الشاذلي: البلاء كله مجموع في ثلاث خوف الخلق وهم الرزق والرضا عن النفس والعافية والخير مجموع في ثلاث الثقة بالله في كل شيء **والرضا عن الله** في كل شيء واتقاء شرور الناس ما أمكن (وأسألك برد العيش بعد الموت) برفع الروح إلى منازل السعداء ومقامات المقربين والعيش في هذه الدار لا يبرد لأحد بل محشو بالغصص والنكد والكدر ممحوق بالآلام الباطنة والأسقام الظاهرة (وأسألك لذة النظر إلى وجهك) أي الفوز بالتجلي الذاتي الأبدي الذي لا حجاب بعده ولا

---

(١) تسلية الأعمى عن بلية العمى الملا على القاري ص/٩٣

مستقر للكمل دونه وهو الكمال الحقيقي قيد النظر باللذة لأن النظر إلى الله إما نظر هيبة وجلال في عرصات القيامة أو نظر لطف وجمال في الجنة إيذانا بأن المسؤول هذا (والشوق إلى لقائك) قال ابن القيم: جمع في هذا الدعاء بين أطيب ما في الدنيا وهو الشوق إلى لقائه وأطيب ما في الآخرة وهو النظر إليه ولما كان كلامه موقوفا على عدم ما يضر في الدنيا ويفتن في الدين قال (في غير ضراء مضرة) قال الطيبي: متعلق الظرف مشكل ولعله يتصل بالقرينة الأخيرة وهي الشوق إلى لقائك. سأل شوقا إليه في الدنيا بحيث يكون في ضراء غير مضرة أي شوقا لا يؤثر في سلوكي وإن ضربني مضرة ما قال:

إذا قلت أهدى الهجر لي حلل البلا. . . تقولين لولا الهجر لم يطب الحب

وإن قلت كربي دائم قلت إنما. . . يعد محبا من يدوم له كرب

ويجوز اتصاله بقوله أحيني إلى آخره. ومعنى ضراء مضرة: الضر الذي لا يصبر عليه (ولا فتنة مضلة) أي موقعة -[١٤٧]- في الحيرة مفضية إلى الهلاك. وقال القونوي: الضراء المضرة حصول الحجاب بعد التجلي والتجلي بصفة تستلزم سدل الحجب والفتنة المضلة كل شبهة توجب الخلل أو تنقص في العلم والشهود (اللهم زينا بزينة الإيمان) وهي زينة الباطن ولا معول إلا عليها لأن الزينة زينتين زينة البدن وزينة القلب وهي أعظمها قدرا وإذا حصلت حصلت زينة البدن على أكمل وجه في العقبى ولما كان كمال العبد في كونه عالما بالحق متبعا له معلما لغيره قال (واجعلنا هداة مهتدين) وصف الهداة بالمهتدين لأن الهادي إذا لم يكن مهتديا في نفسه لم يصلح كونه هاديا لغيره لأنه يوقع الناس في الضلال من حيث لا يشعر وهذا الحديث أفرد بالشرح

(ن ك) وأحمد (عن عمار بن ياسر) قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به." (١)

"٨٧٠٦ - (من رضي عن الله) بقضائه وقدره (رضي الله تعالى عنه) بأن يدخله الجنة ويتجلى عليه فيها حتى يراه عيانا. قال الطيبي: ولعلو شأن هذه المرتبة التي هي الرضا من الجانبين خص الله كرام الصحب بها حيث قال: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ قال بعضهم: ورضا العبد عن الله أن لا يختلج في سره أدنى حزازة من وقوع قضاء من أقضيته بل يجد في قلبه لذلك برد اليقين وثلج الصدر وشهود المصلحة وزيادة الطمأنينة ورضا الله عن العبد تأمينه من سخطه وإحلاله دار كرامته وقال السهروردي: الرضا يحصل لانشراح القلب وانفساحه وانشراح القلب من نور اليقين فإذا تمكن النور من الباطن اتسع الصدر وانفتحت عين البصيرة وعاين حسن تدبير الله فينزع التسخط والتضجر لأن انشراح الصدر يتضمن حلاوة الحب وفعل المحبوب بموقع الرضا عند المحب الصادق لأن المحب يرى أن الفعل من المحبوب مراده واختياره فيفنى في لذة رؤية اختيار المحبوب عن اختيار نفسه وقال بعض العارفين: الرضا عن الله باب الله الأعظم وجنة الدنيا ولذة العارفين والرضوان عن الله في الجنة وهم في الدنيا راضون عنه متلذذون بمجاري -[١٣٨]- أقضيته سليمة صدورهم من الغل مطهرة قلوبهم عن الفساد لا يتحاسدون ولا يتباغضون وقال ابن أبي رواد: ليس الشأن في أكل الشعير ولبس الصوف ولكن في الرضا عن الله وقال ميمون بن مهران: من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء وقال رجل لابن كرام: أوصني. فقال: اجتهد في

---

(١) فيض القدير المناوي ٢/١٤٦

رضا خالفك بقدر ما تجتهد في رضا نفسك

(ابن عساكر) في تاريخه (عن عائشة)." (١)

"حكاه الله في القرآن، والمراد من الخلفاء الذين هذا عددهم هم أئمة الهدى والحق والعدل، والتنصيص على أعيانهم، لا مجال للعقل فيه إلا أن يأتي فيه توقيف عنه - صلى الله عليه وسلم - وقد تخيلت الإمامية التنصيص على جماعة من أعيان آل محمد - صلى الله عليه وسلم - بلا هدى ولا كتاب منير ثم بنوا على ذلك عصمتهم وأنهم حجة الله على عباده وبنوا على هذا من الخيالات ما يصدق عليه قول من قال:

وللخيالات أحكام مسلطة ... على العقول التي ضلت عن الفكر

نعم ربما يدعي أن منهم الخلفاء الأربعة، وأما حديث: "الخلافة ثلاثون ثم تكون ملكا عضوضا" (١) ونحوه بألفاظ عدة فالمراد: الخلافة التي تكون عقب النبوة بلا فصل، وإلا فقد تأتي خلافة حق تكون بعد الملك العضوض كما وقع لخلافة عمر بن عبد العزيز بعد الملوك الجورة الخونة. (عبد وابن عساكر (٢) في التاريخ عن ابن مسعود).

٢٢٩٢ - "إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط". (ت) من حديث سعيد (هـ) عن أنس (ح).

(إن عظم) بكسر العين المهملة وفتح الظاء. (الجزاء) المكافأة والمقابلة. (مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم) كما سلف لفظه مرارا. (فمن رضي) بالبلاء. (فله الرضا) من الله تعالى. (ومن سخط فله السخط) وفيه أنه لا يعظم الجزاء إلا مع **الرضا عن الله** تعالى. (ت) من حديث سعيد (هـ) (٣) عن

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٢٠)، وابن حبان (٦٦٥٧)، والطبراني في الكبير (١/ ٥٥) رقم (١٣) بدون "عضوضا"، وانظر: السلسلة الصحيحة (٤٥٩).

(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل (٣/ ١٥)، وابن عساكر (١٦/ ٢٨٦)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٨٧٩)، والضعيفة (٣١٨٢).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجة (٤٠٣١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢١١٠) =." (٢)

"وقال: أجمع العلماء على أن الرضا مستحب مؤكد استحبابه، واختلفوا في وجوبه على قولين. قال: وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يحكيهما قولين لأصحاب الإمام أحمد - رضي الله عنه - وكان - يعني شيخ الإسلام - يذهب إلى القول باستحبابه، قال: ولم يجئ الأمر به كما جاء بالصبر، وإنما جاء الثناء على أصحابه ومدحهم. قال: وأما ما يروى من الأثر: «من لم يصبر على بلائي، ولم يرض بقضائي فليتخذ ربا سوائي» . فهذا أثر إسرائيلي ليس

---

(١) فيض القدير المناوي ١٣٧/٦

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ١١/٤

يصح عن النبي – صلى الله عليه وسلم –. قال ابن القيم: ولا سيما عند من يرى أن الرضا من جملة الأحوال التي ليست مكتسبة، وأنه موهبة محضة، فكيف يؤمر به وليس مقدورا، وهذه مسألة اختلف فيها أرباب السلوك على ثلاث طرق: فالخراسانيون قالوا: الرضا من جملة المقامات، وهو نهاية التوكل، فعلى هذا يمكن أن يتوصل إليه العبد بالاكتساب، والعراقيون قالوا: هو من جملة الأحوال، وليس كسبا للعبد، بل هو نازلة تحل بالقلب كسائر الأحوال.

وحكمت طائفة ثالثة بين الطائفتين، منهم القشيري، فقالوا: بداية الرضا مكتسبة للعبد، فهي من جملة المقامات. ونهايته من جملة الأحوال، فأوله مقام ونهاية حال، والفرق بين المقامات والأحوال أن المقامات عندهم من المكاسب، والأحوال من مجرد المواهب. قال المحقق ابن القيم: هنا ثلاثة أمور: الرضا بالله، **والرضا عن الله**، والرضا بقضاء الله. فالرضا بالله فرض، والرضا عنه، وإن كان من أجل الأمور وأشرف أنواع العبودية، فلم يطالب به العموم لعجزهم عنه، ومشقته عليهم، وأوجبته طائفة كما أوجبوا الرضا به.

وأما الرضا بقضاء الله فهو المشار إليه بقوله: لا يجب الرضا ((بكل مقضي)) بل حكم المقضي لا بد فيه من التفصيل ؛ لأنه إما أن يكون مقضيا دينيا شرعيا، فالواجب على العبد ألا يختار في هذا النوع غير ما اختاره له ربه وسيده، كما قال – تعالى –: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ [الأحزاب: ٣٦] فاختيار العبد خلاف ذلك وناف لإيمانه وتسليمه ورضاه بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا، وإما أن يكون كونيا قدريا، وهذا منه ما لا يسخطه الله، كالمصائب التي يبتلي عبده بها، فهذا لا يضره فراره منها إلى القدر الذي يرفعها عنه ويكشفها، وليس في ذلك منازعة." (١)

"الإشارة: الإعراض عن الخلق والاكتفاء بالملك الحق ركن من أركان الطريق، قال الشيخ زروق رضى الله عنه: أصول الطريقة خمسة أشياء: تقوى الله في السر والعلانية، واتباع الرسول في الأقوال والأفعال، والإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار، والرجوع إلى الله في السراء والضراء، **والرضا عن الله** في القليل والكثير. هـ.

ثم نهى عن التعرض لأصنامهم، فقال:

[سورة الأنعام (٦) : آية ١٠٨]

ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون (١٠٨)

يقول الحق جل جلاله: ولا تسبوا أصنامهم الذين يدعونها آلهة، ويخضعون لها من دون الله أي: ولا تذكروا آلهتهم بسوء، فيسبوا الله عدوا أي: ظلما وتجاوزا عن الحق إلى الباطل، بغير علم أي: على جهالة بالله تعالى، وبما يجب أن يذكر به من التعظيم، روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يطعن في آلهتهم، فقالوا: لتنتهين عن آلهتنا أو لنهجون إلهك، فنزلت. وقيل: كان المسلمون يسبون آلهتهم، فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله تعالى، واستدل المالكية بهذا على سد الذرائع. قال

---

(١) لوامع الأنوار البهية السفاريني ١/٣٦٠

البيضاوي: وفيه دليل على أن الطاعة إذا أدت لمعصية راجحة وجب تركها، فإن ما يؤدي إلى الشر شر. هـ. وقال ابن العربي: وقاية العرض بترك سنة واجب في الدنيا. هـ.

قال تعالى: كذلك زينا لكل أمة عملهم من الخير والشر، نحملهم على ما سبق لهم توفيقا أو تخذيلا، أو يكون مخصوصا بالشر، أي: زينا لكل أمة من الكفرة عملهم السوء كسب الله تعالى وغيره من الكفر، ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون من الخير فيجازيهم عليه، أو من الشر فيعاقبهم عليه.

الإشارة: العارف الكامل لا ينقص شيئا من مصنوعات الله، ولا يصغر شيئا من مقدورات الله، بل يتأدب مع كل شيء لرؤية صنعة الله في كل شيء، وكذلك المريد اللبيب، يتأدب مع كل من ظهر بالخصوصية في زمنه، كان صادقا أو كاذبا لئلا يؤدي إلى تنقيص شيخه، حين يذكر غيره بنقص أو غض. وفي الحديث: «لعن الله من يسب والديه، فقالوا: وكيف يسب والديه يا رسول الله؟ قال: يسب أبا الرجل فيسب الرجل أباه وأمه» «١» أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

ثم رد عليهم فى اقتراح الآيات، فقال:

[سورة الأنعام (٦) : الآيات ١٠٩ الى ١١٠]

وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون (١٠٩) ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون (١١٠)

---

(١) أخرجه البخاري فى (الأدب، باب: لا يسب الرجل والديه) ومسلم فى (الإيمان، باب: بيان الكبائر) عن عبد الله بن عمرو.

ولفظ البخاري: «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه، قيل: يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه» .." (١)

"في خمسة فإنها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم: إطعام الضيف، وتجهيز الميت، وتزويج البكر، وقضاء الدين، والتوبة من الذنب) .

الثاني: ترتيب الأطعمة بتقديم الفاكهة أولا إن كانت فذلك أوفق في الطب فإنها أسرع استحالة فينبغي أن تقع في أسفل المعدة، وفي القرآن تنبيه على تقديم الفاكهة في قوله تعالى: (وفاكهة مما يتخيرون) [الواقعة: ٢٠] ثم قال: (ولحم طير مما يشتهون) [الواقعة: ٢١] .

ثم أفضل ما يقدم بعد الفاكهة اللحم والثريد، فإن جمع إليه حلاوة بعده فقد جمع الطيبات، ودل على حصول الإكرام باللحم قوله تعالى في ضيف «إبراهيم» إذ أحضر العجل الحنيذ أي المحنوذ وهو الذي أجيد نضجه، وهو أحد معنيي الإكرام أعني تقديم اللحم، قال «أبو سليمان الداراني» رضي الله عنه: «أكل الطيبات يورث **الرضا عن الله**» .

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٥٧/٢

وتتم هذه الطيبات بشرب الماء البارد، وصب الماء الفاتر على اليد عند الغسل. قال «المأمون» : «شرب الماء بثلج يخلص الشكر» ، وقال بعضهم: «الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الألوان، والتمكن على المائدة خير من زيادة لونين» . وتزيين المائدة بالبقول مستحب أيضا.

الثالث: أن يقدم من الألوان ألطفها حتى يستوفي منها من يريد ولا يكثر الأكل بعده.

وعادة المترفين تقديم الغليظ ليستأنف حركة الشهوة بمصادفة اللطيف بعده وهو خلاف السنة فإنه حيلة في استكثار الأكل.

ويستحب أن يقدم جميع الألوان دفعة أو يخبر بما عنده.

الرابع: أن لا يبادر إلى رفع الألوان قبل تمكنهم من الاستيفاء حتى يرفعوا الأيدي عنها فلعل منهم من يكون بقية ذلك اللون أشهى عنده مما استحضروه أو بقيت فيه حاجة إلى الأكل فيتنغص عليه بالمبادرة.

الخامس: أن يقدم من الطعام قدر الكفاية فإن التقليل عن الكفاية نقص في المروءة والزيادة عليه تصنع، قال «ابن مسعود» رضي الله عنه: «نهينا أن نجيب دعوة من يباهي بطعامه» ، وكره جماعة من الصحابة أكل طعام المباهاة.

وينبغي أن يعزل أولا نصيب أهل البيت حتى لا تكون أعينهم طامحة إلى رجوع شيء منه فلعله لا يرجع فتضيق صدورهم، وتنطلق في الضيفان ألسنتهم.

فأما الانصراف فله ثلاثة آداب:

الأول: أن يخرج مع الضيف إلى باب الدار وهو سنة وذلك من إكرام الضيف، وتمام الإكرام طلاقة الوجه وطيب الحديث عند الدخول والخروج وعلى المائدة.." (١)

"﴿هدى للمتقين﴾ [البقرة: ٢]

وقال: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ [الإسراء: ٩]

ويشمل جميع الأمور الدينية والدنيوية النافعة.

العلم واليقين: فالعلم هو تصور المعلومات على ما هي عليه، ولهذا يقال: العلم ما قام عليه الدليل، والعلم النافع: ما كان مأخوذا عن الرسول، واليقين أخص من العلم بأمرين:

أحدهما: أنه العلم الراسخ القوي الذي ليس عرضة للريب والشك والموانع، ويكون علم يقين إذا ثبت بالخبر، وعين يقين إذا شاهدته العين والبصر، ولهذا يقال: ليس الخبر كالمعاينة، وحق يقين إذا ذاقه العبد وتحقق به.

الأمر الثاني: أن اليقين هو العلم الذي يحمل صاحبه على الطمأنينة بخبر الله، والطمأنينة بذكر الله، والصبر على المكاره، والقوة في أمر الله، والشجاعة القولية والفعلية، والاستحلاء للطاعات، وأن يهون على العبد في ذات الله المشقات وتحمل الكريهات، فهذه الآثار الجميلة - التي هي أعلى وأحلى من كل شيء - من آثار اليقين.

الصبر: حبس النفس على المشقات طلبا لرضا الله، وينقسم إلى ثلاثة أقسام:

---

(١) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين القاسمي ص/٩٩

صبر على طاعة الله، وخصوصا الطاعات الشاقة حتى يؤديها على وجه الكمال، وصبر عن معصية الله، خصوصا المعصية التي تدعو النفس إليها دعاء قويا، حتى يجاهد نفسه فيتركها لله، وصبر على أقدار الله المؤلمة، خصوصا إذا عظمت المصيبة حتى لا يتسخطها، وربما وصلت به الحال إلى **الرضا عن الله.**." (١)

"وفي الآية، دليل على نعيم البرزخ وعذابه، كما تكاثرت بذلك النصوص.

-[٧٦]-

﴿١٥٥ – ١٥٧﴾ ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ .

أخبر تعالى أنه لا بد أن يبتلي عباده بالمحن، ليتبين الصادق من الكاذب، والجازع من الصابر، وهذه سنته تعالى في عباده؛ لأن السراء لو استمرت لأهل الإيمان، ولم يحصل معها محنة، لحصل الاختلاط الذي هو فساد، وحكمة الله تقتضي تمييز أهل الخير من أهل الشر. هذه فائدة المحن، لا إزالة ما مع المؤمنين من الإيمان، ولا ردهم عن دينهم، فما كان الله ليضيع إيمان المؤمنين، فأخبر في هذه الآية أنه سيبتلي عباده ﴿بشيء من الخوف﴾ من الأعداء ﴿والجوع﴾ أي: بشيء يسير منهما؛ لأنه لو ابتلاهم بالخوف كله، أو الجوع، لهلكوا، والمحن تمحص لا تهلك.

﴿ونقص من الأموال﴾ وهذا يشمل جميع النقص المعتري للأموال من جوائح سماوية، وغرق، وضياع، وأخذ الظلمة للأموال من الملوك الظلمة، وقطاع الطريق وغير ذلك.

﴿والأنفس﴾ أي: ذهاب الأحباب من الأولاد، والأقارب، والأصحاب، ومن أنواع الأمراض في بدن العبد، أو بدن من يحبه، ﴿والثمرات﴾ أي: الحبوب، وثمار النخيل، والأشجار كلها، والخضر ببرد، أو برد، أو حرق، أو آفة سماوية، من جراد (١) ونحوه.

فهذه الأمور، لا بد أن تقع، لأن العليم الخبير، أخبر بها، فوقعت كما أخبر، فإذا وقعت انقسم الناس قسمين: جازعين وصابرين، فالجازع، حصلت له المصيبتان، فوات المحبوب، وهو وجود هذه المصيبة، وفوات ما هو أعظم منها، وهو الأجر بامتثال أمر الله بالصبر، ففاز بالخسارة والحرمان، ونقص ما معه من الإيمان، وفاته الصبر والرضا والشكران، وحصل [له] السخط الدال على شدة النقصان.

وأما من وفقه الله للصبر عند وجود هذه المصائب، فحبس نفسه عن التسخط، قولا وفعلا واحتسب أجرها عند الله، وعلم أن ما يدركه من الأجر بصبره أعظم من المصيبة التي حصلت له، بل المصيبة تكون نعمة في حقه، لأنها صارت طريقا لحصول ما هو خير له وأنفع منها، فقد امتثل أمر الله، وفاز بالثواب، فلهذا قال تعالى: ﴿وبشر الصابرين﴾ أي: بشرهم بأنهم يوفون أجرهم بغير حساب.

فالصابرين، هم الذين فازوا بالبشارة العظيمة، والمنحة الجسيمة، ثم وصفهم بقوله: ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة﴾ وهي كل ما يؤلم القلب أو البدن أو كليهما مما تقدم ذكره.

---

(١) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن عبد الرحمن السعدي ٣٥٩/٢

﴿قالوا إنا لله﴾ أي: مملوكون لله، مدبرون تحت أمره وتصريفه، فليس لنا من أنفسنا وأموالنا شيء، فإذا ابتلانا بشيء منها، فقد تصرف أرحم الراحمين، بمماليكه وأموالهم، فلا اعتراض عليه، بل من كمال عبودية العبد، علمه، بأن وقوع البلية من المالك الحكيم، الذي أرحم بعبده من نفسه، فيوجب له ذلك، **الرضا عن الله**، والشكر له على تدبيره، لما هو خير لعبده، وإن لم يشعر بذلك، ومع أننا مملوكون لله، فإنا إليه راجعون يوم المعاد، فمجاز كل عامل بعمله، فإن صبرنا واحتسبنا وجدنا أجرنا موفورا عنده، وإن جزعنا وسخطنا، لم يكن حظنا إلا السخط وفوات الأجر، فكون العبد لله، وراجع إليه، من أقوى أسباب الصبر.

﴿أولئك﴾ الموصوفون بالصبر المذكور ﴿عليهم صلوات من ربهم﴾ أي: ثناء وتنويه بحالهم ﴿ورحمة﴾ عظيمة، ومن رحمته إياهم، أن وفقهم للصبر الذي ينالون به كمال الأجر، ﴿وأولئك هم المهتدون﴾ الذين عرفوا الحق، وهو في هذا الموضع، علمهم بأنهم لله، وأنهم إليه راجعون، وعملوا به وهو هنا صبرهم لله.

ودلت هذه الآية، على أن من لم يصبر، فله ضد ما لهم، فحصل له الذم من الله، والعقوبة، والضلال والخسار، فما أعظم الفرق بين الفريقين وما أقل تعب الصابرين، وأعظم عناء الجازعين، فقد اشتملت هاتان الآيتان على توطين النفوس على المصائب قبل وقوعها، لتخف وتسهل، إذا وقعت، وبيان ما تقابل به، إذا وقعت، وهو الصبر، وبيان ما يعين على الصبر، وما للصابر من الأجر، ويعلم حال غير الصابر، بضد حال الصابر.

وأن هذا الابتلاء والامتحان، سنة الله التي قد خلت، ولن تجد لسنة الله تبديلا وبيان أنواع المصائب.

---

(١) كذا في ب، معدلة في الهامش وفي أ: جند.." (١)

"والرضا برسوله والرضا بدينه والتسليم له، ومن اجتمعت له فهو الصديق حقا.

٨٦) من أراد أن يحصل له **الرضا عن الله** الذي هو من أفضل الدرجات فليلزم ما جعل الله رضاه فيه، فإنه يوصله إلى مقام الرضا.

٨٧) والله تعالى أخبر أنه ينصر رسله في الحياة الدنيا وفي الآخرة والله سبحانه يجزي الإنسان من جنس عمله، فالجزاء من جنس العمل، فمن خالف الرسل عوقب بمثل ذنبه وأرى عباده ذلك عيانا، وإذا ظهرت البدع التي تخالف الرسل انتقم الله ممن خالف الرسل وانتصر لرسله.

٨٨) والإيمان بالرسول والجهاد عن دينه سبب لخير الدنيا والآخرة وبالعكس البدع والإلحاد ومخالفة ما جاء به سبب لشر الدنيا والآخرة.

٨٩) التوحيد وتصديق الرسل جماع الإيمان، والشرك وتكذيب الرسل جماع الكفر.

٩٠) فمن دفع النصوص التي يحتج بها غيره لم يؤمن بها بل آمن بما يحتج هو به صار ممن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض.

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن عبد الرحمن السعدي ص/٧٥

٩١) وإذا ترك الناس بعض ما أنزل الله وقعت بينهم العداوة والبغضاء إذ لم يبق هنا جامع يشتركون فيه، بل تقطعوا أمرهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون.

٩٢) ودين الأنبياء كلهم الإسلام وهو الاستسلام لله وحده، وذلك إنما يكون بطاعته فيما أمر به في ذلك الوقت، فطاعة كل نبي هي من دين الإسلام إذ ذاك، وكل مبتدع خالف سنة الرسول لا يتبع إلا دينا مبدلا أو منسوخا.

انتهى ما اخترناه مما جمعه شيخنا عبد الرحمن الناصر السعدي من كتب شيخ الإسلام رحمهما الله وصلى الله على محمد وآله وسلم." (١)

"لا حلول كاملة في وسط غير كامل

أ. د. عبد الكريم بكار

إذا تساءلنا عن قاسم مشترك، أو عن شيء يستهدفه الناس جميعا لأمكن أن نقول: إنه السعادة والهناء وراحة البال. والحقيقة أن الله ـ جل وعلا ـ فطر النفوس على حب الحياة وحب الاستمتاع بالخيرات التي بثها الله ـ تعالى ـ في الأرض، كما في قوله: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب﴾ [آل عمران: ١٤] ، ويكفي في الأصل لأن يتخلص الإنسان من المعكرات والمنغصات حتى يشعر بشيء من الارتياح والابتهاج.

في أيامنا هذه تزاحمت المطالب على الواحد منا، وصارت الضغوط التي يواجهها في كل اتجاه أكبر مما يمكن أن تتحمله جملته العصبية؛ أضف إلى هذا أن من شأن التقدم العمراني أن يزيد في طموحات الناس، ويوسع الهوة بينهم وبين الإمكانات الفعلية التي حوزتهم، وهذا يفتح عليهم بابا من العناء. كما أن إحساس الناس بمصالحهم يصبح أكبر، وهذا يجلب لهم شيئا من القلق والتوتر، وبما أن التطورات التقنية المتلاحقة إلى جانب تعاظم رأس المال هي التي توجه كثيرا من أنشطة الحياة اليوم؛ فإن لنا أن نتوجس خيفة من عواقب الحركة الدائبة وتأثيرها في أمننا النفسي وإشراقنا الروحي. فما الذي يمكن عمله حيال كل هذه الأشياء؟

لا بد في البداية أن نتصرف في كل شؤوننا على أساس أننا لا نستطيع أن نصل إلى حلول كاملة في وسط غير كامل؛ مما يعني أننا سنظل نشعر أننا نلنا أقل مما يكفي وأقل مما نستحق، ولهذا فإن **الرضا عن الله** ـ تعالى ـ والقناعة بالمقسوم من الأمور الجوهرية في الحصول على الهناء، وبعد هذا يمكن أن نلاحظ وننجز عددا من الأشياء، وهي كثيرة. أذكر بعضها:

١ - لا يصح أن نجعل السعادة هدفا، نسعى إليه، فنحدث أنفسنا بأننا سنكون سعداء، وسنجد مشاعر لا نظير لها إذا فرغنا من كذا، أو حصلنا على كذا، أو وصلنا إلى كذا ... وذلك لأننا بهذا نكرس شعور عدم الارتياح في حاضرنا أملا في الحصول عليه في مستقبلنا. وقد دلتنا الخبرة على أن ما نشغف به يكون عند وصولنا إليه ـ إن وصلنا ـ أقل إثارة للبهجة مما نظن، وأقل دواما واستمرارا مما نتوقع في اشتهاء الشطر الثاني، ونقضي الشطر الثاني في التأسف على الشطر الأول.

٢ - قد استقر في وعي كثيرين منا أنه لا سعادة إلا مع توفر الكثير من المال، ولهذا فإن الهاجس المسيطر على معظم الناس

---

(١) مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار عبد العزيز السلمان ٢/٣٧١

هو كيف يحسنون دخلهم، وكيف يرفعون أرصدتهم ظنا منهم أن المزيد من المال سيعني على نحو آلي المزيد من الهناء والمسرات. إن قدرا ملائما من المال سيظل ضروريا لاستقامة حياتنا وتمشية أمورنا، لكن ليس هناك أي مؤشرات حقيقية إلى أن كثرة الأموال ستأتي براحة البال.

وتجاربنا الشخصية تؤكد هذا. إن جعل المال محورا لجهودنا وهدفا مركزيا لمساعينا سيثير الكثير من التوترات الاجتماعية، وهذا لأن المعروض منه دائما هو أقل من المطلوب، وذلك بسبب عدم شبع النفس البشرية منه، على ما نجده في قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «لو كان لابن آدم واد من ذهب أحب أن له واد أخر ولن يملء فاه إلا التراب والله يتوب على من تاب» (١) .

إن أفكار ما بعد الحداثة تصور للناس أن الرجل السعيد هو دائما رجل شاب وثري، والمرأة السعيدة هي دائما امرأة جميلة، والحركة العالمية للدعاية والإعلان تحاول بشتى الوجوه إيصال هذه الرسالة للناس، وهذا ساعد في انتشار عمليات الرشوة والغش والاحتيال وخرق النظم والقوانين السارية، وأوجد في الوقت نفسه تشوها مخيفا في صورة المسلم في عين ذاته.

ومن هنا فإن التحدي الذي يواجهنا هو: كيف نوفر الهناء من غير الحاجة إلى المزيد من المال؟ وهذا ما سنتحدث عنه في المقال القادم بحول الله وطوله.

---

(١) رواه مسلم كتاب الزكاة، رقم ١٧٣٨.." (١)

"فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد (١)».

ومن ثمرات الاسترجاع بالإضافة إلى ما تقدم: نيل الأجر والثواب من عند الله، وإخلاف الله للمبتلى أو المصاب خيرا مما ابتلى به، فعن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم آجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرا منها، إلا أخلف الله له خيرا منها " قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة، أول بيت هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ثم إني قلتها، فأخلف الله لي رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢)».

يقول ابن القيم معلقا على الحديث: فانظر عاقبة الصبر والاسترجاع ومتابعة الرسول **والرضا عن الله** إلى ما آلت إليه، وأنالت أم سلمة نكاح أكرم الخلق على الله (٣).

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب (الجنائز)، باب (فضل المصيبة إذا احتسب)، الحديث رقم ١٠٢٢، ج ٣ ص ٣٤١، وقال: حديث حسن غريب.

---

(١) مجلة البيان مجموعة من المؤلفين ٢٠٩/١٠

(٢) رواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب (الجنائز)، باب (ما يقال عند المصيبة)، ج ٦ ص ٢٢٠.

(٣) عدة الصابرين، ص ٨٥.." (١)

"عادته سبحانه في خلقه أن الفرج مع الكرب، وأن اليسر مع العسر، وأن الشدة لا تدوم، فإذا انضم إلى ذلك قوة التجاء وطمع في فضل الله، وتضرع إليه ودعاء؛ فتح الله عليهم من خزائن رحمته ما لا يخطر على البال " (١).

٦ – تأخر إجابة الدعاء، وعدم حصول عين المطلوب في الدعاء لا يستلزم القنوط، بل قد يكون في تأخر الإجابة أو عدم حصول المطلوب من المنافع العظيمة والفوائد الجليلة ما يتمنى الداعي أنه لم يتحقق دعاؤه حتى تستمر له هذه المكاسب، فمن ذلك: التذلل لله عز وجل، والانطراح والانكسار بين يديه، والتلذذ بمناجاته، والأنس به، والإلحاح في الدعاء، وإظهار المسكنة والافتقار والحاجة لرحمته ومنته ولطفه وإحسانه، وتعويد النفس على الصبر، والأمل، والرجاء، **والرضا عن الله** سبحانه وتعالى، والتسليم لقضائه وقدره وغير ذلك مما يصعب حصره، أو يمكن وصفه، فمن يمل من الدعاء يخشى ألا يقبل دعاؤه، لأن الدعاء عبادة حصلت الإجابة أو لم تحصل، وتأخير الإجابة إما لأنه لم يأت وقتها، وإما لأنه لم يقدر في الأزل قبول

---

(١) شرح العقيدة الواسطية ص ١٧٠. ') ">." (٢)

"[*] قال الإمام المناوي رحمه الله تعالى في فيض القدير:

(اللهم بعلمك الغيب) الباء للاستعطاف والتذلل أي أنشدك بحق علمك ما خفي على خلقك مما استأثرت به

(وقدرتك على الخلق) أي جميع المخلوقات من إنس وجن وملك وغيرها

(أحيني ما علمت الحياة خيرا لي وتوفني إذا علمت الوفاة خيرا لي) عبر بما في الحياة لاتصافه بالحياة حالا وبإذا الشرطية في الوفاة لانعدامها حال التمني أي إذا آل الحال أن تكون الوفاة بهذا الوصف فتوفني

(اللهم وأسألك خشيتك) عطف على محذوف واللهم معترضة

(في الغيب والشهادة) أي في السر والعلانية أو المشهد والمغيب فإن خشية الله رأس كل خير والشأن في الخشية في الغيب لمدحه تعالى من يخافه بالغيب

(وأسألك كلمة الحق) أي النطق بالحق

(في الرضا والغضب) أي في حالتي رضا الخلق مني وغضبهم علي فيما أقوله فلا أداهن ولا أنافق أو في حالتي رضاي وغضبي بحيث لا تلجئني شدة الغضب إلا النطق بخلاف الحق ككثير من الناس إذا اشتد غضبه أخرجه من الحق إلى الباطل

(وأسألك القصد) أي التوسط

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية مجموعة من المؤلفين ١٥٩/٧٥

(٢) مجلة البحوث الإسلامية مجموعة من المؤلفين ٢٢٣/٨٩

(في الغنى والفقر) وهو الذي ليس معه إسراف ولا تقصير فإن الغنى يبسط اليد ويطفيء النفس والفقر يكاد أن يكون كفرا فالتوسط هو المحبوب المطلوب

(وأسألك نعيما لا ينفد) أي لا ينقضي وذلك ليس إلا نعيم الآخرة

(وأسألك قرة عين) بكثرة النسل المستمر بعدي أو بالمحافظة على الصلاة لقوله وجعلت قرة عيني في الصلاة

(لا تنقطع) بل تستمر ما بقيت الدنيا وقيل أراد قرة عينه أي بدوام ذكره وكمال محبته والأنس به. قال بعضهم: من قرت عينه بالله قرت به كل عين

(وأسألك الرضا بالقضاء) أي بما قدرته لي في الأزل لأتلقاه بوجه منبسط وخاطر منشرح وأعلم أن كل قضاء قضيته خير فلي فيه خير. قال العارف الشاذلي: البلاء كله مجموع في ثلاث خوف الخلق وهم الرزق والرضا عن النفس والعافية والخير مجموع في ثلاث الثقة بالله في كل شيء **والرضا عن الله** في كل شيء واتقاء شرور الناس ما أمكن

(وأسألك برد العيش بعد الموت) برفع الروح إلى منازل السعداء ومقامات المقربين والعيش في هذه الدار لا يبرد لأحد بل محشو بالغصص والنكد والكدر ممحوق بالآلام الباطنة والأسقام الظاهرة." (١)

"(٣) اليأس أعظم عوائق الصبر، ولذلك حذر يعقوب أولاده منه قال تعالى: (يبني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) [يوسف: ٨٧] إذا إضاءة شمعة الأمل دواء اليأس والاستعانة بالله هي الأمل، لأن الله لا يخيب ولا يضيع من رجاه ويأتي الفرج ولو بعد حين ..

كما أن اليأس من روح الله من الكبائر بنص الكتاب والسنة الصحيحة كما يلي:

(حديث ابن عباس رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: الكبائر: الشرك بالله و الإياس من روح الله و القنوط من رحمة الله.

[*] قال الإمام المناوي رحمه الله تعالى في فيض القدير:

(الكبائر) جمع كبيرة قال أبو البقاء: وهي من الصفات الغالبة التي لا يكاد يذكر الموصوف معها

(الشرك بالله) أي أن تجعل لله ندا وتعبد معه غيره من حجر أو شجر أو شمس أو قمر أو نبي أو شيخ أو جني أو نجم أو غير ذلك قال الله تعالى ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ وقال ﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار﴾ فمن أشرك به ومات مشركا فهو من أصحاب النار قلت: كما أن من آمن به ومات مؤمنا فمن أهل الجنة وإن عذب

(والإياس من روح الله) بفتح الراء (والقنوط من رحمة الله) قال القاضي: ليس لقائل أن يقول كيف عد الكبائر هنا ثلاثا أو أربعا وفي حديث آخر سبعا لأنه لم يتعرض للحصر في شيء من ذلك ولم يعرب به كلامه أما في هذا الحديث فظاهر وأما في رواية السبع فلأن الحكم مطلق والمطلق لا يفيد الحصر فإن قلت بل الحكم فيه كلي إذ اللام في الكبائر للاستغراق قلت لو كانت للاستغراق لا للجنس كان المعنى كل واحدة من هذه الخصال وهو فاسد أما في رواية اجتنبوا السبع الموبقات فإنه

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٥/٢٣٠

لا يستدعي عدم اجتناب غيرها ولا أن غيرها غير موبق لا بلفظه ولا بمعناه ومفهوم اللقب ضعيف مزيف.

(فصل في منزلة الرضا:

[*] (عناصر الفصل:

(تعريف الرضا:

(حكم الرضا:

(الرضا له أصل و مراتب أعلى من الأصل:

(لا يشرع الرضا بالمنهيات:

(إمكان تحصيل الرضا واكتسابه:

(الفرق بين الرضا والصبر:

(مقامات الرضا:

(درجات الرضا:

(الفرق بين الرضا بالله **والرضا عن الله:**

(ثمرات الرضا:

(الرضا لا يتعارض مع الدعاء:

(الرضا لا يتنافى مع البكاء على الميت:

(أقوال السلف رحمهم الله في الرضا:." (١)

"فطريق المحبة و الرضا تسير بالعبد و هو مستلق على فراشه فيصير أمام الركب بمراحل!!

هناك أناس يعملون و يجهدون و صاحب الرضا بعبادته القلبية يسبقهم بمراحل،

و هم من خلفه مع أنه على فراشه و هم يعملون؛ لأنه راض عن الله و يتفكر في هذا الأمر ويؤمن به فيقترب من الله و

أناس لم يصلوا لهذا المستوى و يعملون و يجهدون ...

لذلك أعمال القلوب مهمة جدا؛ لأن المرء يمكن يبلغ بها مراتب عند الله و هو قاعد ..

و هذا لا يعني ألا يعمل و لا يصلي ..

و قد يكون هناك أناس آخرين أكثر منه عملا (صيام

صدقة

حج)، لكنهم أقل منه درجة ..

لماذا؟!!

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ١٨٢/٦

لأنك بهذا العلم بأعمال القلوب قد تحصل مراتب عند الله أكثر منهم؛ لأن عمل القلب نفسه يرفع العبد في كثير من الأحيان أكثر من عمل الجوارح

فأبو بكر ما سبق أهل هذه الأمة لأنه أكثرهم صلاة و قياما في الليل ... هناك أناس أكثر منه في عمل العبادات و الجوارح ... لكن سبقهم بشيء وقر في نفسه ..

الرضا عن الله لو تحققت في صدر العبد؛ تميز بين مستويات العباد و ترفع هذا فوق هذا .. ينبغي التفطن لها .. كما تعمل بالجوارح هناك أعمال قلوب لا تقل أهمية بل هي أعلى منها، مع الجمع بين الواجب من هذا و ذاك ..

و لكن قد يدرك الإنسان أحيانا بتفطنه و تأمله و تفكره و إيمانه مراتب أعلى من الذي أكثر منه عملا بالجوارح .. و لذلك يقول ابن القيم: ((فطريق الرضا و المحبة تسير العبد و هو مستلق على فراشه فيصبح أمام الركب بمراحل)) " و هو على فراشه " ..

(الفرق بين الرضا والصبر:

الصبر: هو حبس النفس وكفها عن السخط –مع وجود الألم – وتمني زوال ذلك، وكف الجوارح عن العمل بمقتضى الجزع، والرضا: انشراح الصدر، وسعته بالقضاء، وترك زوال الألم – وإن وجد الإحساس بالألم – لكن الرضا يخففه بما يباشر القلب من روح اليقين والمعرفة، وإذا قوى الرضى فقد يزيل الإحساس بالألم بالكلية.

[*] قال ابن مسعود – رضي الله عنه –: " إن الله تعالى بقسطه وعلمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط ".

[*] وقال علقمة في قوله تعالى: ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾ [التغابن: من الآية١١]

هي المصيبة تصيب الرجل فيعلم أنها من عند الله فيسلم لها ويرضى.." (١)

"فلو قال أحدهم: أنا أرضى بالقانون الوضعي يحكم بيننا .. هذا لا يمكن أن ينطبق عليه أنه يؤمن بالله ربا .. !!

إذا هناك أناس يدعون الرضا بالله ثم يخالفون في تعاملاتهم قاعدة و أساسا من أعظم الأسس .. ، فإذا رضيت بالله ربا: يجب أن ترضى به حكما

قال تعالى: (إن الحكم إلا لله) [الأنعام: ٥٧] و من خصائصه سبحانه: أن التحكيم و الحكم له سبحانه وحده ..

ثم إذا تأملت هذه الأمور عرفت أن كثيرا من الناس يدعون الرضا بالله ربا و بالإسلام دينا و بمحمد نبيا ثم هنا يخالفون حكم الله و يرضون بحكم غيره و يخالفون السنة و هناك يميلون و يوالون أصحاب ديانات أخرى، فأين هم من هذه الثلاثة؟؟!!

و القرآن مليء بوصف المشركين أنهم اتخذوا من دون الله أولياء!! من تمام الإيمان صحة الموالاة و مدار الإسلام على أن يرضى العبد بعبادة الله وحده و يسخط عبادة غيره .. ،

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ١٩٥/٦

(الفرق بين الرضا بالله **والرضا عن الله**:

(الرضا بالله: الرضا بأنه الله و أنه المعبود فقط لا غيره و أن الحكم له فقط لا لغيره و أن نرضى بما شرع. و لا يمكن أن يدخل فيه المؤمن و الكافر معا، لا يكون إلا للمؤمن فقط.

(**الرضا عن الله**: أي: ترضى بما قضى و قدر .. تكون راضيا عن ربك فيما أحدث لك و خلق من المقادير .. و يدخل فيه المؤمن و الكافر ..

(ولابد من اجتماع الأمرين معا: الرضا بالله و لرضا عن الله، و الرضا بالله أعلى شأنا و أرفع قدرا؛ لأنها مختصة بالمؤمنين.

و **الرضا عن الله** مشتركة بين المؤمن و الكافر؛ لأن الرضا بالقضاء قد يصح من المؤمن و الكافر، فقد تجد تصرف كافر فتقول: هذا راض بالقضاء و مسلم و لا اعتراض عنده، لكنه لم يرض بالله ربا.

فالرضا بالله ربا آكد الفروض باتفاق الأمة .. فمن لا يرضى بالله ربا فلا يصح له إسلام و لا عمل لأنه من المعلوم شرعا أن التوحيد مقدم على العمل والأصل الذي يترتب عليه غيره إذ لا ينفع مع الشرك عمل.

(حكم الرضا بالقضاء:

مسألة: ما حكم الرضا بالقضاء؟

يجب التفصيل أولا في قضية القضاء:

(١) قضاء شرعي: و هو ما شرعه الله لعباده قال تعالى: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا) [الإسراء: ٢٣]

قضى علينا و شرع .. قد يلتزم العباد به و قد لا يلتزمون به ..." (١)

"انتظار روح الفرج يعني راحته، ونسيمه، ولذته؛ فإن انتظاره، ومطالعته، وترقبه يخفف حمل المشقة ولاسيما عند قوة الرجاء، أو القطع بالفرج؛ فإنه يجد في حشو البلاء من روح الفرج ونسيمه وراحته _ ما هو من خفي الألطاف، وما هو فرج معجل. (١)

(ب) حصول الاضطرار والافتقار إلى الله:

فهذا لب العبادة ومقصودها الأعظم؛ فالافتقار إلى الله دون سواه هو عين الغنى، والتذلل له _ عز وجل _ هو العز الذي لا يدانيه عز.

ثم إن حاجة الإنسان بل ضرورته إلى الافتقار والاضطرار إلى الله _ لا تدانيها حاجة أو ضرورة.

ولو أجيب دعاؤه مباشرة لربما أصابه التيه بالنفس، والإدلال على الله بالعمل، ولربما شعر بالغنى عن الله _ تبارك وتعالى _.

وبذلك يخرج العبد عن وصفه الذي لا ينفك عنه، والذي فيه جماله وكماله ألا وهو افتقاره إلى ربه.

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ١٩٨/٦

[*] قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

والعبد هو فقير دائما إلى الله من كل وجه؛ من جهة أنه معبوده، وأنه مستعانه، فلا يأتي بالنعم إلا هو، ولا يصلح حال العبد إلا بعبادته.

وهو مذنب ــ أيضا ــ لا بد له من الذنوب فهو دائما فقير مذنب؛ فيحتاج دائما إلى الغفور الرحيم؛ الغفور الذي يغفر ذنوبه، والرحيم الذي يرحمه فينعم عليه، ويحسن إليه؛ فهو دائما بين إنعام ربه وذنوب نفسه. (٢)

(ج) حصول عبودية الرضا:

فالرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، وبستان العارفين. (٣)

فمن رضي عن الله وبالله رضي الله عنه وأرضاه؛ فالمؤمن حين تنزل به النازلة يدعو ربه، ويبالغ في ذلك، فلا يرى أثرا للإجابة، فإذا قارب اليأس نظر حينئذ في قلبه، فإن كان راضيا بالأقدار، غير قنوط من فضل الله فالغالب تعجيل الإجابة؛ فهناك يصلح الإيمان، ويهزم الشيطان، وتتبين مقادير الرجال.

وقد أشير إلى هذا في قوله ــ تعالى: (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألآ إن نصر الله قريب) [البقرة / ٢١٤]

وكذلك جرى ليعقوب ــ عليه السلام ــ مع أولاده كما مر قريبا.

أما الاعتراض وقلة **الرضا عن الله** فخروج عن صفة العبودية.

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ١٦٧.

(٢) جامع الرسائل لابن تيمية ١/ ١١٦.

(٣) جامع العلوم والحكم ٢/ ٤٧٦.." (١)

"انتظار روح الفرج يعني راحته، ونسيمه، ولذته؛ فإن انتظاره، ومطالعته، وترقبه يخفف حمل المشقة ولاسيما عند قوة الرجاء، أو القطع بالفرج؛ فإنه يجد في حشو البلاء من روح الفرج ونسيمه وراحته ــ ما هو من خفي الألطاف، وما هو فرج معجل. (١)

(ب) حصول الاضطرار والافتقار إلى الله:

فهذا لب العبادة ومقصودها الأعظم؛ فالافتقار إلى الله دون سواه هو عين الغنى، والتذلل له ــ عز وجل ــ هو العز الذي لا يدانيه عز.

ثم إن حاجة الإنسان بل ضرورته إلى الافتقار والاضطرار إلى الله ــ لا تدانيها حاجة أو ضرورة.

ولو أجيب دعاؤه مباشرة لربما أصابه التيه بالنفس، والإدلال على الله بالعمل، ولربما شعر بالغنى عن الله ــ تبارك وتعالى ــ. وبذلك يخرج العبد عن وصفه الذي لا ينفك عنه، والذي فيه جماله وكماله ألا وهو افتقاره إلى ربه.

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٧/٤٢٥

[*] قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

والعبد هو فقير دائما إلى الله من كل وجه؛ من جهة أنه معبوده، وأنه مستعانه، فلا يأتي بالنعم إلا هو، ولا يصلح حال العبد إلا بعبادته.

وهو مذنب ــ أيضا ــ لا بد له من الذنوب فهو دائما فقير مذنب؛ فيحتاج دائما إلى الغفور الرحيم؛ الغفور الذي يغفر ذنوبه، والرحيم الذي يرحمه فينعم عليه، ويحسن إليه؛ فهو دائما بين إنعام ربه وذنوب نفسه. (٢)

(ج) حصول عبودية الرضا:

فالرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، وبستان العارفين. (٣)

فمن رضي عن الله وبالله رضي الله عنه وأرضاه؛ فالمؤمن حين تنزل به النازلة يدعو ربه، ويبالغ في ذلك، فلا يرى أثرا للإجابة، فإذا قارب اليأس نظر حينئذ في قلبه، فإن كان راضيا بالأقدار، غير قنوط من فضل الله فالغالب تعجيل الإجابة؛ فهناك يصلح الإيمان، ويهزم الشيطان، وتتبين مقادير الرجال.

وقد أشير إلى هذا في قوله ــ تعالى: (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألآ إن نصر الله قريب) [البقرة / ٢١٤]

وكذلك جرى ليعقوب ــ عليه السلام ــ مع أولاده كما مر قريبا.

أما الاعتراض وقلة **الرضا عن الله** فخروج عن صفة العبودية.

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ١٦٧.

(٢) جامع الرسائل لابن تيمية ١/ ١١٦.

(٣) جامع العلوم والحكم ٢/ ٤٧٦.." (١)

"(ودخل أبو حازم على بشر بن مروان فقال: يا أبا حازم ما المخرج مما نحن فيه؟ قال: تنظر ما عندك فلا تضعه إلا في حقه، وما ليس عندك فلا تأخذه إلا بحقه. قال: ومن يطيق هذا يا أبا حازم؟ قال: فمن أجل ذلك ملئت جهنم من الجنة والناس أجمعين.

(وقيل لأبي حازم رضي الله عنه: ما مالك؟ قال: شيئان: **الرضا عن الله**، والغنى عن الناس. وقيل له: إنك لمسكين. فقال: كيف أكون مسكينا ومولاي له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى.

(وقال بعض البلغاء: الزهد بصحة اليقين، وصحة اليقين بنور الدين، فمن صح يقينه زهد في الثراء، ومن قوي دينه أيقن بالجزاء، فلا تغرنك صحة نفسك، وسلامة أمسك، فمدة العمر قليلة، وصحة النفس مستحيلة.

(واعلم رحمك الله تعالى أن من أحوال رياضتك لها أن تكشف لنفسك حال أجلك، وتصرفها عن غرور أملك حتى لا يطيل لك الأمل أجلا قصيرا، ولا ينسيك موتا ولا نشورا.

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٨/٥٤٠

فإن الأيام تطوى، والاعمار تفنى، والابدان تبلى، وإن الليل والنهار يتراكضان كتراكض البريد، يقربان كل بعيد، ويخلقان كل جديد، وفي ذلك عباد الله ما ألهى عن الشهوات، ورغب في الباقيات الصالحات.

وكم من مستقبل يوما وليس يستكمله، ومنتظر غدا وليس من أجله. ولو رأيتم الأجل ومسيره، لأبغضتم الأمل وغروره.

(وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: أيها الناس اتقوا الله الذي إن قلتم سمع، وإن أضمرتم علم، وبادروا الموت الذي إن هربتم أدرككم، وإن أقمتم أخذكم.." (١)

"وله أيضا اختصار كتاب الوثائق لأحمد بن سعيد بن إبراهيم القرطبي المعروف بابن الهندي (١).

قال ابن حيان: الفقيه، المقرئ، الراوية، الحافظ، الزاهد، المخبت، المتقشف، الفاضل، العالم، آخر من تناهت فيه خلال الخير بقرطبة وعظمت به المنفعة ظاهرة وباطنة، وسلك سبيل السلف المتقدمين من هذه الأمة في الزهد في الدنيا والبعد عن الأمراء، والقناعة باليسير، والحرص على التعليم، والبذل لما عنده من العلوم، والاختلاط بالفقراء والمساكين، والمواساة بالقليل، **والرضا عن الله**، والتذكر لبلائه. . . وكان أقوم من بقي بحديث مالك رحمه الله. . . وكان له حظ من العربية يستقل به.

وقال ابن بشكوال: وأقبل على الزهد والانقباض، وإقراء القرآن وتعليمه، ونشر العلم وبثه، وكان عالما عاملا، وفقيها حافظا متيقظا، دينا، ورعا، فاضلا، متصاونا، متقشفا، متقللا من الدنيا، راضيا منها باليسير، قليل ذات اليد، يواسي - على ذلك - من انتابه من أهل الحاجة، دءوبا على العلم، كثير الصلاة والصوم، متهجدا بالقرآن، عالما بتفسيره وأحكامه، وحلاله وحرامه، بصيرا بالحديث، حافظا للرأي، عارفا بعقد الشروط وعللها. . . وكان له بصر بالإعراب واللغة والآداب.

وقال ابن الحصار: كان ورعا زاهدا صالحا، من أهل العلم والتقدم في الحديث وعلوم القرآن، من أحسن الناس تثقيفا لرواية يحيي وعناية بها.

ولد سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة.

وتوفي بقرطبة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثلاث عشرة وأربع مئة. - ودفن بمقبرة ابن عباس على قرب من يحيي بن يحيي -.

[الطبقة الثامنة: الأندلس]

---

(١) يبدو أنه نفس المختصر في الشروط الذي ذكره له ابن بشكوال في الصلة ٢/ ٤٨٢.." (٢)

"يستحق حينما جعل إن الشهوة «شهوة النكاح»، هي المحرك الأساسي والوحيد، وراء كل حياة البشر كلها.

يمكن داروين خلى الإنسان حيوان، مثل أي حيوان لكن ترقى في سلم التطور المزعوم، فرويد جعله أحط من الحيوان لأن الحيوان، الدوافع التي تحركه يعتبر دافع الشهوة رقم (٣)، لكن أولا أول دافع وأقوى دافع عند الحيوانات هو الأمومة غريزة الأمومة والأبوة والعواطف ناحية أولادها لكن، رقم (٣) هي هذا الجانب أو هذه الغريزة، هو خلى الإنسان أحط من

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٩/٢٠٠

(٢) جمهرة تراجم الفقهاء المالكية قاسم علي سعد ٢/٦٦٢

الحيوان، حيث جعل الدافع الأول: هو هذه الشهوة فقط.

فيعني من تكريم الإسلام لهذا الإنسان أيضا أنه يرفع شأنه إلى هذا الحد الذي ذكرناه، هنا يقول لها لا يكونن رضاعك لولدك كرضاع البهيمة ولدها، طبيعي أن الإنسان أرقى من الحيوان والإنسان ميزته إنه يستطيع أن يحتسب، الحيوان لا يصلح يتعبد من أجل أن هكذا بنتكلم عن موضوع القبول والرضا، الناس تقول لك القبول تقبل ابنك تقبل مش عارف إيه.

نحن عندنا مصطلح أقوى بكثير تقبل نعبر عنه في الإسلام بالرضا، **الرضا عن الله** الرضا بقضاء الله لأن لازم معاها حسبة فتبقى عباده، لكن القبول إذا حصلت حادثة يبقى تتقبل الأمر الواقع إلى آخر، هذا الكلام الذي يقولون.

التقبل هذا مثلا إنسان حصل عنده كارثة مصيبة موت شيء، من هذا فالتقبل هو بالضبط يساوي سلو البهائم، يعني الدابة إذا ضربتها بالسياط بتقدر تعترض تصبر أم لا تصبر.

طيب الإنسان إذا حصل له ابتلاء يصبر، لكن الفرق بين صبر المؤمن وبين البهيمة، الحسبة، الإنسان عنده قلب وعنده عقل يحتسب لوجه الله ﴿وبشر الصابرين (١٥٥) الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون (١٥٦)﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٦].." (١)

"وكان صلى الله عليه وسلم يعيش بكيانه كله في هذه الحقيقة .. انظر إليه وهو يقول لأصحابه: «إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكنهما آيتان من آيات الله، يخوف بهما عباده، فإذا رأيتم ذلك فصلوا وادعوا حتى ينكشف ما بكم» (١).

وكان يقول: «إنما أنا مبلغ والله يهدي، وإنما أنا قاسم، والله يعطي» (٢).

وعندما مات ابن لزينب ابنته قال: «قولوا لها: لله ما أخذ ولله ما أعطى ... » (٣).

ولقد كان الصحابة كذلك يعيشون في ظلال هذه الحقيقة، فهذا عبد الله بن عتيك بعد أن قتل أبا رافع اليهودي في حصن خيبر يعود مسرعا إلى أصحابه يبشرهم بقتله ويستحثهم على سرعة مغادرة المكان، ومع هذا الوضع المتوتر إلا أنه لم ينس تلك الحقيقة فقال لهم: النجاء، فقد قتل الله أبا رافع (٤).

وهذا الطفيل بن عمرو الدوسي يقص على من حوله قصة إسلامه فيقول: وأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله (٥) ..

وهذا سعد بن أبي وقاص يرسل رسالة إلى عمر بن الخطاب يبشره فيها بنصر القادسية فيقول فيها: ولقد استشهد «الله» فلانا وفلانا (٦).

مع المنع والعطاء:

ومع انعكاس النمو الإيماني على وضوح الرؤية لآيات الله المختلفة، فإنه أيضا ينعكس على طريقة استقبال العبد لها، وتعامله معها، فتجده يربط النعم التي ترد عليه بالله المنعم، ويفرح بفضله - سبحانه - ويستكثر على نفسه هذا الفضل، ومن ثم تهيج مشاعر الامتنان لله عز وجل في قلبه ليعيش حالة القلب الشاكر.

---

(١) محو الأمية التربوية محمد إسماعيل المقدم ١٢/١٤

وفي أوقات المحن والبلايا تجده – وإن تضايق قليلا في البداية – إلا أنه سرعان ما يعود به إيمانه إلى الصبر وعدم الجزع أو التسخط، بل ومن المتوقع – مع استمرار النمو الإيماني – أن يعيش المرء في حالة **الرضا عن الله**، فيسكن قلبه مهما تقلبت به الأحداث.

وباستمرار النمو الإيماني يزداد فهم العبد لأحداث الحياة وتقلباتها وبخاصة المؤلمة منها لتتحول كلها في نظره إلى عطاء من الله عز وجل ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا﴾ [التوبة: ٥١].

ومما يلزم التنويه إليه أنه مهما ارتقى الإيمان في قلب العبد إلا أن بشريته – وما فيها من ضعف – لن تفارقه، لذلك فمن المتوقع أن تزل الأقدام في بعض الأمور القليلة والنادرة، لكن داعي الإيمان سرعان ما يدفع صاحبه للعودة السريعة والتوبة النصوح، واستئناف السير إلى الله ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ [الأعراف: ٢٠١].

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (١/ ٣٥٣، برقم ٩٩٣)، ومسلم (٣/ ٣٥، برقم ٢١٥٣).

(٢) حديث صحيح: أخرجه أحمد (٢٨/ ١٣٣، برقم ١٦٩٣٦)، و الطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٣٨٩، رقم ٩١٤)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٦٢٨).

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري (٦/ ٢٤٣٥، برقم ٦٢٢٨).

(٤) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه ج ٤/ ص ١٤٨٤ حديث رقم: ٣٨١٣، انظر السيرة النبوية لعلي الصلابي ٢/ ٤١٨.

(٥) معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني– (١١/ ١٧٥، برقم ٣٥٠٠)، السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٢٢٦).

(٦) البداية والنهاية لابن كثير." (١)

"الفصل السابع

الهزة الإيمانية وبداية الارتقاء الإيماني

الحلقة المفقودة:

بعد الحديث عن أهمية الإيمان وثماره، ومراتب الارتقاء الإيماني، وجناحي التربية الإيمانية، يبقى السؤال: هل ما قيل يكفي لبدء الرحلة الإيمانية والسير إلى الله؟

بلا شك أن حسن التعامل مع القرآن والتفكر فيه، ومداومة قراءته بتدبر وترتيل وصوت حزين، مع العمل – قدر المستطاع – على الاستفادة من القرآن في التفكر في الكون وأحداث الحياة وربطها بالله عز وجل .. بلا شك أن هذه الأعمال القلبية ستقوم – بإذن الله – بزيادة عظيمة وملحوظة للإيمان، فإن صاحبها أعمال صالحة فإن الأثر سيكون أشد وأشد شريطة أن

---

(١) نظرات في التربية الإيمانية مجدي الهلالي ص/٣٦

يسبق تلك الأعمال تحفيز للمشاعر كما أسلفنا.

ولكن تبقى حلقة مفقودة في هذه المنظومة، ألا وهي الشرارة الأولى والشحنة القوية التي تهز القلب، وتوقظ الإيمان لتأتي بعد ذلك تلك الوسائل فتعمل عملها.

والشحنة القوية التي نحتاجها في البداية لكي توقظنا من سباتنا وتجعلنا – بإذن الله – نبدأ رحلة الارتقاء الإيماني والسير إلى الله لها طريقتان: إما شحنة تخويف وترهيب، وإما شحنة تشويق وترغيب، كما قال بعض السلف: «لا يخرج الشهوة من القلب إلا خوف مزعج أو شوق مقلق».

هيا بنا نزداد حبا لله وشوقا إليه:

بفضل الله تم الحديث في موضع سابق عن الخوف من الله وكيف نستخدمه ونجلب به الشرارة الأولى والشحنة القوية الدافعة للعمل (١)، ومع ذلك فهناك عدة أسباب تدفعنا لتفضيل طريق التشويق والترغيب في الله عز وجل.

ومن هذه الأسباب أن الحديث عن الخوف من الله وأسباب استجلابه من تذكر الموت، وعذاب القبر والقيامة والنار، قد احتل مساحات كبيرة في كتابات وأحاديث العلماء والدعاة وغيرهم، ومن ثم فإن تأثيره – بسبب هذا التكرار – قد لا يأتي بالأثر المطلوب كالطبيب الذي يعتاد رؤية الإصابات والدماء والكسور فيفقد بمرور الوقت تأثره بها.

وعكس ذلك بخصوص طريق المحبة والتشويق إلى الله عز وجل، فالحديث عنها قليل، ولا يتوازن مع الحديث عن الخوف من الله عز وجل.

ومن هذه الأسباب: أن الشحنة الإيمانية والشرارة الأولى الناتجة عن طريق التشويق والترغيب لها صدى طيب في النفس، فمن شأنها أن تجعل المرء يستيقظ من سباته وهو باسم .. يهرع إلى الله وهو فرح .. يسارع في القيام بالعبادات المختلفة، وهو في حالة من **الرضا عن الله** والشوق إليه والحب له … .

ومنها كذلك أن الغافل يحتاج إلى من يوقظه بحنان ورفق حتى يستوعب تلك اليقظة، أما المستيقظ فهو يحتاج إلى بعض التخويف حتى لا يعجب بنفسه، ويغتر بعلمه، فالترغيب يفضل البدء به مع أمثالي من الغافلين، أما الترهيب فيكون مع العابدين والصالحين.

وليس معنى هذا هو ترك التخويف والترهيب، بل المقصد هو التوازن بينهما والبدء منهما بما يناسب حالة القلب.

فإن اتفقت معي – أخي القارئ – على البدء بشحنة التشويق والترغيب في الله عز وجل، فلتكن إذن شحنة قوية حتى تظهر الثمرة وتؤدي إلى اليقظة بإذن الله.

مع ملاحظة ضرورة الاستمرار – بعد حدوث اليقظة – في القيام بأعمال القلوب (التفكر في القرآن وتدبره والاجتهاد في التأثر به، والتفكر في الكون وأحداث الحياة والاعتبار بها وربطها بالله عز وجل) وكذلك الأعمال الصالحة المؤثرة التي يسبقها تذكير وتحفيز حتى يستمر الارتقاء الإيماني.

أما إذا حدثت اليقظة، ورضي المرء بها واطمأن لها ولم يتبعها بأعمال الإيمان فسيعود – في الغالب – كما كان قبل اليقظة.

ومما يساعد العبد على الاستمرار في الارتقاء الإيماني – بإذن الله– هو انتقاله بهذه المعاني – بعد استيقاظه – إلى محيط

الدعوة، فعمله في إصلاح الإيمان وإيقاظ القلوب – بمثل ما حدث له – له وظيفة كبيرة في تثبيت المعاني في قلبه، وتجديدها، ومن ثم دفعه أكثر وأكثر للتزود والارتقاء (٢) ... .

---

(١) وذلك في كتاب «الإيمان أولا فكيف نبدأ به؟».

(٢) (من المناسب أن يتم انتقال المرء بهذه المعاني إلى محيط الدعوة بعد خوضه غمار التربية النفسية، وممارسة مبادئها في التعرف على النفس وكيفية التعامل معها، حتى لا يشعر أن عنده شيئا ليس عند غيره، فيعجب بنفسه، فيكون ذلك سببا في بعده عن الله، ولعلك تجد أخي القارئ في كتاب " حطم صنمك وكن عند نفسك صغيرا " ما يعينك – بإذن الله – على تخطي هذه العقبة التي تقف أمامنا جميعا كحائل يحول بيننا وبين التقدم نحو الله، والكتاب موجود بفضل الله على موقع الإيمان أولا.." (١)

"ولقد كان الصحابة كذلك يعيشون في ظلال هذه الحقيقة، فهذا عبد الله بن عتيك بعد أن قتل أبا رافع اليهودي في حصن خيبر يعود مسرعا إلى أصحابه يبشرهم بقتله ويستحثهم على سرعة مغادرة المكان، ومع هذا الوضع المتوتر إلا أنه لم ينس تلك الحقيقة فقال لهم: النجاء، فقد قتل الله أبا رافع (١).

وهذا الطفيل بن عمرو الدوسي يقص على من حوله قصة إسلامه فيقول: وأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله (٢) ..

وعندما كان الزبير بن العوام يوصي ابنه عبد الله بضرورة سداد دينه قال له في معرض حديثه:

يا بني إن عجزت عن شيء منه فاستعن عليه مولاي، قال عبد الله: فوالله ما دريت ما أراد حتى قلت: يا أبه، من مولاك؟ قال: الله.

قال عبد الله: فوالله ما وقعت في كربة من دينه إلا قلت: يا مولى الزبير اقض عنه دينه فيقضيه (٣).

مع المنع والعطاء:

ومع انعكاس الارتقاء الإيماني على وضوح الرؤية لآيات الله المختلفة، فإنه أيضا ينعكس على طريقة استقبال العبد لها، وتعامله معها، فتجده يربط النعم التي ترد عليه بالله المنعم، ويفرح بفضله – سبحانه – ويستكثر على نفسه هذا الفضل، ومن ثم تهيج مشاعر الامتنان لله عز وجل في قلبه ليعيش حالة القلب الشاكر.

وفي أوقات المحن والبلايا تجده – وإن تضايق قليلا في البداية – إلا أنه سرعان ما يعود به إيمانه إلى الصبر وعدم الجزع أو التسخط، بل ومن المتوقع – مع استمرار النمو الإيماني – أن يعيش المرء في حالة **الرضا عن الله**، فيسكن قلبه مهما تقلبت به الأحداث.

وباستمرار النمو الإيماني يزداد فهم العبد لأحداث الحياة وتقلباتها وبخاصة المؤلمة منها لتتحول كلها في نظره إلى عطاء من الله عز وجل ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا﴾ [التوبة: ٥١].

---

(١) نظرات في التربية الإيمانية مجدي الهلالي ص/٩٤

«عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير ولا يكون هذا إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له» (٤).

ومما يلزم التنويه إليه أنه مهما ارتقى الإيمان في قلب العبد إلا أن بشريته – وما فيها من ضعف – لن تفارقه، لذلك فمن المتوقع أن تزل الأقدام في بعض الأمور القليلة والنادرة، لكن داعي الإيمان سرعان ما يدفع صاحبه للعودة السريعة والتوبة النصوح، واستئناف السير إلى الله ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ [الأعراف: ٢٠١].

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه ج ٤/ ص ١٤٨٤ حديث رقم: ٣٨١٣، انظر السيرة النبوية لعلي الصلابي ٢/ ٤١٨.

(٢) معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني- (١١/ ١٧٥، برقم ٣٥٠٠)، السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٢٢٦).

(٣) البخاري (٣١٢٩).

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٩٥، رقم ٢٩٩٩).." (١)

"وقال تعالى: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ [الرعد: ٢٨] .

"إن الإيمان يثمر طمأنينة القلب وراحته، وقناعته بما رزق الله، وعدم تعلقه بغيره، وهذه هي الحياة الطيبة، فإن أصل الحياة الطيبة راحة القلب وطمأنينته، وعدم تشوشه مما يتشوش منه الفاقد للإيمان الصحيح"١.

وفي الصحيح: "عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن" ٢.

وقال ابن القيم عن شيخه ابن تيمية: "وعلم الله ما رأيت أحدا أطيب عيشا منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش، وخلاف الرفاهية والنعيم، بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشا، وأشرحهم صدرا، وأقواهم قبلا وأسرهم، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت من الظنون، وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا نراه ونسمع كلامه، فيذهب ذلك كله عنا، وينقلب انشراحا وقوة ويقينا وطمأنينة، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها"٣.

وفصل الرازي القول في بيان حياة المؤمن الطيبة في الدنيا من خمسة وجوه، فقال:

– إن المؤمن يعلم أن رزقه من تدبير ربه، وربه محسن له فيه، فهذا يدعوه إلى **الرضا عن الله** ورزقه.

---

١ التوضيح والبيان لشجرة الإيمان للشيخ السعدي ص٧٣.

---

(١) هيا بنا نؤمن ساعة – مجدي الهلالي مجدي الهلالي ص/٣١

٢ أخرجه مسلم "٢٩٩٩" من حديث صهيب الرومي رضي الله عنه.

٣ الوابل الصيب لابن القيم ص٧٠.." (١)

"اضطرابها؛ فلأنها كالسفينة تتقاذفها الأمواج العاتية، تتلقى عن كثيرين –غير الله تعالى– مناهجها عقائدها فتضطرب مرجعيتها، ويختلف سبيلها، وتتناقض مسيرتها، وأما النفس المؤمنة الموحدة، فقد اتحد مصر ورودها، وصدورها في كل أمر، فهي تتلقى من الله وعن الله، وهي تسير إلى الله.

قال تعالى: ﴿ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ [الزمر: ٢٩] . فإذا تعددت الأسياد على المملوك، فقد شقي حاله، واضطرب أمره.

وفي النفس قلق على المستقبل وطلب لاستجلاء الغيوب، ولا يزيل هذ القلق كالإيمان بخيرية الذات، وخيرية العمل، وخيرية المآل والمصير، فالمؤمن الموحد ينظر إلى الغيب بعين التفاؤل **والرضا عن الله** تعالى في قضائه وقدره، فيسكب في النفس برد اليقين، ومشاعر الأمن والاطمئنان، قال تعالى: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ [الأنعام: ٨٢] ، فمن أراد الله له الهداية وانشراح الصدر هداه إلى الإسلام أولا، ثم إلى سلامة العقيدة من شوائب البدع ثانيا.

قال تعالى: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون﴾ [الأنعام: ١٢٥] .

– حصول برد اليقين واستقرار الفكر.

قال شيخ الإسلام: "والمقصود أن ما عند عوام المؤمنين، وعلمائهم أهل السنة والجماعة، من المعرفة واليقين، والطمأنينة، والجزم الحق، والقول الثابت، والقطع بما هم عليه، أمر لا ينازع فيه إلا من سلبه الله العقل الدين"١.

---

١ مجموع الفتاوى "٤/ ٤٩".." (٢)

"الملحق الثاني: تعريف ببعض مصنفات العقيدة عند أهل السنة والجماعة

...

محتويات الكتاب: صنف المؤلف هذه الرسالة الصغيرة على طريقة المحدثين، حيث بوبها في ستة وخمسين بابا، وأورد تحت كل باب الأحاديث المسندة الخاصة بموضوع الباب، وقد تناول فيها أركان الإسلام، وحقيقة الإيمان وأركانه، ومقتضيات الإيمان من الأعمال، مع الرد على المرجئة والجهمية في الإيمان، والحض على اتباع السنة.

٣٢– الرد على الجهمية: للإمام عثمان بن سعيد الدارمي –رحمه الله

دار النشر: الدار السلفية –الكويت.

---

(١) طريق الهداية مبادىء ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة محمد يسري ص/١٨٠

(٢) طريق الهداية مبادىء ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة محمد يسري ص/١٨٥

تاريخ الوفاة: ٢٨٠هـ.

المحقق: بدر البدر.

سنة النشر: ١٤٠٥هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: هذا الكتاب مع كتاب المصنف "الرد على بشر المريسي" تضمنا الرد على فرق الجهمية، وقد تعرض المصنف في هذا الكتاب لمسائل الأسماء والصفات، فأيد السلف في إثباتهم لها من غير تأويل، ولا تعطيل، ولا تمثيل، ولا تشبيه. وقد غلبت عليه نزعة الأثر والتمسك به، حتى لا تكاد تخلو صفحة إلا وله فيها رواية أو عدة روايات.

٣٣- **الرضا عن الله** بقضائه: للإمام ابن أبي الدنيا البغدادي –رحمه الله

دار النشر: الدار السلفية –بومباي.

تاريخ الوفاة: ٢٨١هـ.

المحقق: ضياء الحسن السلفي.

سنة النشر: ١٤١٠هـ.

رقم الطبعة: الأولى.." (١)

"١٥٦- رسالة التوحيد، محمد عبده.

١٥٧- الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقاد وأصول الديانات، أبو عمر عثمان بن سعيد المقرئ الداني.

١٥٨- الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي.

١٥٩- **الرضا عن الله** بقضائه، عبد الله بن أبي الدنيا البغدادي.

١٦٠- رفع اليدين، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري.

١٦١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي.

١٦٢- الروح، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن القيم.

١٦٣- رياض الصالحين، أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي.

١٦٤- زاد المعاد في هدي خير العباد، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن القيم.

١٦٥- الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، لأبي المنصور محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري الهروي.

١٦٦- الزهد، هناد بن السري الكوفي.

١٦٧- الزهد أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي.." (٢)

---

(١) طريق الهداية مبادىء ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة محمد يسري ص/٣٧٤

(٢) طريق الهداية مبادىء ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة محمد يسري ص/٥٣٣

"أصول المعاملة مع الله:

لعل أصول المعاملة مع الله تتلخص فيما يلي:

- الإيمان به إيمانا جازما.
- توحيده في أسمائه، وفي صفاته، وتوحيده بالعبادة.
- لزوم طاعته واجتناب معصيته، والحرص على أن لا يفقده ربه حيث أمره، وأن لا يراه حيث نهاه. سواء ذلك في الغيب والشهادة، وفي السر والعلن، وفي العسر واليسر.
- تعظيم شعائر الله وحرماته، والخضوع لشرعه.
- احترام كتابه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، والتأدب معهما، والتسليم لهما، ولكن، على معاني نصوصهما، من غير غلو ولا تفريط في الفهم والتطبيق.
- العناية بدينه فهما، وإيمانا، والتزاما.
- إجلاله سبحانه، وتنزيهه عن كل نقص، ووصفه بما وصف به نفسه، وفق ما جاء به كتابه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واعتقاد ذلك اعتقادا جازما.
- **الرضا عن الله**، والرضا بقدره.
- محبته أعظم من كل ما سواه، وتعظيمه أكثر مما سواه.
- دوام ذكره وشكره.
- إحسان عبادته.
- الإحسان إلى عباده، وعدم ظلمهم والتعدي عليهم.
- إحسان الظن به سبحانه بما هو أهله عز وجل.." (١)

"خلق التعامل مع النفس:

يأتي خلق التعامل مع النفس تبعا لحال التعامل مع الله تعالى؛ فمن كان لله أقرب كان من ظلم نفسه أبعد، ومن كان متأدبا مع الله تعالى كان لنفسه مؤدبا.

أصول معاملة الإنسان لنفسه:

لعل أصول معاملة الإنسان لنفسه تتلخص فيما يلي:

- أن تكون معاملة لله.
- أن تكون موافقة لشرع الله.

وعندئذ تصبح أخلاقه مع نفسه قائمة على الآتي:

- تعبيد نفسه لله، وإقامتها على شرعه.

---

(١) الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها عبد الله الرحيلي ص/٨٧

- إلزامها بإخلاص العمل لله تعالى على كل حال.

- إلزامها **بالرضا عن الله**، والرضا بقدر الله.

- إلزامها بالأدب مع الله سبحانه، على الوجه الذي مضى بيانه في هذا المبحث١.

- إلزامها بالخلق الحسن والأدب مع الناس وسائر مخلوقات الله عز وجل، على الوجه الذي مضى بيانه في هذا المبحث٢.

- البعد عن ظلم نفسه بشيء من أنواع الظلم، سواء كان ذلك بإتباعها هواها على خلاف الشرع وحدود الاستقامة، أو بمنعها من

---

١ في خلق التعامل مع الله.

٢ في خلق التعامل مع الناس.." (١)

"أخي وحبيبي في الله ..

امش ميلا وعد مريضا، وامش ميلين وأصلح بين اثنين، وامش ثلاثة وزر أخا في الله، هذا جمال الأخوة ما أروعه، هذه نسمته ما أجملها، تلك روضاته ما أحلاها.

فالأخوة الترنيمة الجميلة التي تهدأ بها النفوس، الأخوة الواحة التي في ظلها تستريح القلوب.

كان محمد بن واسع يقول: لم يبق من حلاوة العيش إلا ثلاث: الصلاة في جماعة، وكفاف من معاش، وأخ يحسن المعاشرة.

آه ... والله إن المؤمنين لفي نعيم عظيم، فمن عاش الصلاة قرت عينه، ولن تقر عينه بشيء مهما عظم عند الناس من أمور الدنيا فكل شئ منها زائل، وكل شئ منها ناقص، والأصل في نعيم الدنيا التنغيص فهل من متدبر؟!!

آه ... لو ذاق الناس حلاوة الصلاة، يقوم يصلى ثم ينتظر الصلاة التالية ليزداد نعيمه، يتذوق من حلاوة الإيمان ما لا يعرفه إلا مجرب، ثم إذا مات وجد الصلاة في انتظاره عند رأسه في القبر تدافع عنه ويوم القيامة تحاج عن صاحبها.

آه ... لو عرفنا الكفاف، **والرضا عن الله** والرضا بالله، وتمنيت لو رضى الله عنك، لا أن تطلب المال، وتجعله شغلك، فما المال في كل حالاته بخير للعباد لو فطنوا، " قد أفلح من أسلم، ورزق كفافا، وقنعه الله بما آتاه " (١) هذه شهادة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

أما الثالثة فهي محل الشاهد " أخ يحسن المعاشرة ".

قال ابن الجوزي: " وأخ مخلص وفي أندر من عنقاء مغرب ".

فهذا الأمر نادر، لكنه لا يكون نادرا بإذن الله لو تعاهدنا وتصافينا ووضعنا أيدينا في أيدي بعض، اللهم ارزقنا إخوانا نحبهم ويحبوننا، ولكن حذار من فوات

---

(١) الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها عبد الله الرحيلي ص/٩٠

(١) رواه مسلم (١٠٥٤) ك الزكاة، باب الكفاف والقناعة.." (١)

"أسلم أعرابي بين يدي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأعطاه – صلى الله عليه وسلم – بعض المال، فقال: يا رسول الله، ما على هذا بايعتك. فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((على ماذا بايعتني؟)) قال: بايعتك على أن يأتيني سهم طائش فيقع هنا (وأشار إلى حلقه) ويخرج من هنا (وأشار إلى قفاه) . قال له: ((إن تصدق الله يصدقك)) . وحضر المعركة، وجاءه سهم طائش ونفذ من نحره، ولقي ربه راضيا مرضيا.

ما المال والأيام ما الدنيا وما ... تلك الكنوز من الجواهر والذهب

ما المجد والقصر المنيف وما المنى ... ما هذه الأكداس من أغلى النشب

لا شيء كل نفيسة مرغوبة ... تفنى ويبقى الله أكرم من وهب

ووزع – صلى الله عليه وسلم – ذات يوم أموالا، فأعطى أناسا. قليلي الدين، ضحلى الأمانة، مقفرين في عالم المثل، وترك أناسا ثلمت سيوفهم في سبيل الله، وأنفقت أموالهم، وجرحت أجسامهم في الجهاد والذب عن الملة، ثم قام – صلى الله عليه وسلم – خطيبا في المسجد وأخبرهم بالأمر، وقال لهم: ((إني أعطي أناسا لما جعل الله في قلوبهم من الجزع والطمع، وأدع أناسا لما جعل الله في قلوبهم من الإيمان – أو الخير – منهم: عمرو بن تغلب)) . فقال عمرو بن تغلب: كلمة ما أريد أن لي بها الدنيا وما فيها.

إنه **الرضا عن الله** عز وجل الرضا عن حكم رسوله – صلى الله عليه وسلم –، طلب ما عند الله، إن الدنيا لا تساوي عند الصحابي الواحد كلمة راضية باسمة منه – صلى الله عليه وسلم –.

لقد كانت وعود الرسول – صلى الله عليه وسلم – لأصحابه ثوابا من عند الله، وجنة عنده ورضوانا منه، لم يعد – صلى الله عليه وسلم – أحدا منهم بقصر أو ولاية إقليم أو حديقة. كان." (٢)

"وزيادة في البلاء: إذا جمل من جماله قد شرد، فحاول أن يدركه وأخذ بذيله علة أن يجد رجلا يقوده إلى مكان يأوي إليه، وبعد حين ووقت من هذا اليوم سمعه أعرابي آخر، فأتى إليه وقاده، وذهب به إلى الوليد بن عبدالملك الخليفة في دمشق، وأخبره الخبر، فقال: كيف أنت؟ قال: رضيت عن الله.

وهي كلمة كبيرة عظيمة، يقولها هذا المسلم الذي حمل التوحيد في قلبه، وأصبح آية للسائلين، وعظة للمتعظين، وعبرة للمعتبرين.

والشاهد: **الرضا عن الله.**

والذي لا يرضى ولا يسلم للمقدر، فإن استطاع أن يبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء، وإن شاء: ﴿فليمدد بسبب

---

(١) الأخوة أيها الإخوة محمد حسين يعقوب ص/٢٧٨

(٢) لا تحزن عائض القرني ص/٤٧٥

إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ﴾

وقفة

قال أبو علي بن الشبل:

وإذا هممت فناج نفسك بالمنى ... وعدا فخيرات الجنان عدات

واجعل رجاءك دون يأسك جنة ... حتى تزول بهمك الأوقات

واستر عن الجلساء بثك إنما ... جلساؤك الحساد والشمات." (١)

"قلوبهم بشاشة الإيمان فأشرقت، وتفتحت لتلقي ما في القرآن من روح وطمأنينة ..

في القرآن شفاء من الوسوسة والقلق والحيرة، فهو يصل القلب بالله، فيرضى ويستروح **الرضا عن الله** والرضى عن الحياة.

والقلق مرض، والحيرة نصب، والوسوسة داء، ومن ثم هو رحمة للمؤمنين ..

وفي القرآن شفاء من الهوى والدنس والطمع والحسد ونزغات الشيطان.

وفي القرآن شفاء من الاتجاهات المختلة في الشعور والتفكير، فهو يعصم العقل من الشطط.

وفي القرآن شفاء من العلل الاجتماعية التي تخلخل بناء المجتمعات.

(٥) القرآن حماية بعد الهداية:

قال تعالى: ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين﴾ [الزخرف: ٣٦]، وأسوأ ما يفعله قرين بقرينة أن يصده عن السبيل الواحدة القاصدة، ثم لا يدعه يفيق أو يتبين الضلال فيتوب؛ إنما يوهمه أنه سائر في الطريق القاصد القويم، حتى تفاجئهم النهاية وهم سادرون، هنا يفيقون كما يفيق المخمور، ويفتحون أعينهم بعد العشى والكلال.

فالقرآن يحميك في طريقك إلى الله، ويصرف عنك شياطين الجن، ويعطيك من الحجة ما تغلب به شياطين الإنس.

(٦) القرآن حياة القلوب:

وقال تعالى: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من." (٢)

"إذ إن هذا شأن السالكين إلى الله – تعالى – في كل زمان ومكان بل وانه من شأن الأنبياء والمرسلين ، ذالكم الجسر هو الابتلاء والمحن التي تصيب السائر.

فلابد في هذا الطريق أن يصقله الابتلاء وأن تظهر معدنه المحنة ، قال لله – تعالى – " أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون (٢) ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين "

---

(١) لا تحزن عائض القرني ص/٤٨٢

(٢) أسرار المحبين في رمضان محمد حسين يعقوب ص/١٦٦

(العنكبوت: ٢ – ٣) .. وكان اول تبشير الرسول صلى الله عليه وسلم بالنبوة انذاره بالاخراج .. قال ورقة: ما أتى رجل بمثل ما أوتيت به الا عودى .. وقال الراهب للغلام: أنت اليوم أفضل منى وانك ستبتلى .. وقيل للشافعى: أحب إليك أن يمكن الرجل أو يبتلى ، قال لا يمكن حتى يبتلى.

فالجسر إلى التمكين في هذا الطريق هو الابتلاء .. ولابد من الصبر فيه الاحتساب **والرضا عن الله** تعالى وبه ، فانه جسر الوصول .. وقد حفت الجنة بالمكاره .. يقول ابن القيم:

" وان تأملت حكمته – سبحانه وتعالى – فيما ابتلى به عباده وصفوته بما ساقهم به إلى أجل الغايات واكمل النهايات التي لم يكونوا يعبرون اليها الا على جسر من الابتلاء والامتحان ، وكان ذلك الجسر لكماله كالجسر الذي لا سبيل إلى عبورهم إلى الجنة الا عليه ، وكان ذلك الابتلاء والامتحان عين المحنة في حقهم والكرامة ، فصورته صورة ابتلاء وامتحان ، وباطنه فيه الرحمة والنعمة ، فكم لله." (١)

"فقال: كنت أشرب فبكت وقالت له: لم لم توقظنى؟ لم لم تأمرنى؟ ما فائدتى إذن؟!!

فالذى وضع هذا الرجل لهذا ، ووضع هذه لهذا من؟ .. الله .. فحينما ترضى يرضيك ، وحينما تسخط يزيدك سخطا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الله إذا أحب قوما ابتلاهم ، فمن رضى فله الرضا ، ومن سخط فعليه السخط " [صححه الألبانى] .. هذه هى القضية: أنك إذا كنت راضيا دائما ، أرضاك الله وبعث إليك ما يرضيك ومن يرضيك.

والقصة التى مرت من خير الشواهد .. قصة حدير .. لما مشوا ووجد كل واحد منهم فى يده الهدية لم يقل: وأنا؟ ولم يرجع ليقول: أنا لم آخذ هديتى يا رسول الله .. ولو طلب لأعطاه الرسول صلى الله عليه وسلم .. لكن الرجل كان راضيا ، فيكفيه أن الله ذكره .. ولما ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم به ، أرسل إليه هديته بسرعة .. فحاز الهدية وذكر الله .. لرضاه.

سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه معروف أنه كان مستجاب الدعوة ، وكان قد كف بصره فى آخر عمره ، قال له ابنه: يا أبت أراك تدعو للناس! هلا دعوت لنفسك أن يرد الله عليك بصرك ، قال: يا بنى ، قضاء الله أحب إلى من بصرى.

إخوتاه ، هل أنتم راضون عن الله؟ ، هل فعلا قضاء الله وقدره أحب إليكم مما أنتم فيه من بلاء وفتنة وغربة؟ .. إذا أردتم أن تتأكدوا ، **فالرضا عن الله** يصح بثلاثة شروط ذكرها ابن القيم فى المدارج:." (٢)

"الكفر بقضاء الله ـ تعالى ـ لوجب على الخلق أن يرضوا بذلك لأن الرضا بقضاء الله واجب، وحيث اجتمعت الأمة على أن الرضا بالكفر كفر ثبت أنه ليس بقضاء الله، وليس أيضا برضاء الله١.

وهذا الزعم يرد عليه من وجوه ثلاثة:

الوجه الأول:

يقال له: اختلف أهل التفسير في هذه الآية على قولين:

---

(١) أصول الوصول إلى الله تعالى محمد حسين يعقوب ص/٤٣

(٢) أصول الوصول إلى الله تعالى محمد حسين يعقوب ص/١٨٥

١. ذهب حبر الأمة عبد الله بن عباس والسدي٢ إلى أن معنى قوله ـ تعالى ـ ﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾ خاص بعباده المؤمنين الذين أخلصهم لعبادته وطاعته.

٢. وذهب آخرون إلى أن ذلك عام لجميع الناس وعلى هذا يكون المعنى أيها الناس إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لكم أن تكفروا به٣.

الوجه الثاني:

يقال له: إن زعمك أن الرضا بالقضاء واجب ففيه تفصيل عند العلماء حيث أن أقسام الرضا ثلاثة:

الرضا بالله، **والرضا عن الله**، والرضا بقضاء الله.

فالرضا بالله فرض، والرضا عنه وإن كان من أجل الأمور وأشرفها فلم يطالب به العموم لعجزهم عنه ومشقتهم عنه، وأوجبه بعضهم وأما الرضا بكل مقتضى فلا يجب بل المقتضى ينقسم إلى ما يجب الرضا به وهو الديني الشرعي، ومقتضى كونه قدري، فإن كان فقرا أو مرضا ونحو ذلك استحب الرضاء به ولم يجب، وأوجبه بعضهم وإن كان كفرا، أو معصية حرم الرضاء به، فإن الرضاء به مخالفة لله ـ تعالى ـ فإنه ـ سبحان ـ لا يرضى لعباده الكفر، وأما القضاء الذي هو صفة الله وفعله فالرضا به واجب" أ. هـ٤.

---

١ – التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٦/٢٤٦.

٢ – هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي أبو محمد الكوفي صدوق يهم ورمي بالتشيع توفي سنة سبع وعشرين ومائة هجرية "تهذيب التهذيب" ١/٣١٣،٣١٤.

٣ – جامع البيان ٢٦/٢٤٦.

٤ – منهاج السنة ٢/٤٠ ،٤١، مدارج السالكين ١/٢٥٦ مع التصرف اليسير.." (١)

"قال رحمه الله بعد ذلك (فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه –يعني في اللوح– أنه كائن؛ ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه، ولو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتبه الله تعالى فيه؛ ليجعلوه كائنا لم يقدروا عليه، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه.) .

وهذه العقيدة هي حقيقة الإيمان بالقضاء والقدر.

هي أن يعلم العبد أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأنه لو فعل ما فعل فإنه لن يحجب قضاء الله – عز وجل – وقدره، لم؟

لأنه لا يمكن أن يفعل خلاف ما قدر الله – عز وجل –.

لهذا وجب التسليم لله – عز وجل – في أمره، ووجب في أمر المصائب التي لا اختيار للعبد فيها أن يسلم لله – عز وجل

---

(١) مباحث العقيدة في سورة الزمر ناصر بن علي عائض حسن الشيخ ص/١٤٢

- ذلك، وأن يؤمن بقضاء الله - عز وجل - الذي يقضيه.

وقضاء الله - عز وجل -كما ذكرت لك هو إنفاذه ما قدر - عز وجل -.

وهذا القضاء له جهتان:

١ - جهة متعلقة بالله - عز وجل -، وهي فعله سبحانه وتعالى.

وفعله بأن يقضي صفة من صفاته.

فهذه يجب على العبد أن يحبها وأن يرضى بها لأنها صفة من صفات الله - جل جلاله -.

٢ - جهة متعلقة بالعبد لا بالرب، فيكون مقضيا على العبد.

والمقضي على العبد نوعان:

- مقضي عليه من جهة المصائب.

- ومقضي عليه من جهة المعايب.

والمصايب ربما كان لا اختيار له فيها، والمعايب فعلها بإرادته.

لهذا بحث العلماء مسألة الرضا بالقضاء وهل القضاء تسليم له، يعني الرضا به؟

وتحقيق القول في هذه المسألة أن تعلم أن القضاء غير المقضي.

المقضي هذا تعلق القضاء بالعبد.

والقضاء هو قضاء الله - عز وجل - وهو فعله.

وقد يقال فيما يتعلق بالعبد: هذا قضي عليه وصار قضاء عليه، فيكون قضاء بالنسبة للعبد وهو مقضي.

لهذا نقول: جهة الرب - عز وجل - في القضاء هذه نرضى بها ونحبها.

وأما ما يقضيه الله - عز وجل - على العبد فإنه ما كان من المعايب من المعاصي والآثام التي تقع منه فإنه يجب عليه أن لا يرضى بها.

يعني وقعت عليه لكن يجب عليه أن يكره ذلك الذي وقع منه ولو كان قضاء، ويجب عليه أن يسارع بالانسلاخ من آثاره بالتوبة والإنابة، فلا يحب هذا العيب ولا هذا الذنب مع أنه قضاء ولا يرضى به؛ بل يسارع في تخليص نفسه منه.

وأما ما كان من قبيل المصائب التي يصاب بها العبد فإن الرضا بها مستحب غير واجب.

إذا أصيب بمصيبة فإن الرضا بها مستحب، كما قال - عز وجل - ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾ [التغابن:١١] ، قال علقمة رحمه الله (هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم) (١) .

فالرضا بالمقضي الذي هو من المصائب مستحب لا واجب بالنظر إلى تعلقه بالعبد وهو المقضي.

أما بالنظر إلى تعلقه بالله فسواء كان من المصايب أو من المعايب فإنه يجب **الرضا عن الله** - عز وجل - بأفعاله وصفاته ومحبة أفعال الله - عز وجل - لأن الله - عز وجل - يفعل ما يفعل عن حكمة عظيمة، كما قال سبحانه ﴿ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين (٤٦) لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا﴾

[التوبة:٤٦-٤٧] ، فالله - عز وجل - يقضي بحكمته ما يشاء، وله الحكمة البالغة، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

فإذا تلخص من ذلك أن ما أصاب العبد لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

ويتصل بهذا البحث، أو نطويه لأنه قد يطول علينا.

مباحث القدر طويلة ترجعون إليها إن شاء الله تعالى.

---

(١) انظر تفسير الطبري (التغابن:١١)." (١)

"المبحث الرابع: الآثار عن عمر في الرضا بالقضاء

١/١٧٦- ابن سعد قال: حدثنا عارم بن الفضل قال: حدثنا حماد بن سلمة عن يحي بن سعيد، أن عمر بن عبد العزيز قال: ما أصبح لي اليوم في الأمور هوى إلا في مواقع قضاء الله فيها١.

٢/١٧٧- ابن عبد الحكم قال: وكان عمر بن عبد العزيز يدعو بهذا الدعاء: اللهم رضني بقضائك، وبارك لي في قدرك حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت. وكان عمر بن عبد العزيز يقول: ما برح

---

١ ابن سعد في الطبقات ٣٧٢/٥، وعارم بن الفضل هو: محمد بن الفضل السدوسي أبو النعمان البصري لقبه عارم ثقة ثبت تغير في آخر عمره من صغار التابعين ... تقريب ص٥٠٢.

وحماد بن سلمة بن دينار البصري أبو سلمة ثقة عابد..ز وتغير حفظه بآخرة من كبار الثامنة. تقريب ص١٧٨.

ويحي بن سعيد بن قيس الأنصاري المدني أبو سعيد القاضي ثقة ثبت من الخامسة. تقريب ص٥٩١.

والأثر أخرجه ابن عبد الحكم سيرة عمر ص٩٧ مع بعض الاختلاف في اللفظ. وأخرجه ابن أبي الدنيا في رسالة **الرضا عن الله** بقضائه والتسليم بأمره ص٢٦، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا وأبو حفص الملاء ٤٣٣/٢، والبيهقي في القضاء والقدر ص٩٠، وابن الجوزي سيرة عمر ص٢٣٠.." (٢)

"بي هذا الدعاء حتى لقد أصبحت ومالي في شيء من الأمور هوى إلا في موضع القضاء١.

٣/١٧٨- عبد الله بن الإمام أحمد قال: حدثني أبي، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن زياد بن أبي حسان، أنه شهد عمر بن عبد العزيز حين دفن ابنه عبد الملك فقال: ... رضينا بقضاء الله وسلمنا لأمره والحمد لله رب العالمين٢.

٤/١٧٩- ابن أبي الدنيا قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم العبدي، قال: حدثنا يعلى بن الحارث المحاربي، قال: حدثني أبي، عن سليمان بن حبيب، قال: لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز دخل عليه هشام الغاز

---

١ ابن عبد الحكم سيرة عمر ص٩٧، وأبو حفص الملاء ٤٣٣/٢، وابن أبي الدنيا في رسالة **الرضا عن الله** ص٥٢، والبيهقي

---

(١) شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ = إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل صالح آل الشيخ ص/٢٦٢

(٢) الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة حياة بن محمد بن جبريل ٥٣٥/١

في القضاء والقدر ص٩٠- ٩١ تحقيق أبي الفداء الأثرى ط. مكتبة السنة.

٢ الزهد وزوائده ص٤٢١، وابن أبي الدنيا رسالة الرضا عن الله ص٧٨، وأبو نعيم في الحلية ٣٥٦/٥، وأبو حفص الملاء ٤٣١/٢، وابن الجوزي سيرة عمر ٣٠٣.

وإسماعيل بن إبراهيم بن زياد بن أبي حسان لعله خطأ فعند ابن أبي الدنيا وأبي نعيم حدثنا إسماعيل بن إبراهيم قال: أخبرني زياد بن أبي حسان وإسماعيل بن إبراهيم أبو يحيى التيمي ضعيف من الثامنة. تقريب ص١٠٦.

وزياد بن أبي حسان النبطي روى عن أنس وعمر بن عبد العزيز قال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به. انظر الجرح والتعديل ٣٥٠/٣.." (١)

"فعزاه فقال: عمر: وأنا أعوذ بالله أن يكون لي محبة في شيء من الأمور تخالف محبة الله فإن ذلك لا يصلح لي في بلائه عندي وإحسانه إلي١.

التعليق:

تحث الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في هذا المبحث على الرضا بالقضاء والمقصود بالرضا بالقضاء القضاء الذي قدره الله على عبده من المصائب التي ليست ذنوبا فإن الصبر على المصائب واجب، وأما الرضا بها فهو مشروع لكن هل هو واجب أو مستحب؟ على قولين لأصحاب أحمد وغيرهم أصحها أنه مستحب ليس بواجب٢. ولا شك أن الرضا بالقضاء من تمام الإيمان بالقضاء والقدر.

وقد غلط فيه طائفتان أقبح غلط. فقالت القدرية النفاة الرضا بالقضاء، طاعة وقربة، والرضا بالمعاصي لا يجوز، فليست بقضائه وقدره، وقالت

---

١ ابن أبي الدنيا رسالة الرضا عن الله اص٧٦، وأبو نعيم في الحلية ٣٥٨/٥، و٣٥٧.

وأحمد بن إبراهيم بن كثير الدورقي ثقة حافظ مات سنة ٢٤٦هـ. تقريب ص٧٧، ويعلى بن الحارث المحاربي الكوفي ثقة مات سنة ١٦٨هـ. تقريب ص٦٠٩، وأبوه هو الحارث بن حرب المحاربي لم أجده.

وسليمان بن حبيب المحاربي أبو أيوب الداربي القاضي بدمشق ثقة من الثالثة. تقريب ص٢٥٠ مات سنة ١٢٦هـ.

٢ انظر مجموع الفتاوى ١٩١/٨.." (٢)

"الرد على الجهمية تأليف عثمان بن سعيد الدارمي تحقيق بدر البدر ط. الدار السلفية ط. الأولى عام ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م الصفاة الكويت.

الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد بن حنبل تحقيق وتعليق الدكتور عبد الرحمن عميرة ط. دار اللواء ط. الثانية عام ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م الرياض.

---

(١) الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة حياة بن محمد بن جبريل ٥٣٦/١

(٢) الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة حياة بن محمد بن جبريل ٥٣٧/١

الرد على المخالف ضمن مجلد الردود للشيخ الدكتور بكر عبد الله أبو زيد ط. دار العاصمة للنشر والتوزيع الرياض عام ١٤١٤هـ.

الرضا عن الله بقضائه والتسليم بأمره تأليف أبي بكر عبد الله بن محمد القرشي المعروف بابن أبي الدنيا دراسة وتحقيق عبد القادر عطا ط. مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ط. الأولى عام١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا تحقيق محمد خير رمضان يوسف ط. مكتبة العبيكان الرياض عام ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م ط. الأولى.

الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا تحقيق وتعليق مسعد عبد الحميد محمد السعدني ط. مكتبة القرآن القاهرة.

رماح حزب الرحيم علي نحور حزب الرجيم لعمر بن سعيد الفوتى القاهرة مطبعة الحلبي عام ١٩٦٣م بحاشية جواهر المعاني.

الروح لابن القيم ط. دار الكتاب العربي تحقيق ودراسة الدكتور السيد الجميلي ط. الثالثة عام ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م بيروت لبنان.." (١)

(١) الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة حياة بن محمد بن جبريل ٢/٩٢٢